مجتمع المُثُل

د. عائض بن عبد الله القرني

دار ابن حزم

مُجتمعُ المُثُل

عائض بن عبد الله القرني

دار ابن حزم

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤/٦٣٦٦ - تلفون: ٧٠١٩٧٤

قضايا مهمة

إنَّ الحمدَ لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهدُ أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده وسوله ﷺ.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾.

أيها الإخوة الأبرار: إنَّ أعظم ما أوصي به نفسي وإياكم تقوى الله عز وجل، لأنها وصية الله للأولين والآخرين.

﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ﴾.

أيها المسلمون..

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ

أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾.

من هم الذين سبقت لهم من الله عز وجل الحسنى؟

هم الذين رضيَهم الله ورضوا عنه.

هم الذين أخلصهم الله بخالِصة ذكرى الدَّار.

الذين كتب الله لهم السعادة في الدنيا والآخرة، ونسأل الله أن نكون منهم، لأن الناس إما سعيد رضي الله عنه، وإما شقي غضب الله عليه.

وهذه الحياة ليست للأكل، ولا للشرب، ولا للرقص، ولا للهو.

والله الذي لا إله إلا هو، لقد وجد أُناس يصلون ويصومون ويحجُّون ويَعْتَمرون ويذكُرون ويُزكون ولا يعرفون معنى الحياة.

الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾.

ويقول: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾.

ولقد وُجد بين أطراف المسلمين من يعتني بدنياه وبملبسه وبمطعمه وببيته وبسيارته، وبوظيفته أكثر من الإسلام.

بل وجد من يعرف كل شيء في الدنيا، فإذا سألته عن صلاته وعن حجِّه وعن عُمرته فهو لا يكاد يعرف شيئاً.

فلماذا خلقه الله؟

ولماذا أوجده الله؟

إذن. . الذين سبقت لهم من الله الحسنى هم السعداء.

ومن أسباب السعادة أن تعتقد أن لا إله إلا الله، ولا معبود بحق إلاَّ الله، وتأكيد الكلمة التي أتى بها رسول الله ﷺ، وهي لا إله إلا الله.

فبها قامت السموات والأرض.

وبها صلح أمر الدنيا والآخرة.

وبها رضي الله عن المؤمنين.

وعليها بني الحوض.

وعليها دُمرت الدنيا خمس مرات.

وبلا إله إلا الله أنزل الله الكتب.

وبلا إله إلا الله أقام الله سوق الجنة والنار.

وعليها مُدَّ الصراط.

فيا أيها المسلم. . يا من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً، أسألك أن تحيا بلا إله إلا الله، وأن تموت على لا إله إلا الله، لعل الله أن يبعثك على لا إله إلا الله.

ومن القضايا المهمة: الصلاة.

وكثير من الناس يعتقد أن صلاته ليست بذات الأمر الكبير العظيم في حياته، فهو يصلي في المزرعة ويصلي في الطريق ويصلي في البيت ولا يهتم أن يُدركَ الصلاة في المسجد.

الصلاة يا عباد الله هي أول ما يُسأل عنه العبد، عندما يأتيه الملكان فيسألانه.

الصلاة. . عليها كانت شعائر الإسلام، وهي الركن الأهم الذي إذا تمّ تمَّم الله للعبد أموره، وإذا نقص خذل الله العبد.

من حفِظها وحافظ عليها حفظَ دينه، ومن ضيَّعها وأخلَّ بها ضيَّع دينه.

وتارك الصلاة لا يؤاكل، ولا يُشَارك، ولا يُرافق، ولا يصاحب، ولا يؤتمن، ولا يصدَّق، ولا تُقبل شهادته.

تارك الصلاة حلال الدم.

تارك الصلاة مغضوب عليه في السماء، مغضوب عليه في الأرض.

تارك الصلاة تشتكي منه العجماوات، والحوت، والأسماك، والطيور، والزواحف كلها.

كلها تقول: مُنعنا الرزق بسببك، ومُنعنا الرحمة بذنبك.

تارك الصلاة حَبْلُه مقطوع من ذمة الله سبحانه وتعالى، ولذلك يقول سبحانه وتعالى في الحديث القدسي: «**أبي تغترُّون، أم عليَّ تجترئون، فبي حلفت لأنزلنَّ فتنة تدع الحليم حيراناً**»[1].

ورد عنه سبحانه وتعالى أنه قال: «**لولا شيوخ رُكَّع، وأطفال رُضَّع، وبهائم رُتَّع، لخسفت بكم الأرض خسفاً**»[2].

تجد المسلم صحيحاً معافىً شاباً قوياً غنياً، يسمع: (الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر)، ثم لا يأتي إلى المسجد، وحينها تتأكّد من نفاقه.

ولذلك يقول ابن مسعود رضي الله عنه وأرضاه: كان يؤتى بالرجل يُهادى به بين الرجلين حتى يُقام في الصف، وما يتخلَّف عن الصلاة إلا منافق معلوم النفاق.

---

(١) ضعيف الجامع (١٦٢).

(٢) رواه البيهقي (٣/٣٤٥).

ومن أعظم ما تخاذل عنه المسلمون هذه الأيام وهذه السنوات: صلاة الفجر.

يقول الرسول ﷺ: **«من صلَّى الفجر في جماعة فهو في ذمة الله، فالله الله لا يطلبنكم الله بذمته في شيء، فإنه من طلبه بذمته بشيء أدركه، ومن أدركه أهلكه»**[1].

ومن القضايا المهمة: حقُّ الوالدين

الأب والأم، فقد جعل الله سبحانه وتعالى حقهما مع حقّه تبارك وتعالى حيث قال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾.

فالوالد والأُم حقهما قرنه الله بحقِّه لعظم حقِّهما في الإسلام.

يقول ﷺ ما معناه: «كان فيمن كان قبلكم ثلاثة نفر ذهبوا في الصحراء فآواهم المبيت إلى غار في الجبل.

فانطبقت عليهم صخرة فأصبحوا في ظلام موحش مقفر لا أنيس فيه إلا الله، ولا قريب إلا الله، ولا سامع إلاَّ الله، ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾.

فقالوا لبعضهم: والله لا ينجيكم إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم.

فقال أولهم: اللهم إنك تعلم أنه كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق[2] قبلهما ولا أقدِّم عليهما أهلاً ولا مالاً.

---

(١) رواه مسللم.

(٢) الغبوق: شرب اللبن في العشي.

وإنه قد نأى[1] بي طلب الشجر يوماً من الأيام فلم آتهما إلا بعد أن ناما.

فحلبت اللبن ثم أتيت به لأقدِّمه لوالديَّ فوجدتهما قد ناما وأبنائي يتضاغون[2] من الجوع ومن التعب ومن الظمأ عند رِجْلَي، فلم أَسق أبنائي ولم أوقظ والدي حتى برق الفجر.

اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرِّج عنا ما نحن فيه.

فانفرجت الصخرة، غير أنهم لا يستطيعون الخروج من هذا المكان..

إلى آخر القصة[3].

وهذا يدل على فضل بر الوالدين.

ويوم يسعد الوالدان بولدهما حينها يرضى الله من فوق سبع سموات.

والله لا يُدْخل الجنة قاطع رحم لا سيما إذا كان أباه أو أمه.

ولقد تعلَّقت الرحم بالعرش وقالت لله: هذا مقام العائذ بك من القطيعة.

قال: **ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟**.

قالت: بلى.

قال: فذلك لك»[4].

---

(١) نأى: أي بَعُد.

(٢) أي يصيحون.

(٣) متفق عليه.

(٤) متفق عليه.

فأنزلها الله في الأرض، فمن وصلها وصله، ومن قطعها قطعه.

ومن القضايا المهمة: قضية التوبة.

فإذا أذنبت، وإذا أخطأت، وإذا أجرمت، وإذا أسرفت على نفسك ثم تذكَّرتَ لقاء الله، وتذكَّرتَ المصير المظلم، وتذكَّرتَ العرض الأكبرَ على الله عز وجل: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾، فتب إلى الله واستغفره لهفواتك وذنوبك، فإنه الغفَّار لها.

يا رب عفوك لا تأخذ بزلّتنا
وارحم أيا رب ذنباً قد جنيناه
كم نطلب الله في ضرٍّ يحل بنا
فإن تولّت بلايانا نسيناه
ندعوه في البحر أن ينجي سفينتنا
فإن رجعنا إلى الشاطىء عصيناه
ونركب الجوَّ في أمن وفي دَعَة
فما سقطنا لأن الحافظ الله

والذنوب والخطايا لا يسلم منها أحد.

فإلى أين يفر العبد؟

ومن يغفر الذنوب إلا الله؟

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾.

﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ

ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾.

ويقول سبحانه في الحديث القدسي: **«يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عَنان السماء ثم جئتني لا تُشرك بي شيئاً لغفرتها لك، يا ابن** آدم: **لو أتيتني بقُراب الأرض خطايا ثم جئتني لا تُشرك بي شيئاً لأتيتك بقُرابها مغفرة»**(١).

فالواجب أن نستغفرَ ونتوب من جميع الذنوب صغيرها وكبيرها، وقد علَّمنا ﷺ ذلك عندما كان يقول: **«يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه، فإني أستغفرُ الله وأتوبُ إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة»**. وفي لفظ: **«مائة مرة»**(٢).

ومن القضايا المهمة: حق الجار فإنه عظيم.

ولذلك كان ﷺ يوصي به دائماً.

يقول أبو ذر رضي الله عنه وأرضاه: خرجت مع رسول الله ﷺ ليلة من الليالي فرأيته في ضوء القمر يحادث رجلاً معه، فلما عاد إليَّ قلت: يا رسول الله تأخَّرت عليَّ حتى خشيت عليك أن تُختلَس. (أي: يأتيك شيء).

قال: **«أرأيت أحداً معي؟»**.

قال: نعم رأيت رجلاً قائماً معك يكلمك.

قال: **«ذاك جبريل ما زال يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»**(٣).

---

(١) رواه أحمد (١٥٤/٥)، والترمذي (٣٥٤٠).

(٢) رواه البخاري.

(٣) أصل الحديث: **«ما زال جبريل يوصيني بالجار...»**، متفق عليه. وانظر لروايات ليلة الجنة: تفسير سورة الأحقاف في ابن كثير.

وجاء رجل إلى الرسول ﷺ فقال: يا رسول الله أشكو إليك جاري، آذاني، وسبَّني، وشتمني، وما حفظني، وما رعاني.

قال: **«اصبر واحتسب»**.

فذهب وصبر، ولكن ذاك الجار ما اتقى الله وما خشي من الله فشكا إلى الرسول ﷺ مرة ثانية.

فقال ﷺ: **«خذ متاعك وقِف في الطريق»**.

فأخذ متاعه فوقف في طريق الناس.

فقالوا: ما لك؟

فقال: أخرجني جاري إلى هذا الطريق.

قالوا: عليه لعنه الله، عليه غضب الله.

فجاءه جاره وقال: عُد، والله لا أؤذيك.

فعاد[١].

ويقول ﷺ:

«والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن».

قالوا: من يا رسول الله؟.

قال: **«من لا يأمن جاره بوائقه»**[٢].

ومن القضايا المهمة: إهمال تربية الأبناء.

يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۝٦﴾.

(١) رواه أبو داود، وصحَّحه الألباني في صحيح أبي داود (٤٢٩٢).

(٢) متفق عليه.

فتربية الأبناء أُهملت إلا في بيوتٍ قد رحم الله أهلها.

والعجيبُ أن يقفَ بعض الآباء حَجَرَ عثرة في طريق ابنهم إذا أراد سلوك طريق الاستقامة خوفاً عليه مما يسمِّيه التطرف أو الوسوسة، وما علم أن الاعتدال والوسط هو في الالتزام بهذا الدين والتقيد بسنة سيد المرسلين ﷺ، وأن ما سواه هو التطرف.

إذن.. فقد اختلَّت تربية الأبناء عند كثير من المسلمين حيث أُغرق البيت المسلم بالمُلْهِيات والمغريات.

بل والمفسِدات كالمجلاَّت الخليعة والفيديو المهدِّم، وغيرها من وسائل التدمير التي أخرجت لنا جيلاً ممسوخاً لا هو بالمسلم ولا هو بالغربي، مذبذَبين بين الناس.

وكل هذا يحدث على عين وسمع الأب والأم وهما لا يحرِّكان ساكناً أمام ضياع هذا الجيل، لأن أساس البيت منخور من أصله.

فواجب على الأب المسلم أن يهتم بأبنائه، بصلاتهم، وبذكرهم، وبتحفيظهم القرآن، والأذكار المهمة: ذكر ما قبل الطعام وما بعده، وعند دخول الخلاء، وعند الخروج منه.. وهكذا.

وأن يكون كل ذلك بالتطبيق من الأب والأم ليكون قدوة حسنة.

وأنصح الوالدين بكتاب: (تحفة المودود)، لابن القيم. لمعرفة ما يحتاجانه من أحكام حول المولود منذ أن تضعه أمه على وجه الأرض لتبدأ حياة هذا الابن طيبة إسلامية.

ومن القضايا المهمة في حياتنا: قضية سلِّ السخيمة من القلوب.

كالضغن، والحقد، والحسد، فهي التي شتَّتت القُرى، وفرَّقت بين القبائل، والأُسر، حتى عادى الابن أباه، والأخ أخاه، وتهاجرَ الجيران، وتقاطعوا.

والله أمرهم أن يصطلحوا وأن يترافقوا وأن يتراحموا، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾. والله أعلم.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلَّم.

ثلاث كلمات

الحمد لله الذي كان بعباده خبيراً بصيراً، وتبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً، وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكَّر أو أراد شكوراً، وتبارك الذي نَزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً، الذي له ملك السماوات والأرض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدَّره تقديراً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بعثه الله هادياً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.

والصلاة والسلام على حامل لواء العزِّ في بني لؤي، وصاحب الطَّود المنيف في بني عبد مناف بن قصي.

صاحب الغرَّة والتحجيل المذكور في التوراة والإنجيل، المؤيد بجبريل المعلم الجليل، صلى الله عليه كلما تفوَّح مسك وفاح، وكلما غرَّد حمام وصاح، وكلما شذا بلبل وناح، وعلى آله وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعد..

في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال: قدم رجل من

العرب اسمه ضمام بن ثعلبة، فلما تخطى الصفوف والرسول ﷺ جالس بين الناس متكىء قال: أين ابن عبدالمطلب؟ (يعني الرسول ﷺ).

فقالوا: هو ذاك الأمهق الأبيض المرتفق.

قال: يا ابن عبدالمطلب.

قال ﷺ: «**قد أجبتك**».

قال: إني أسألك فمشدِّد عليك في المسألة.

قال: «**سل ما بدا لك**».

قال: يا رسول الله من رفع السماء؟

قال: « **الله**».

قال: من بسط الأرض؟

قال: « **الله**».

قال: من نصب الجبال؟

قال: « **الله**».

قال: أسألك بمن رفع السماء وبسط الأرض ونصب الجبال، آلله أرسلك لنا رسولاً؟

فتربَّع ﷺ وقال: «**اللهم نعم**».

قال: أسألك بمن رفع السماء وبسط الأرض ونصب الجبال، آلله أمرك بأن تأمرنا بخمس صلوات في اليوم والليلة؟

قال: «**اللهم نعم**».

قال: أسألك بمن رفع السماء وبسط الأرض ونصب الجبال، آلله أمرك بأن تأخذ صدقة من أغنيائنا فتردها على فقرائنا؟

قال: «**اللهم نعم**».

فلما انتهى من أركان الإسلام قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله، أنا ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر، والله لا أزيد على ما سمعت ولا أنقص.

فقال ﷺ: «**من سرَّه أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا**»، وفي لفظ: «**أفلح ودخل الجنة إن صدق**».

يا حبذا الجنة واقترابها   طيبة وبارد شرابها

ويا حبذا النفوس المؤمنة.. ويا حبذا الذين عرفوا الله ولقاء الله.. وأنا سأوجه ثلاث كلمات إلى ثلاث فئات في هذا المجتمع:

كبار السن.

والشباب.

والنساء.

- **أما الشيوخ وكبار السن** فيقول الله لهم: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾.

قال ابن عباس: النذير هو الشيب.

فيا من أتاه نذيره في لحيته ورأسه، أما أصبحت قاب قوسين أو أدنى من حفرة مظلمة؟.

فماذا فعلت في آخر الحياة؟

وبأي شيء تختم صحيفتك؟

يا أيها الشيخ الكبير، ألا راجعت سجلاَّتك مع الله؟ ألا عدت إلى صحائفك مع الواحد الأحد؟

هل علمت أنك أخطأت في أول العهد؟ هل علمت أنك كذبت أو غششت أو زنيت أو قتلت أو رابيت؟ فتبت توبة نصوحة إلى الله؟

يقول سفيان الثوري أحد علماء الإسلام: من بلغ ستين سنة فليشتر كفناً.

ويقول ﷺ في الصحيح: «**من بلّغه الله ستين سنة فقد أعذر الله إليه**»[1]، يعني قطع عذره وحجته.

فما حجتك عند الله أيها الشيخ إذا لقيت الله غداً فقلت: يا رب لو أمهلتني لتبتُ.. يا رب لو أخّرتني لعدت إليك.

فيا أيها الشيخ الكبير، اتق الله واستغفر الله وتب إلى الله.

يا عامراً لخراب الدار مجتهداً ... بالله هل لخراب الدار عمران
ويا حريصاً على الأموال تجمعها ... أقصِر فإن سرور المال أحزان
من يتق الله يُحمد في عواقبه ... ويكفه شر من عزُّوا ومن هانوا
فالزم يديك بحبل الله معتصماً ... فإنه الركن إن خانتك أركان

وقف شيخ كبير السن من بني إسرائيل أمام المرآة فنظر إلى صورته في المرآة فرأى شيباً، وكان قد عبدالله أربعين سنة ثم أدركه الخذلان فانحرف وعصى الله أربعين سنة.

فلما أصبح في الثمانين نظر إلى المرآة فرأى شيباً في لحيته فقال: يا رب أطعتك أربعين سنة، ثم عصيتك أربعين سنة، فهل تقبلني إذا عدت إليك؟

سبحان من عطاؤه ممنوح!

سبحان من رزقه يغدو ويروح!

---

(١) رواه البخاري (١١١/٨).

سبحان من بابه مفتوح!

سبحان من يعفو ونهفو دائماً ولم يزل مهما هفا العبد عفا
يعطي الذي يخطي ولا يمنعه جلاله عن العطا الذي الخطا

فسمع هاتفاً يقول: أطعتنا أربعين فقرَّبناك، وعصيتنا أربعين فأمهلناك، ولو عدت لقبلناك.

وعند الترمذي بسند صحيح يقول تعالى: «**يابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني إلا غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي.. يابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي.. يابن آدم لو أتيتني بقُراب الأرضِ خطايا وجئتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقُرابها مغفرة**».

وقال الإمام أحمد: والله ما مثلت الشباب إلا بشيء كان في يدي فسقط.

وأبو العتاهية الشاعر نظر إلى لحيته فوجد الشيب قد غطَّاها فقال:

بكيت على الشباب بدمع عيني فلم يغنِ البكاء ولا النحيب
ألا ليت الشباب يعود يوماً فأخبره بما فعل المشيب

ومرّ شيخ كبير على شباب ولحيته بيضاء فقال له بعض الشباب: من باعك هذا القوس؟ (يعني اللحية البيضاء).

قال: أعطانيه الدهر بلا ثمن، وسوف يعطيكم مثله بلا ثمن.

فيا أيها الشيخ الكبير، وصيتي لك تدور على أمور:

أولها: أكثر من التوبة ومن الاستغفار، واجعل حياتك وليلك ونهارك توبة واستغفاراً، فإن الركايب إذا اقتربت من مكة بالحجاج هشت وبشت وأسرعت، وأنت قد اقتربت من وادٍ منحنٍ ومن حفرة مظلمة ومن لقاء الله.

فاستعد للّقاء بعمل صالح؛ فإن القادم هول وفزع.

لقد جربت الفقر والغنى، وجربت الجوع والشبع، ولن تجد كطاعة المولى والله، مهما أكلت ومهما شربت ومهما لبست.

ولن تجد كالتقوى.

قال أحد الخلفاء من بني العباس: أكلت الأكل بأنواعه، وشربت الشرب بأنواعه، ونكحت الحلال، وجلست في صدور المجالس، وطقطقتْ بي البغال، فما وجدت كتقوى الله.

فأوصيك أن تقلّل الحمل وأن تخفف، فإن وراءك عقبة كؤوداً لا يتجاوزها إلا كل مخفّ.

دخلوا على أبي ذر رضي الله عنه وهو شيخ كبير ما عنده إلا شملة وعصا وقُعب لوضوئه فتعجبوا لحاله.

فقال: لقد أخبرني حبيبي أن من ورائنا عقبة كؤوداً لا يتجاوزها إلا المخفّون[1].

● **وأما أنتم يا شباب الإسلام**.. ويا حفظة العقيدة.. ويا أحفاد مصعب، وسعد بن معاذ، وسعد بن أبي وقاص، وطارق، وخالد، فسلام الله عليكم عندما عدتم إلى بارئكم عودة صادقة في هذه السنوات الأخيرة واستبدلتم الشرور بالحسنات والخير فحققتم قول الشاعر:

شباب الحق للإسلام عودوا ... فأنتم مجده وبكم يسود
وأنتم سر نهضته قديماً ... وأنتم فجره الباهي الجديد

خالد بن الوليد شاب قد حمل سيفه ليحطم رأس كل من لا يقول لا إله إلا الله، شاب جرى الإيمان في لحمه ودمه.

---

(١) انظر: مجمع الزوائد (١٠/٢٦٣).

شاب خاض مائة معركة دون أن يُهزم في إحداها في الجاهلية أو الإسلام.

تسعون معركة مرت محجلة ... من بعد عشر بنان الفتح يحصيها
وخالد في سبيل الله مشعلها ... وخالد في سبيل الله مذكيها
وما أتت بقعة إلا سمعت بها ... الله أكبر تجري في نواحيها
ما نازل الفرس إلا فرَّ قارحها ... ولا رمى الروم إلا طاش راميها

فأنتم أبناء خالد بن الوليد الذين تعرفون المساجد والدروس والندوات وحمل لا إله إلا الله.

أما غيركم فيعرفون المسارح والزنا واللهو والضياع، ولكن لا بد من مناصحتهم ولا بد من الجلوس معهم ولا بد من دلِّهم على طريق الحق، لعلهم يعودوا فيشاركوا إخوانهم في حمل الراية.

ولا بد أن نذكّرهم بأجدادهم من صحابة رسول الله ﷺ والسلف الصالح، لعل الإيمان أن يشتعل من جديد في قلوبهم.

يأتي مصعب بن الزبير في جبة بالية فيراه ﷺ فتدمع عيناه لأنه ترك الدنيا وزهرتها وسكب روحه في سبيل الله.

وأنس بن النضر يأتي يوم أحد فيقول له أحد الأنصار: عد.. عد إن الناس فروا.

فقال: إليك عني يا سعد والذي نفسي بيده إني لأجد ريح الجنة من دون أُحد، فيُضرب بثمانين ضربة في سبيل الله.

أرواحنا يا ربِّ فوق أكفنا ... نرجو ثوابك مغنماً وجوارا

ويأتي جعفر بن أبي طالب وهو شاب فيقاتل جيش الروم فيأخذ الراية بيده اليمنى فتُقطع، فيأخذها باليسرى فتُقطع، فيضم جناحيه على الراية وهو يقول:

يا حبذا الجنة واقترابها　　طيبة وبارد شرابها
والروم روم قد دنا عذابها　　كافرة بعيدة أنسابها

فيا شبابنا.. يا أمل المستقبل.. يا زهرة الغد.. يا بسمة الفجر.

لماذا هذا الإعراض عن قال الله وقال رسوله ﷺ؟

أوصيكم بثلاث وصايا:

أولها: أن تحرصوا على علم الكتاب والسنة، وأن تُقبلوا على العلم جادين مثابرين نشيطين، لا يفوتكم درس ولا محاضرة ولا كتاب إسلامي ولا شريط إسلامي، تحفظون لياليكم وساعاتكم ودقائقكم مع الواحد الأحد.

فإذا حفظتم أوقاتكم حفظكم الله من فوق سبع سموات.. ومن حفظ الله حفظه الله.

قال ﷺ لابن عباس: «**احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، تعرَّف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفَّت الصحف**»(١).

ثانياً: أوصيكم ونفسي بالتوبة من المعاصي وبالرجوع عن الخطايا والذنوب، وباستغفار الواحد الأحد من السيئات، فإن الذنوب موبقات ومحبطات ولعنات والعياذ بالله، يقول الله في بني إسرائيل: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن

---

(١) رواه الترمذي بسند صحيح.

﴿مَوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾، فابتلاهم الله بقسوة القلوب لمّا أعرضوا وارتكبوا المعاصي.

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾.

فالله الله في حفظ الله والانتهاء عن المعاصي.

حفظ الله في السمع، وفي الفرج، وفي البصر، وفي البطن، وفي اليد، وفي الرجل، وفي الجوارح، فإنه لا يزال العبد حافظاً لله حتى يحفظه الله.

ولا يزال العبد يتقي الله حتى يوفقه الله عز وجل.

ثالثاً: احرصوا على الجليس الصالح.. يقول ﷺ: «**مثل الجليس الصالح والجليس السوء كبائع المسك ونافخ الكير، فبائع المسك إما أن يحذيك من طيبه أو تشتري منه أو تجد عنده ريحاً طيبة.**

ونافخ الكير إما أن تكسب منه رائحة منتنة أو يحرق ثيابك»(١).

فالشاب الصالح تكسب منه خيراً بإذن الله.

أما الشقي والعياذ الله، فلن تكسب منه إلا بُعداً من الله، ولن تكتسب منه إلا غضباً من الواحد الأحد، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾.

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه: تزوّدوا من الإخوان فإنهم ذخر في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

قالوا: في الحياة نعم، أما في الآخرة فكيف؟

---

(١) متفق عليه.

قال: ألا يقول سبحانه وتعالى في الكافرين والمنافقين والفجرة ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾؟ فدل على أنه لو كان لهم صديق صالح لنفعهم.

يقول الشافعي متواضعاً ومحباً للصالحين:

أحب الصالحين ولستُ منهم　　لعلِّي أن أنال بهم شفاعة
وأكره من تجارته المعاصي　　ولو كنا سواء في البضاعة

● **وأما النساء:** فإننا والله نشكو من واقعنا تجاههن.

لأنهن ما بلغتهن الدعوة كما ينبغي، فلا زالت المرأة تعيش جهلاً وغفلة عن قال الله، قال رسوله ﷺ.

فالشباب والرجال يجدون دروساً ومحاضرات ودعوة وكتباً وأشرطة، أما النساء فلا يجدن أكثر ذلك.

والواجب في هذا يقع على عاتق الرجال والشباب، لأن الحق يقول سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾.

وإنما أوصي أختي المسلمة بأمور:

أولها: أن تتقي الله سبحانه وتعالى في الصلوات الخمس، بأن تحسن صلاتها خشوعاً وخضوعاً وركوعاً.

ثانياً: أن تتقي الله في عينها وفي سمعها وفي كل عضو من أعضائها، وأن تعلم أنها سوف يعرضها سبحانه وتعالى للحساب ﴿لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾.

ثالثاً: أوصيها بأن تطيع زوجها وأن تتقي الله في زوجها، فواجب زوجها عليها أن تحفظه بالغيب في نفسها وماله.

وأن تتقي الله في غيابه وفي حضوره، وأن تطيعه في طاعة الله، وأن تكون في خدمته.

صحَّ عنه ﷺ أنه قال: «**إذا صلَّت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وأطاعت زوجها، دخلت جنة ربها**»[1].

رابعاً: أن تُحسن تربية أبنائها، فإنهم هم الجيل المسلم القادم، فتربِّيهم على طاعة الله وعلى ما يرضي الله سبحانه وتعالى.

يقول شوقي:

الأم مدرسة إذا أعددتها   أعددت شعباً طيِّب الأعراق
الأم روض إن تعاهده الحيا   بالري أورق أيما إيراق

فواجبها أن تسقي ابنها لا إله إلا الله مع اللبن على الفطرة، وأن تجعله مولوداً على الإسلام وعلى التوجه إلى الواحد الأحد لا تشوبه شائبة، والله أعلم.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلَّم.

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية، وصحَّحه الألباني في المشكاة (٣٢٥٤).

منطقة محرمة

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهدُ أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

أما بعد:

عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ الله حرَّمَ عليكم عقوق الأمهات ووأد البنات ومنعاً وهات، وكرِه لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»**[١].

من يستطيع من البشر أن ينسج كهذه الكلمات؟

ومن يستطيع أن يعبِّر بمثل هذا التعبير؟

ومن يستطيع أن ينظم عدة كلمات يحلل فيها ويُحرِّم، ومع ذلك تكون في أجمل عبارة؟

إنَّه رسولنا ﷺ.

---

(١) متفق عليه.

وفي هذا الحديث قضايا:

راوي الحديث المغيرة بن شعبة، وهو ثقفي من الطائف، أسلم مع رسول الله ﷺ وأحبَّ الرسول ﷺ.

فعلَّمه ﷺ من أحاديثه ومن سنته الشيء الكثير.

تميَّز من بين الصحابة بالذكاء الرهيب إلى درجة الدهاء والعبقرية.

قوله ﷺ: «**إنَّ الله حرَّم عليكم**». المحرِّم حقيقة والمحلِّل هو الله، ولا يحقّ للإنسان أن يحلل وأن يحرِّم من عنديَّاته، ولا من عند نفسه، ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾﴾.

فليس للإنسان أن يتبجَّج بتحريم، أو بتحليل، لأن الله سوف يحاسبه وسوف يعاقبه.

أما الفرق بين التحريم والكراهة.. فالتحريم هو المنع وهو ما يثاب تاركه ويعاقب فاعله.

وأما المكروه فهو ما يثاب تاركه ولا يعاقب فاعله.

وقد عطف ﷺ المكروهات على المحرَّمات لأنها أقل منها خطورة.

قوله: «**عليكم**»، المخاطب به الأمة الإسلامية، أمة الاستجابة التي ابتُعث ﷺ إليها، لأن المسلمين هم المخاطبون بفروع الشريعة.

وأما الكافر فلا يخاطب بفرع الشريعة في قولٍ لأهل العلم ولو أنه يُنكَّل به ويُعَذَّب على تركه فروع الشريعة.

فالمقصود هم الذين حضروا هذا الخطاب منه ﷺ.

ويشمل أيضاً: الذين لم يحضروا بحيث كانوا غياباً عن مجلسه أو كانوا في أصلاب أمهاتهم كمثلي ومثلك.

قوله: «**إنَّ الله حرَّم عليكم عقوق الأمهات**». لم يقل: الآباء والأمهات لأمرين:

الأمر الأول: عظم حقّ الأمهات، فإنَّ حقهن عظيم، ولذلك قال بعض العلماء استنباطاً كالحافظ وغيره: للأم ثلاثة حقوق، وللأب حق واحد من الآداب والوقار والعطاء، ولذلك قال ﷺ في الصحيح لما سأله الرجل: من أحقّ الناس بحسن صحابتي يا رسول ﷺ؟

قال: «**أمك**».

قال: ثم من؟

قال: «**أمك**».

قال: ثم من؟

قال: «**أمك**».

قال: ثم من؟

قال: «**أبوك**»[1].

فجعل لها ثلاثة حقوق، وجعل للأب حقًّا واحداً.

الأمر الثاني: لتحقيق السجع الجميل غير المتكلَّف.

فأراد ﷺ أن يقف على: (التاء)، ولو أتى بالآباء لما استقامت السجعة.

أما العقوق ـ أعاذانا الله وإياكم منه ـ فإنه القطع.

يُقال: عقَّ الشجرة، أي: قطعها.

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾.

---

(١) متفق عليه.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ (٢٣)﴾.

وقد ورد تحريم العقوق، والأمر بالصلة في آيات كثيرة، كقول المولى - جلَّت قدرته -: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣)﴾.

ولقد نبَّه ﷺ على عِظَم حقِّ الأم والأب كثيراً كثيراً، ﷺ، حتى قال في الصحيح: «**لا يدخل الجنة قاطع رحم**»(١).

وأولى من يوصل الأب والأُم.

وقد امتاز كثير من السلف ببرهم لوالديهم وخاصة أمهاتهم، وعلى قائمتهم الصحابة رضوان الله عليهم.

وأما من بعدهم فمنهم: ابن سيرين الذي كان إذا جلس معها على المائدة لا يرسل يده حتى ترسل يدها.

فيقول: أخاف أن آخذ لقمة تشتهيها فأكون عاقّاً.

وكان رجل من أهل اليمن يطوف بأمه وهي عجوز وهو يحملها على منكبه في حرارة مكة، فرأى ابن عمر فقال: يا ابن عمر أوفَّيتها حقها؟ قال ابن عمر: لا والله ولا بزفرة من زفراتها.

ولا يفوتنا في هذا المقام قصة الذين انطبقت عليهم الصخرة في الغار والذين كان أحدهما باراً بوالديه، فلم يكن يغبق (أي يشرب) غبوقاً قبلهما، ولا يقدِّم عليهما أحداً من أولاده.

---

(١) متفق عليه.

وعندما جاء ووجدهما نائمين وقف على رأسيهما إلى أن طلع الفجر والشراب بيده[1].

قوله: «**ووأد البنات**» الوأد: دفن البنت وهي حيَّة.

وكان الجاهليون يفعلون ذلك هروباً من عار البنت، فهم يقولون: البنت إذا عاشت كانت عاراً على أهلها.

وهذا منطق سخيف حرَّمه الإسلام وجعله الله سبحانه وتعالى من أعظم الذنوب.

وربما تكون البنت أنفع وأقرب للإنسان من عشرة أولاد.

وقد منح الله لرسولنا ﷺ البنات أكثر من الأولاد.

قال سبحانه: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾﴾.

ويُروى عن عمر ـ والقصة ضعيفة ضعَّفها أهل السير ـ أنه كان يبكي في حياته حتى أثَّر البكاء في خديه خطين أسودين، فقيل له في ذلك.

قال: أبكاني قصة ابنتي، وكانت في الجاهلية عندما ذهبت بها لأدفنها حية، فلما حفرت القبر، وقع الغبار على لحيتي فأخذت وهي صغيرة تبعد الغبار عن لحيتي.

قال: فدفنتها حية وهي تبكي.

وورد عن قيس بن عاصم المنقري أنه أخذ ابنته وقد تربَّت ونشأت وترعرعت وقد قال لأمها: حلِّي فلانة.

فحلَّتها وطيَّبتها وغسَّلتها.

فأخذها بيدها فذهب بها إلى بئر مطوية فرماها فيه!!

---

(١) متفق عليه.

وأحياناً كان الجاهليون يقتلون البنت والولد أيضاً خشية أن يطعم معهما، أي لفقرهما.

فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ﴾، وقال: ﴿خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾.

أي: فإنَّ الرزاق هو الله عز وجل فليس الأب هو الذي يرزق أطفاله.

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٦﴾.

وما ولد مولود إلاَّ وقد تكفَّل الله برزقه.

وبعض الناس يكون فقيراً وهو لا ولد له، فإذا وُلِدَ له أولاد وبنات رزقه الله رزقاً عظيماً.

ولا تدري لعلَّ رزقك الذي يمنحك الله إيَّاه يكون بسبب بنت لك واحدة.

وللفائدة: فأول من أحيا الموؤودة في الجاهلية ومنع أن توأد هو جد الفرزدق الشاعر المشهور.

ولذلك يقول الفرزدق:

وجدي الذي منع الوائدات
وأحيا الوئيد فلم توأد

فكان جده يأخذ الفتاة ويأتي لأبيها الذي يريد ذبحها فيفتديها فيأخذها فيربيها عنده حتى يزوجها.

وهذه الفعلة الشنيعة والحمد لله ليست موجودة في عالم الإسلام، وقد انتهت.

ولكن حدثت أشياء مشابهة لها وهي عملية تحديد النسل.

وفي المسألة تفصيل، وقد تكلَّم فيها بعض كبار العلماء وكتبوا فيها رسائل.

فقالوا: إذا كانت المرأة مريضة ولا تستطيع مواصلة الحمل فإنَّ لها أن تؤجِّل الحمل سنوات حتى تشفى.

أما قطع النسل فهذا هو الممنوع، بأن يكتفي طول حياته بطفل أو طفلين.

وقوله: «**ومنعاً وهات**». المنع: هو أن تمنع الحقوق التي عليك.

والحقوق منها ما هو الواجب، ومنها ما هو المستحبّ.

فالواجب: كالزكاة، والمستحبّ: كالصدقة وغيرها من الحقوق التي جعلها الله عز وجل في مال العبد وفي خلقه وفي شفاعته وفي جاهه وفي منصبه.

فالمنع محرَّم، ويدخل في ذلك البخل.

والبخل أذمّ خصلة وجدت في العبد، حتى قال الله سبحانه تعالى ذامًّا اليهود: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾، قيل: بخيلة، وهم البخلاء عليهم غضب الله.

ولذلك مدح الناس أهل الكرم وأشادوا بهم كثيراً.

وقرأت في ترجمة إبراهيم الخليل عليه السلام أنه كان له عبدان رقيقان يرسلهما عند دخول الليل فيقول: أوقدا ناراً عظيمة لعل الأضياف يقدمون.

فوجدوا ضيفاً كان كافراً فأتوا به، فأدخلوه على إبراهيم ﷺ وصحفة إبراهيم دائماً مليئة بالطعام المبارك وباللحم.

فقرَّبه إبراهيم، وقال: قل باسم الله.

قال الكافر: ما أعرف باسم الله.

فقال إبراهيم عليه السلام: والله لا تأخذ لقمة، كيف لا تعرف باسم الله الذي أقام السموات والأرض؟ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾﴾.

فأخذ عصاه وخرج.

فأوحى الله إلى إبراهيم.. عجباً لك يا خليل الرحمن: هذا الكافر أسقيته وأطعمته سبعين سنة، وأنت ما أطعمته ليلة؟!

فسبحان الجواد الكريم.

قال سبحانه وتعالى: ﴿فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم﴾. يقول: الذي يبخل يبخل على نفسه.

فالبخل: مقيت.

قال بعض أهل الأدب: كان أعظم عيب عند العرب هو البخل.

وسأل ﷺ بني سلمة وهم يسكنون في قباء، قال: **«من سيدكم يا بني سلمة»**؟

قالوا: سيدنا الجد بن قيس على بخل فيه.

قال: **«وهل داء أدوأ من البخل، بل سيدكم الجعد الأبيض عمرو بن الجموح»**[1].

وعند الترمذي بسند فيه كلام: **«السخي قريب من الله قريب من عباده، والبخيل بعيد من الله بعيد من عباده»**.

---

(١) رواه الطبراني (١٩/٨١)، وابن سعد (٣/٢/١١٢)، وانظر: مجمع الزوائد (٩/١٥/٣).

وقد صنف الخطيب البغدادي والجاحظ كتباً في البخلاء وحكاياتهم فتندَّروا عليهم.

والبخل أنواع: أشهرها البخل بالمال، وهو المتعارف عليه عند الناس.

ولكن هناك نوع آخر من البخل وهو: البخل بالعلم والفائدة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾. فهو يبخل بالدعوة، ويبخل بالموعظة، ويبخل بالتوجيه والتربية، وهو عالم ومتعلم وعنده خير.

فهو من صنف البخلاء عند الله.

قوله: «**منعاً وهات**».. «**وهات**»: هو الذي يسأل الناس تكثراً بلا حاجة، فقد ذمَّه ﷺ.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾. وقال ﷺ في الصحيح: «**لأنْ يأخذ أحدكم حبله فيذهب إلى الجبال فيحتطب ويبيع خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه**»[1].

فلا يجوز أن تسأل تكثُّراً عندما يغنيك الله.

قال ﷺ: «**من سألَ الناس تكثُّراً فإنَّما يسأل حجراً، فليستقل أو ليستكثر**»[2].

ويقول ﷺ: «**لا تزال المسألة بالرجل حتى يلقى الله وليس في وجهه مزعة لحم**»[3].

لأنه ما استحيا من الله ثم ما استحيا من خلقه.

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم.

ولا تجوز المسألة للقوي الذي يستطيع أن يزاول العمل.

ولذلك يفاجأ الإنسان ببعض الناس الأقوياء الفتيان الشباب وهو واقف أمام الناس يسألهم.

كان هناك رجل قوي في عهد النبي ﷺ يسأل الناس، فدعاه ﷺ فأعطاه درهمين وأمره أن يشتري فأساً ويحتطب، فعمل بنصيحة الرسول ﷺ.

وبعد شهر أغناه الله عن سؤال الناس.

وكان ﷺ يقول: «**اليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول**»[1]، فاليد العليا هي اليد المعطية، واليد السفلى هي اليد الأخرى.

لأن يد الآخذ دائماً سفلى.

وقد بايع ﷺ جماعة من صحابته ستة أو سبعة على أن لا يسألوا الناس شيئاً، منهم أبو بكر الصديق ومالك بن عوف.

فكان يسقط سوط أحدهم على الأرض فلا يقول للرجل: ناولني السوط، بل ينزل بنفسه فيأخذه.

وقول ﷺ: «**وكره لكم قيل وقال**».

قال العلماء: هو نقل الكلام على وجه الأذية، كأن ينقل الإنسان الكلام للإفساد بين المتحابين وإثارة الفتنة بين الناس.

صحَّ عنه ﷺ أنه قال: «**لا يدخل الجنة قتَّات**»[2]. وهو الذي ينقل الكلام.

وقيل: هو الفارغ الذي يكون بلا عمل، والذي يجلس في مجالس الناس ويقول: سمعت وقالوا، وقلنا ويقولون.

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

وقيل: عدم التثبُّت في النقل.

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾.

فعدم التثبُّت من الأخبار ونقل الشائعات أمر محرَّمٌ على المسلم لقوله سبحانه وتعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴿٦﴾﴾.

وقيل: الردود والجدل. وهم الذين يتشاغلون في حياتهم بالرد والجدل.

وما أعرض قوم عن كتاب الله إلا أوتوا الجدل وأورثوا الجدل.

وقد صحَّ عنه ﷺ أنه قال: «**من حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**»[1]. فإذا تركت ما لا يعنيك كفاك الله عز وجل ما يعنيك وساعدك في أمورك وأيَّدك وسدَّدك.

أما إذا تشاغلت بشيء لا يعنيك، ابتلاك الله عز وجل، فما قمت بما يعنيك.

قوله ﷺ: «**وكثرة السؤال**».

السؤال قسمان:

السؤال المذموم، والسؤال الممدوح.

فالمذموم قد سبق معنا.

والممدوح هو سؤال العلماء، وطلبة العلم والدعاة عن أمور الدين.

قيل لابن عباس: كيف أدركت هذا العلم؟

قال: بلسان سَؤول وبقلب عقول.

(١) رواه الترمذي وصححه الألباني في المشكاة (٤٨٣٩).

وسل الفقيه تكن فقيهاً مثله
من يجر في علم بحرص يَمْهَر

وقال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

لكن يجب على المسلم تجنُّب أمرين عند السؤال:

أن لا يسأل عن المعضلات والألغاز ويكون قصده تعجيز العلماء وطلبة العلم.

والثانية: أن لا يسأل عما لم يقع.

لأن بعض الناس يسأل عن أمور ما وقعت، فيقول مثلاً: من وقف على سماء عرفة ما حكم حجه؟!! وهكذا من الأسئلة التي أخطأ بعض العلماء من الأولين فأدخلها كتب الفقه وشغلَ بها أذهان الطلبة دون فائدة منها.

وأما نهيه ﷺ فهو يلحق بالأول. كقول مالك: هي السؤال عن المعضلات للتعجيز.

ثم قال: «**وإضاعة المال**». فكره الله لنا إضاعة المال وهو صرفه على وجه الإسراف والتبذير.

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾.

وقال جلَّت قدرته: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾.

فإنَّ العبد عليه بالوسط في الإنفاق في أمور الخير، كما أخبرنا بذلك سبحانه وتعالى. فلا يكون مبذراً بذخاً، ولا يكون مقتراً بخيلاً.

رأيت في سيرة جابر بن عبدالله رضي الله عنه وأرضاه، أنه اشترى لحماً من السوق لأهله.

فلقيه عمر، فخاف وأخفى اللحم!

ولكن هل تفوت على عمر؟

قال له: ما هذا؟

قال: لحم أشتهيته فاشتريته.

قال: أكلما اشتهيت اشتريت؟ والذي نفسي بيده إني لأعلمكم بأحسن الأكل، وأطايب الطعام، ولكني أخشى أن أقدم على الله يوم القيامة فيُقال لي: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾.

وهذا لا يعني أنا نحرم على الناس الطيبات، فإنَّ الله يقول: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾.

فكلوا واشربوا ولا تسرفوا.

ثم هناك مسألة: وهي أنه لا بأس بجمع المال، ولا بأس بتحصيله من الوجوه الشرعية لتكف به وجهك وتحفظ به ماء وجهك ولا تترك أسرتك عالة يتكففون الناس.

وفي الأثر: «ما عال من اقتصد»(١).

وقال ﷺ في الصحيح لسعد: «**إنَّكَ إن تترك ذريتك أغنياء خير من أن تتركهم عالة يتكففون الناس**»(٢). والله أعلم.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلَّم.

---

(١) رواه أحمد (٤٤٧/١).

(٢) رواه البخاري.

كلكم راعٍ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، عليه أفضل الصلاة والسلام وعلى آله وأصحابه.

وبعد: يقول الله عز وجل: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾﴾.

المسؤول المسلم أبي، والمسؤول المسلم أخي، والمسؤول المسلم صديقي وحبيبي، فمن واجب النصيحة أن أنصحه، ومن واجب الحق وقبول الحق أن يستمع لي، فإن أصبت فمن الله الواحد الأحد، وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان، والله بريء من الخطأ ورسوله بريء من الزلل، ﷺ.

لهذه الرسالة عناصر ثمانية.. وهي:

الأمانة

قال سبحانه: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾.

● **تعريفها:**

قال بعض العلماء: الأمانة هي لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

وقال آخر: الأمانة هي الإسلام.

وقال ثالث: الأمانة هي رسالة محمد ﷺ..

والصحيح من هذا: أن الأمانة كل ما ائتمنك الله عليه من قليل أو كثير، فهو سائلك عنه يوم العرض الأكبر..

يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم..

قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ﴾.

فالأمانة هنا ما ائتمن الله العبد عليها وظيفة أو غيرها: قَلَّت أو جلت، كبرت أو صغرت. يؤديها عند الله يوم القيامة.

قال بعض السلف: الفروج ومن تَولّى عليها في العقود أمانة.. والأموال ومن كُلف بها أمانة، والولايات أمانة، والرجل في بيته مؤتمَن، والمرأة في بيتها مؤتمنة.. وسوف يأتي ذلك.

لما فتح المسلمون القادسية، ونصرهم الله في القادسية، ورفعوا لا إله إلا الله في القادسية، سُلّم لسعد بن أبي وقاص ذهبٌ وفضة.. واستولى على خزائن كسرى، ولما رآها دمعت عيناه فقال:

﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

فماذا فعل؟ جمع الصحابة والجيش، وقال: هذه أمانة فما رأيكم؟ قالوا: نرى أن تدفعها لعمر بن الخطاب الخليفة.. فما أخذوا منها درهماً ولا ديناراً.

فدفعوا الأموال لعمر، فلما رآها بكى وقال: والله الذي لا إله إلا هو، إن قوماً دفعوها إليّ أمناء.

استقبل أبو بكر رضي الله عنه وأرضاه معاذاً من اليمن، وكان قد أتى ببغال معه، وأتى ببعض المال.. فقال عمر: سلّم ما عندك من مال أحَاسبك، فقال أبو بكر الخليفة: ولكن أنا هو، وهو إياي.. يعني أنا أقول بلسانه وهو يقول بلساني..

فقال معاذ: والله ما أخذت هذا المال إلا متاجرة، وما أخذته من أموال المسلمين.. فتركه عمر، فنام معاذ تلك الليلة، فرأى في المنام أنه يريد أن يهوي إلى نار عميقة، وأن عمر يسحبه بثيابه من على شفا حفرة من النار.

فذهب معاذ إلى عمر في الصباح، وقال له: أحسنت، أصاب الله بك الخير، رأيت كيت وكيت.. فقال عمر: هيا بنا إلى خليفة رسول الله ﷺ، فإن أحلّك في مالك فهنيئاً مريئاً.. وإلا فرُدَّه. فذهبوا إلى أبي بكر فأخبره، فقال: قد أحللته لك، خذه هنيئاً مريئاً. إن عبادتهم كانت أمانة، وإن مراقبتهم لله عز وجل لا تفارقهم ليلاً ولا نهاراً، فهم الذين بلغوا درجة الإحسان.

كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته

في الصحيحين من حديث ابن عمر، قال رسول الله ﷺ: «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، الرجل راع في أهل بيته ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيتها ومسؤولة عن رعيتها**.. ثم ذكر الولاة، ثم قال: **ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**».

إذن، يا أيها الأب في البيت أنت راع.. يا أيها المسؤول، يا أيها الأمير، يا أيها الوزير، يا أيها القاضي، يا أيها الأستاذ، يا أيها العميد. كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته...

تولى عمر بن عبدالعزيز الخلافة، فأتى لينام الليل فذهب النوم، فقالت له فاطمة بنت عبدالملك: يا أمير المؤمنين ألا تنام؟ قال: كيف أنام وقد ولاَّني الله أمر أمة محمد ﷺ، أمر الضعيف، أمر المسكين، أمر الشيخ المسكين، والهرم والعجوز والفقير، فبكت معه.

ونستخلص من هذا أمرين:

أولًا: إن المسؤولية في الإسلام مَغْرَمٌ لا مَغْنَم.. فاصرف نظرك أن تظن أن المنصِب وسيلة لك إلى السعادة، فلن يكون إلا إذا جعلته لله.. وربما رددت عليَّ وقلت: ربما يسعد بعض الناس

بالمنصب أو بالمسؤولية في مال من غير وجهه أو في شهرة أو ظهور..

قلت: هذا مكسب فَقْدُه خير منه، وهو الموت والذبح والقتل، وهو الذي يجعله الله وبالاً على صاحبه.. وهل أهلك فرعونَ إلا المنصب؟ يوم جعله لعنة، يوم جعله مصيبة، يوم جعله محاربة لله، وهل أهلك قارون إلا المال؟ يوم جعله سلاحاً هداماً في وجه رسل الله عليهم الصلاة والسلام.. وهل أهلك أبا جهل إلا الجاه؟ يوم جعله عقبة كؤوداً في وجه لا إله إلا الله محمد رسول الله...

ثانياً: إثم من قصّر في عمله.. اسمع إلى الحبيب ﷺ يقول في الصحيحين: «**ما من عبد يسترعيه الله عز وجل على رعية، يموت غاشاً لرعيته إلا لم يجد عَرْفَ الجنة يوم القيامة**».

أي: ما أعطاها حقها، ما أنصف مظلومها، ما رد ظالمها، ما قضى حوائج أمة محمد ﷺ... إنه حديث عظيم للعموم، ما من عبد قلّت همته أو كبرت إلا يسأله الواحد الأحد يوم العرض الأكبر...

﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾﴾...

الجندي، واللواء، والقائد، والموظف، والداعية، والأستاذ، كلهم مسؤولون....

إذا قيل أنتم قد علمتم فما الذي ... عملتم وكل في الكتاب مرتب
وماذا كسبتم في شباب وصحة ... وفي عمرٍ أنفاسكم فيه تكتب
فيا ليت شعري ما نقول وما الذي ... نجيب به إذ ذاك والأمر أصعب
إلى الله نشكو قسوة في قلوبنا ... وفي كل يوم واعظ الموت يندب

حضرت الوفاة عبدالملك بن مروان الخليفة، فلما أصبح في سكرات الموت، ذهبت البنود والجنود والرايات والشارات والعلامات والذهب والفضة والدور والقصور.. فقال: لا إله إلا الله، يا ليتني ما

عرفت الخلافة... يا ليتني ما توليت المُلك... يا ليتني كنت غسَّالاً..

قال سعيد بن المسيب يعلِّق على هذه القصة التي ذكرها الذهبي: الحمد لله الذي جعلهم يفرون إلينا في سكرات الموت ولا نفر إليهم.

إثم من قصَّر في عمله:

صحَّ عنه ﷺ عند مسلم في الصحيح أنه قال: «**اللهم من وليَ من أمر أمتي شيئاً فشقَّ عليهم فاشقُق عليه.. ومن وليَ من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به**».. وهذا حديث عظيم...

ومعنى ذلك: يا رب من شقَّ على أمتي، فحبس صاحب الحاجة، وأخّر صاحب الطلب، وأغلظ في الخطاب، وأضنى المسلمين، وأتعب المسلمين، فأتعبه يا رب يوم العرض الأكبر، يوم لا حاكم إلا أنت، ولا مُنصف إلا أنت، ولا حُكم إلا لك.. ويا رب من تولى أمراً صغيراً أو كبيراً، فرفق بالأمة، ورحم ضعيفها، وقضى حوائجهم، وحنَّ عليهم، وتلطَّف معهم، وصبر على أذاهم، فارفق به يوم العرض الأكبر، يوم تتطاير الصحف، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم...

قال ﷺ: «**إن شرَّ الرِّعاء الحُطمة**».. حديث رواه أبو داود والترمذي بسند صحيح.

والرعاء: جمع راع، وهو من ولاَّه الله مسؤولية على المسلمين ولو في مكتب ولو على اثنين، ولو على دائرة، ولو على مصلحة صغيرة. والحُطمة: استُخدم أصلاً في اللغة لقائد الإبل أو راعي الإبل إذا حطم الإبل ولم يحسن سياستها ورعيتها، فحطم بعضها ببعض وأهلكها، فهذا من شر الرِّعاء.

دخل عائذ بن عمرو على عبدالله بن زياد الوالي، فقال: يا أيها

الأمير، ارفق بالأمة، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن شرَّ الرِّعاء الحطمة**».. وهو الذي لا يرفق بالأمة..

وهو الذي يعسف بالناس، وهو الذي لا يقضي حوائج الناس على الوجه المطلوب....

واسمع إلى حديث عظيم رواه أبو داود والترمذي..

قال ﷺ: «**من ولَّاه الله شيئاً من أمر أمتي أو من أمر المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلَّتهم وفقرهم، احتجب الله دون حاجته وفقره وخلَّته يوم القيامة**».. حديث صحيح....

أي من ولاه الله مسؤوليةً في الأمة، فاحتجب وأوصد الباب وقطع الطرق إليه، وعطّل المسؤولية، ولم يقم بالواجب، وأخّر المراجعين وأخّر المحتاجين، وكبت المساكين، احتجب الله دون حاجته، أي ما يحتاجه يوم القيامة، أي مشقته أو حاجته الداخلية يوم العرض الأكبر..

احتجب هنا الله أعلم به، نثبته لله، وهو حجاب خاص يليق بجلاله، يحتجب به عمن احتجب عن حوائج المسلمين، وهذا الجزاء من جنس العمل كما احتجب عن الأمة، كما عطّل معاملات الأمة، كما أخَّر الأمة.. يعطِّله الله يوم العرض الأكبر، ويؤخِّره الله في العَرَصَات، ويحتجب دون حاجته، فلا يرفع حاجته، ولا يجيب دعوته، ولا يسد عوزه، ولا يغني فقره، ولا ينهي مقصده، فيبقى في الأذلِّين الخاسرين..

ويا لخسارة من ظَلَمَ يوم العرض الأكبر، يوم يقول الله: لمن الملك اليوم، فيجيبُ نفسه بنفسه ..لله الواحد القهار..

إلى الرحمن يوم الحشر نمضي ... وعند الله تجتمع الخصوم
أما والله إن الظلم شَيْن ... وما زال المشين هو الظلوم

قيل لخالد بن يحيى البرمكي: ما الذي أذلَّكم بعد العزّ؟

فقال: دعوة مظلوم سرت في ظلام الليل رفعها الله على الغمام وقال: «**وعزتي وجلالي لأنصرنَّك ولو بعد حين**».

دعوة مظلوم سرت في ظلام الليل سارت تهدى رافعاً ذارها

قيل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: كم بين العرش والتراب؟ فقال: دعوة مستجابة من مظلوم، يرفعها الله على الغمام، ويقول: «**وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين**»..

وفي الصحيحين أن الرسول ﷺ أرسل معاذاً إلى أهل اليمن فقال له في آخر الحديث: «**وتوقَّ كرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**»..

الإمام أحمد ظُلم، ظلمه ولاة السوء أهل البدعة، لما ظلموه تولى ظلمه أحمد بن أبي دؤاد.. أحد أهل البدعة.. وابن الزيات، فقال الإمام: اللهم عذِّبه في دنياه، اللهم اسلب عنه نعمته، وقال لأحمد بن أبي دؤاد: اللهم احبسه في جسمه.

فأحمد بن أبي دؤاد أصابه الفالج فشُلّ نِصْفه، فكان يبكي ويقول: أما نصفي هذا فلو قُرض بالمقاريض ما شعرت به، وأما نصفي هذا فلو وقع عليه الذباب لظننت أن القيامة قامت..

وأما ابن الزيات فأغضب الله عليه الخليفة، فقطع يديه، وأدخله فرناً حاراً، وسمّر المسامير في أذنيه!!

ومن قصّر في عمله.. فإنه يستوجب دعاء المظلومين، ودموعهم الحارة..

فكم وراء الأبواب من مظلوم ومحتاج ومقصِّر ما يستطيع رفع حاجته ولا إيصال معروضته ولا كتابته.. وهذا واجب المسؤول الذي

يعلم أنه يُحشر عرياناً يوم العرض الأكبر على الله.. ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ﴾.

مَثّل لنفسك أيها المغرور   يوم القيامة والسماء تمور
يوم يشيب لهوله الولدان   من أسف ويأكل كفه المثبور
كيف الذي يخاف لهوله   ذا بلا ذنب مرّت عليه دهور

كيف الذي مرت عليه سنوات وهو ظالم؟ ظالم في عمله، لا يؤديه على أكمل وجه، ما نصح لولاة الأمر، ولا نَصَح للرعية، ولا نصَح في الوقت، ولا نصَح بينه وبين علاَّم الغيوب الذي لا يعلم السرَّ والأخفى من السر إلا هو.

أجر من أتقن عمله:

قال ﷺ: «**إن الله يحب من أحدكم إذا عمل عملًا أن يتقنه**»(١).

ما أحسن هذا الحديث! وهذا يدخل في كل جزئية من جزئيات الحياة.

والإتقان عند أهل العلم: أن تؤدي العمل على أحسن وجه، فالإتقان في التعليم أن تعلم تعليماً يقبله الله عز وجل، ويستفيد منه المسلمون، وتلقى به الله عز وجل وأنت صادق.

والإتقان في التجارة، والإتقان في الوظيفة، والإتقان في المنصب، والإتقان في المتجر، والإتقان في المزرعة.

فالله يحب العبد أن يتقن العمل، أما إذا قدّمت العمل معوَجّاً في الوقت، ومعوجّاً في الأداء ومعوجّاً في الحسن، فلن يقبله الله عز وجل، لأن الله طيّب لا يقبل إلا طيباً.

---

(١) رواه البيهقي، وسنده حسن.

وفي الصحيحين عنه ﷺ أنه قال: «**سبعة يظلهم الله يوم القيامة في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله**» وذكر منهم إمام عادل.

وهكذا كل راع استرعاه الله عز وجل يوم يشتد الكرب على النفوس، وتدنو الشمس من الرؤوس، ولا حَكَمَ إلا الله، فينادي الله عز وجل: أين ولاة الأمر العدول، فيقوم المسؤولون فيظلهم الله في ظل العرش لأنهم صدقوا مع الله الواحد الأحد..

فلذلك يقول أهل العلم: نرجو أن يكون عمر بن عبدالعزيز مع الخلفاء الراشدين لأنه من أئمة العدل، ومن الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، في مسؤوليته وفي ولايته رضي الله عنه وأرضاه.

وصح عنه ﷺ عند مسلم في الصحيح أنه قال: «**إن المقسطين عند الله على منابر من نور، الذين يعدلون في عملهم وأهليهم وما ولُّوا**».

فاعمل لدار غداً رضوانُ خازنها   الجار أحمد والرحمن بانيها
قصورها ذهبٌ والمسك طينتها   والزعفران حشيشٌ نابت فيها

وقال ﷺ كما عند مسلم في الصحيح: «**أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقصد موفق، والثاني رجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى، ومسلم عفيف متعفِّف ذو عيال**».

والشاهد، ذو سلطان مقسط موفق، أي المؤتمن العادل الذي قام بالأمانة على وجهها فهو من أهل الجنة.

وفي بعض الآثار: عدلُ يومٍ خيرٌ من عبادة سبعين سنة...

كم يؤجر العبد الذي يوليه الله أمراً من أمور المسلمين، فيحكم في الأمة بالشريعة، ويقيم سيف العدالة، ويحرس طرق الناس، ويحرس مدن الناس.

وانظر إلى آثار تطبيق الشريعة في بلادنا والحمد لله. ننام ونهدأ ولا طارق يطرقنا، ولا سارق يسرقنا، ولا ناهب ينهبنا، ولا سالب يسلبنا.. هذه آثار العدل والله، أقولها بجدارة من قلبي، لأنني رأيت أمم الغرب التي أعرضت عن منهج الله، وتطبيق كتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ. ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

لما أعرضوا عن تحكيم الشريعة، عاشوا الرعب، عاشوا القلق، عاشوا الاضطراب.. هنا سلب، وهنا نهب، وهنا قلق، وهنا قتل، وهنا سفك للدماء، لكن لما حُكِّم عندنا الشرع الشريف، والكتاب والسنة، أصبحت الجزيرة العربية شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، يسير السائر فيها لا يخاف إلا الله مطمئناً، يحمل المال رالذهب، أهله معه، ومحارمه في سيارته، لأن اللِّصَّ والسفَّاك والمجرم، يعرف أن هناك سيفاً مسلولاً بجانب المصحف، إذا اعتدى بتره السيف.

السيف أصدق إنباء من الكتب   في حدِّه الحدُّ بين الجدِّ واللعب

﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾.

حياة أمن ورغد، تذهب إلى البنك وتأخذ مالك في حقيبتك في الشارع والناس يرونك، ولا يجرؤ أحد أن يعتدي.. لكن افعل هذا في نيويورك أو في لوس أنجلوس، والله ما تجرؤ، فالليل هناك يتحول إلى عصابات من الفتك والإجرام، فتمسك بيدك على قلبك من السفك والسلب والنهب.

طاعة المسؤول من طاعة الله

يقول عثمان رضي الله عنه وأرضاه: إن الله لَيَزَعُ بالسلطان ما لا يزع بالقرآن.. أي إن الله يردع بالسلطان ما لا يردع بالقرآن..

أتظن أن الناس يرتدعون بالآيات البيِّنات كلهم؟ المجرم لو قرأت عليه القرآن ثلاثين مرة لم يرتدع، ولكن إذا وجد سلطاناً وسيفاً وحديداً ارتدع، فالسلطان ظلُّ الله في الأرض، من أهانه أهانه الله.

عند أحمد في المسند: ثلاثة حقٌّ على المسلم توقيرهم: حامل القرآن غير الجافي فيه ولا الغالي، وذي الشيبة المسلم، والسلطان المقسط، يكرمهم الله، وحقهم أن تكرمهم وتوقرهم، لأنهم حملوا مواصفات حسنة واتقوا الله فيها.

قال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾.. أي في طاعة الله، فإذا عصى الله فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

وفي الصحيح أن الرسول ﷺ كان إذا بايع الصحابة قال: «**فيما استطعتم**».

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه في أول خطبة رنَّانة له في

أول يوم تولَّى فيه الخلافة: أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإن عصيت الله فلا طاعة لي عليكم..

قال ﷺ في الصحيحين: «**من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصا الله، ومن أطاع الأمير فقد أطاعني، ومن عصا الأمير فقد عصاني**».

وهذا أمر لا بد أن يُعلم، فما قلته من نفسي، وإنما قاله أبو القاسم ﷺ.. ونحن ليس لنا قول معه، يُحتج بقوله على الأقوال، ولا يُحتج بالأقوال على قوله.

قال ابن مسعود: يا رسول الله إذا أدركنا ولاة لا يعطوننا حقَّنا. قال: تؤدون الحق الذي عليكم، وتسألون الله الذي لكم، فإن الله سوف يسألهم عن حقكم، ويسألكم عن حقهم، أو كما قال ﷺ.

عدم الحرص على المنصب:

قال ﷺ في الصحيحين: «**يا عبدالرحمن بن سمُرة، لا تسأل الإمارة، فإنك إن أُعطيتها عن مسألة وُكِّلت إلى نفسك، وإن أُعطيتها من غير مسألة أُعنت عليها**».

أي إذا أُجبرت وعلم الله أنك لا تريدها، فأوتيتها، أعانك الواحد الأحد عليها. أما إذا حرصت عليها، فإنك لا تعان، لأن الحرص على الولاية، وطلبها لغير مقصد شرعي، ينبىء أن هناك مقاصد الله أعلم بها، إما للسلب أو النهب أو للمال أو السرقة أو التشفي من المسلمين..

ولذلك صحَّ عنه ﷺ أنه قال: «**إنا لا نعطي هذا الأمر من حرص عليه**».

فهذه الولاية، وهذه المسؤولية، لا نعطيها رجلاً يطلبها، رجلاً

يحرص عليها، فإذا رأيت الرجل يطرد وراءها فاعرف أن وراءه شيء. كاد المريب أن يقول خذوني. أما إذا ظهر مقصده الشرعي الصحيح، وعلم الله صدقه، أعانه الله عز وجل على هذا المنصب.

قال سبحانه وتعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾.

فيجعل الله العاقبة لمن اتقى الله في المنصب وسدَّد وقارَب.

أول مرسوم أخذه عمر وفعل به في الخلافة، أتدري ما هو؟ قال: بسم الله الرحمن الرحيم، من عمر بن الخطاب أمير المؤمنين، إلى عبيدة عامر بن الجراح، أما بعد، فتولَّ إمرة الجيوش واعزل خالداً!

خالد بن الوليد سيف الله، الذي خاض مِائة معركة.

تسعون معركة مرَّت محجلة — من بعد عشر بنان الفتح يحصيها
وخالد في سبيل الله مشعلها — وخالد في سبيل الله مذكيها

فأتت الرسالة إلى أبي عبيدة فبكى، لأنه سمع بموت أبي بكر، وسمع بيان هذا المرسوم، فلفَّ الرسالة ـ والمسلمون في المعركة ـ فأخبر خالداً وقال: أنا لا أريد الإمارة وأنت أحق مني. فقال خالد: بل أنت أحق بالإمارة مني، وقبَّل رأس أبي عبيدة وقال: أنا لا أعمل لعمر، أنا أعمل لله أميراً أو جندياً، وسوف أقاتل لله اليوم مثلما قاتلت لله بالأمس، فبقي في الجيش من عرض الجنود... ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾.

وعند مسلم في الصحيح أنه ﷺ قال: «**يا أبا ذر إنك رجل ضعيف وإنها أمانة، وإنها خزي وندامة يوم القيامة**» يعني الإمارة. والسبب أن أبا ذر قال: يا رسول الله، ولَّيت فلاناً، وولَّيت فلاناً، وولَّيت فلاناً، وتركتني.

ولذلك سئل الإمام أحمد، أيوَلّى على المسلمين القوي الفاجر، أو التقي الضعيف؟ فقال: بل يولَّى عليهم القوي الفاجر، لأن قوته للمسلمين وفجوره على نفسه، وأما الضعيف التقي، فضعفه على المسلمين، وتقواه لنفسه.

وابن تيمية يرى هذا ويقول: وقد ولى الرسول ﷺ في بعض الولايات خالد بن الوليد وفي الصحابة من هو أفضل منه، كأبي ذر وفلان وفلان، لكن كان خالد أجدر بالأمر، وأقوى في تنفيذ الأوامر، وأحسن سياسة، فولاَّه.

وقال أبيّ بن كعب لعمر: يا أمير المؤمنين، تُولي الصحابة جميعاً حتى الأنصار وتتركني؟ فقال عمر: يا أبا المنذر، والله الذي لا إله إلا هو، إنك من أحب الناس إليّ، ولكنني لا أريد أن أُدَنِّسَك بالدنيا.

ولذلك يصفون أبيّ بن كعب فيقولون: كانت لحيته بيضاء، وجسمه أبيض، ورأسه أبيض، وثيابه بيضاء ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾.

وعند البخاري أن الرسول ﷺ قال: «**إنكم ستحرصون على الإمارة، وإنها خيبة وندامة يوم القيامة**». فكان أحد الصحابة إذا ذكر هذا الحديث يبكي ويقول: والله قد حرصنا عليها حتى قتلَ بعضنا بعضاً عليها.

الحرص على اتخاذ البطانة الصالحة

قال الرسول ﷺ في صحيح البخاري: **«ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا قيّض الله له بطانتين، بطانة تأمره بالخير وبطانة تأمره بالسوء، فمن أراد الله به خيراً قيّض الله له من يأمره بالخير وينهاه عن السوء، ومن أراد به السوء قيّض الله له من يأمره بالسوء وينهاه عن الخير»**.

والبطانة: الرجل القريب منك قُرْب بطانة الثوب من الثوب.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾.

وقال ﷺ عند الترمذي بسند لا بأس به[1]: **«لا تصاحب إلا مؤمناً»**.

أول ما تولّى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وأرضاه، جاء فحجب الحاجب، فقال: اعزل نفسك، قال: ولم؟ قال: رأيتك تتستر في ظل الخيمة والناس في الشمس في عهد الوليد بن عبدالملك، والله

---

(١) صحيح الترمذي للألباني (١٩٥٢).

ما تكون لي حاجباً أبداً.. تعالَ يا فلان تعال أنت حاجبي، فقد رأيتك تُكثر من قراءة القرآن وتصلي الضحى في مكان لا يراك إلا الله.

وقد كان رحمه الله يقدّم الناس بقدر تقواهم، فقد وفد عليه ثلاثة، فقال للأول: ابن من أنت؟ قال: أنا ابن الأمير الذي كان في عهد الوليد. فقال عمر: اغرب عني فإن أباك كان يجلد المسلمين.. ثم قال للثاني: وأنت ابنِ منِ؟ قال: ابن والي الكوفة لفلان.. فقال: دعني منك ومن أبيك.

ثم قال للثالث: وأنت ابن مَنْ؟ قال: أبي قتادة بن النعمان الذي ضُرب في عينه يوم أحد. ضَرَبَه مشرك فسالت عينه على خدِّه فردَّها محمد ﷺ فكانت أجمل من الأخرى.. ثم قال الفتى:

أنا ابن الذي سالت على الخد عينه ... فرُدَّت بكف المصطفى أحسنَ الردِّ

فبكى عمر بن عبدالعزيز فقال:

تلك المكارم لا قُعبان من لبن ... شيبا بماء فعادت بعدُ أبوالا

يقول: من أراد أن يفتخر فليكن مثلك، أنت النسب، وأنت التقي، وأنت البطل.

جاء رجل في عهد علي بن أبي طالب وقال:- يا أمير المؤمنين.. ما للناس أطاعوا أبا بكر وعمر وما أطاعوك أنت؟

فقال علي ـ وكان ذكياً ـ: كان الرعية في عهد أبي بكر وعمر أنا وأمثالي، وكان الرعية في عهدي أنت وأمثالك!!

إذا عرف هذا فقد صحَّ عنه ﷺ أنه قال: «**المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالِل**»(١).

---

(١) رواه أحمد والترمذي وأبو داود، وصحّحه النووي. وأما الألباني فضعّفه في المشكاة (٥٠١٩).

ولذلك تجد الصالح يأنس للصالحين، فسائقه صالح، والسكرتير صالح، وأمين المكتب صالح، والمتصل صالح، والموزِّع صالح، فيأنس لهم بخلاف الذين تولوا عن منهج الله.

آداب المسؤول المسلم:

للمسؤول المسلم أربعة آداب:

أولها: الإخلاص في العمل وإرادة وجه الله به. قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾، وقال: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾.. فجلوسه على المكتب، وفي الفصل، وفي المعمل، وفي الوظيفة، أمانة وعبادة، إذا احتسبها عند الله عز وجل، فهي من أعظم العبادات.

فإن الصحابة ما خرجوا كلهم يتنفَّلون في بقية أوقاتهم، بل كانوا يؤدون الفرائض، ثم يذهب هذا أميراً، وهذا والياً، وهذا خليفة، وهذا راعياً، وهذا مسؤولاً فيأجرهم الله على ذلك..

فالله الله في الصدق، وفي طلب ما عند الله من الأجر، فإن الله يُعظم الأجر بقدر العمل.

فيا أيها المسؤول أوصيك ونفسي بمخافة الله، وبالصدق مع الله وبمحاسبة نفسك قبل أن تحاسب يوم العرض الأكبر.. حاسِب نفسك في أداء الأمانة.. وفي الوقت، وفي إعطاء العمل حقه.

الثاني: الرفق بالمسلمين، فأنت تتعامل مع موحِّدين، وأنت تتعامل مع عباد الله.

وفي بعض الآثار: «**المسلمون عيال الله، فأقربهم إلى الله أنفعهم إلى عياله**»[1].

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان، وضعَّفه الألباني في المشكاة (٤٩٩٨).

الثالث: حسن الخلق، والبشاشة.. فنحن نطالب المسؤول المؤتَمن أن يبشَّ في وجوه المسلمين.

فقد صحَّ عنه ﷺ أنه قال: «**تبسُّمك في وجه أخيك صدقة**»[1] فإذا سلّم رُدَّ عليه السلام، وقم للشيخ الكبير، وأنزل التقي منزلته، ورحّب به، وحيِّه، وكن داعية في مكتبك وفي عملك وفي مسؤوليتك لتثني عليك الألسنة، وتدعو لك القلوب، وتحبك الأرواح، ويجعلك الله ولياً من أوليائه.

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم ... فطالما استعبد الإنسانَ إحسانُ

وقد كان ﷺ إذا وفدت عليه الوفود يقول: «**ممن القوم**»؟، وكان يقول: «**إذا عرف أحدكم أخاه فليسأله عن اسمه وعن نسبه، فإنه أصل المودة**» رواه الترمذي بسند ضعيف.

قال الشاعر:

أُحادث ضيفي قبل إنزال رحله ... ويخصب عندي والمكان جديب
وما الخصب للأضياف أن يكثر القِرَى ... ولكنما وجه الكريم خصيب

وفي الحديث: «**إنكم لا تَسعون الناس بأموالكم، ولكن ليسعهم منكم حسن الخلق**»، رواه الحاكم وصحّحه.

الرابع: قضاء الحوائج، والحرص على إنهاء متطلبات المسلمين، فإن صاحب الحاجة مجنون بها حتى تُقضى، وهو مشغول بها ليل نهار.. أما تدري أن صاحب الحاجة يظن أن الدنيا كلها في هذه الحاجة؟ فهو ينام الليل وهي في ذهنه، ويقوم النهار وهي في ذهنه، فإذا قضيتها سهَّل الله لك حوائجك، وقضى الله لك حوائجك،

(١) رواه الترمذي، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (١٤٩٥).

ويسَّر الله لك أمورك.. وأما التسويف، أو المماطلة للمسلمين، أو تعطيل أمورهم فليس بوارد عند من يخاف الله ويريد الدار الآخرة.

وفد رجل على علي رضي الله عنه فطلبه حاجة، قال: الحمد لله الذي جعلك صاحب الحاجة ولم يجعلني صاحب الحاجة، لأقضينّها إن شاء الله. فقضاها، فقال الرجل:

كسوتني حُلَّة تبلى محاسنها لأكسُوَنَّكَ من حُسن الثنا حُلَلا

فالثناء الجميل من الناس عليك مكسب لا يعدله أي مكسب، ولم أر كالإحسان، أما مذاقه فحلو، وأما وجهه فجميل، وقد كاد الجميل أن يكون رجلاً، ولو كان رجلاً لكان حسناً، وكاد أن يكون نبتاً ولو كان نبتة لكان وردة.

قال أبو جعفر المنصور الخليفة العباسي الداهية لجلاّسه وسُمَّاره: ما أحسنُ بيت قالته العرب؟ قالوا: ما ندري، قال: قول القائل:

الخير أبقى وإن طال الزمان به والشر أخبث ما أوعيت من زاد

جاء أعرابي إلى ابن عباس فقال: يا ابن عباس قد أحسنتُ إليك إحساناً فكافئني، قال: ماذا فعلت يا أخا العرب؟

قال: رأيتك قبل عام تشرب من زمزم وقد أصابتك الشمس فظلَّلتك عن الشمس.

فقال: يا غلام أعطه مائة دينار واكسه حلة. وقد قصَّرنا، ولكن يكافئك الله على ما قدَّمت لنا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلِّ اللهم على محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

إلى الموظف المسلم

الحمد الذي كان بعباده خبيراً بصيراً، وتبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً.

أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بعثه ربه هادياً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.

إذا قيل أنتم قد علمتم فما الذي
عملتم وكل في الكتاب مرتب
وماذا كسبتم في شباب وصحة
وفي عمرٍ أنفاسكم فيه تكتب
فيا ليت شعري ما نقول وما الذي
نجيب به إذ ذاك والأمر أصعب

أيها الموظف المسلم، إن الله استرعاك على رعية واستأمنك على أمانة وحمّلك مسؤولية، فيقول جل ذكره: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾.

وهذه الأمانة كل ما كلّفنا الله به من عمل فهو أمانة.. الموظف مؤتمَن.. والمدرس مؤتمَن.. والتاجر مؤتمَن. والعالم مؤتمَن..

والقاضي مؤتمن.. كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته.

أيها الموظف المسلم، إنك تختلف عن الموظف الكافر تماماً.. إن الموظف الكافر يعمل من أجل الدنيا ويراقب الناس ويخاف الناس.. لا يراقب إلا هذه الحياة الدنيا، أما أنت.. يا مؤمن.. يا مسلم.. فإن رقيبك الله وحافظك الله، ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾.

ويقول سبحانه: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (٩٣)﴾ قال بعض المفسرين: عن: لا إله إلا الله.

وقال غيرهم: عن الإيمان.

وقال الثالث: عن كل ما استرعاك الله عليه وهو الصحيح.. فوالذي نفسي بيده يا أيها الموظف، ليسألنك الواحد الأحد في يوم تشيب فيه النواصي عن وظيفتك.. وعن عملك.

يقول سبحانه: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ (٨)﴾.

إذا كانت الذرَّة الحقيرة تُسأل عنها عند الله فما بالك بقوم ضيَّعوا الله في أعمالهم.. ونسوا الله في وظائفهم؟

خرجوا من الدوام في غير طاعة.. وأسرفوا في أعمالهم.. وحبسوا المؤمنين والمسلمين بأبوابهم.. يقول سبحانه: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾.

قال أهل العلم: تجد النفس ما قدَّمت من خير.. وما قدَّمت من سوء.

فماذا تقول لربك أيها الموظف المسلم إذا نشر لك الصحف، وعرض عليك الصحائف، ورأيت أفعالك السوداء، وخروجك من دوامك.. وتأخيرك للمسلمين.. وتنغيصك لحياتهم؟

ولذلك جعل الله عزّ وجل من نفسه رقيباً على العبد، يقول سبحانه وتعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾.

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل
خلوت ولكن قل عليّ رقيب
ولا تحسبن الله يغفل طرفة
ولا أن ما يخفى عليه يغيب

إذا خفيت عن المسؤول.. أو عن الأمير.. أو عن الوزير.. فلن تخفى عن الله.

مرَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه براعٍ يرعى غنماً فقال له: بع لي شاة من غنمك، يريد أن يمتحن إيمانه ويمتحن صدقه مع الله.

قال الراعي: يا أمير المؤمنين الغنم لسيدي.

قال عمر: إذا سألك سيدك عن الشاة فقل أكلها الذئب.

قال الراعي: الله أكبر.. فأين الله؟

فجلس عمر يبكي ويقول: صدقتَ والله.. فأين الله؟

هل قال الموظف المسلم لنفسه: أين الله؟

وهل قال المسؤول لنفسه: أين الله؟

تولّى أبو بكر الخلافة وفي أول خطبة خطبها على المنبر بكى وأبكى الناس وردّ البيعة على المسلمين فردوا بيعتهم في عُنُق أبي بكر فأخذها.

ذكر أهل السيرة أن عمر قال: كنت أتفقد أبا بكر بعد كل صلاة فجر فإذا هو يخرج من المسجد إلى ضاحية من ضواحي المدينة.. فذهبت وراءه يوماً من الأيام.. فدخل أبو بكر خيمة ومكث فيها ساعة ثم خرج.

فلمَّا خرج دخل عمر بعده إلى الخيمة، فوجد عجوزاً وأطفالها، فقال للعجوز: يا أمة الله من أنت؟

قالت: أنا عجوز حسيرة كسيرة عمياء، مات أبونا منذ سنوات.

قال: ومن هذا الشيخ الذي يدخل عليكم؟ قالت: لا أعرفه!!

لا تعرف أبا بكر... ولكن الله يعرف أبا بكر.

قال عمر: ماذا يفعل؟

قالت: يدخل عندنا فيكنس بيتنا، ويحلب شياهنا، ويصنع لنا طعامنا، ثم يخرج.

فضرب عمر بيده على رأسه وبكى وقال: يا أبا بكر لقد أتعبتَ الخلفاء بعدك.

من يفعل مثل هذا الفعل؟ من يتفقَّد مثل هذا التفقُّد؟ من يخدم مثل هذه الخدمة؟ إنه الصدِّيق الأكبر.

ولما مات أبو بكر قال لأهله: خذوا هذه البغلة وهذه الثياب.. والله ما لبست من ثياب المسلمين.. ولا أكلت من طعامهم، واذهبوا بهذه البغلة والثياب إلى عمر بن الخطاب وقولوا: يا عمر هذا بقية ميراث أبي بكر، فاتق الله يا عمر في أموال الأمة، لا يصرعنَّك الله مصرَعاً كمصرعي.

فلما تولى عمر الخلافة أصابه عام الرمادة مع المسلمين فوقف جائعاً شاحباً هزيلاً محتاجاً.. يقول على المنبر يوم الجمعة وبطنه يقرقر

من الجوع: قرقر أو لا تقرقر، والله لا تشبع حتى يشبع أطفال المسلمين!

ويبكي ويقول: والله الذي لا إله إلا هو، لو عثرت بغلة على ضفاف دجلة في العراق لخشيت أن يسألني الله يوم القيامة عنها لِمَ لم تُصلح لها الطريق يا عمر؟

هذه مراقبة الواحد الأحد، ولذلك قال ﷺ فيما صحَّ عنه: «**اللَّهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فشَقَّ عليهم فاشقُق عليه**».

فالجزاء من جنس العمل.. يوقفه الله نادماً خاسئاً صغيراً حقيراً يوم لا حاكم إلا الله.. ولا منتصِف إلا الله، يوم ينادي بصوت يسمعه من قَرُب كما يسمعه من بَعُد: لمن الملك اليوم؟ لمن الملك اليوم؟ لمن الملك اليوم؟ فيجيب نفسه بنفسه ويقول: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَاحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾.

وصح عنه ﷺ أنه قال: «**من ولَّاه الله أمراً من أمر أمتي فاحتجبَ عن خلَّتهم وحاجتهم احتجب الله عن خلَّته وحاجته يوم القيامة**»[(١)].

والمعنى: من تولَّى أمراً صغيراً أو كبيراً فأوصد أبوابه واعتذر بالمعاذير عن عمله وعطّل أعمال الناس وأضر بهم وأبطل مقاصدهم ونغّص معاملاتهم، احتجب الله عن حاجته وخلَّته يوم العرض الأكبر.. فلا يقضي الله له حاجة ولا يرحمه برحمته جزاء ما فعل بالأمة الإسلامية.

أرسل عمر بن الخطاب سعيد بن عامر إلى حمص والياً وأميراً، وكان سعيد بن عامر من أزهد الناس ومن أعبد الناس وأصدق الناس مع رب الناس.. فذهب سعيد بن عامر فتولَّى ولاية حِمص، ومكث عندهم سنوات، وكان من خيرة الناس يعيش عيشة الفقير.

---

(١) صحيح أبي داود (٢٥٥٥).

فمرَّ عمر على الأمراء يسألهم ويسأل الرعايا عنهم. . فيحاكمهم أمام الناس. . فلما وصل إلى حمص سأل أهل حمص عن سعيد بن عامر فقالوا فيه خيراً. . من أصدق الناس. . وأعبد الناس. . ومن أزهد الناس. . لولا أربع خصال فيه.

قال عمر: وما هي؟

قالوا: لا يخرج لنا حتى يتعالى النهار - يعني يتأخر في دوامه -.

قال عمر: هذه واحدة.

قالوا: وله يوم في الأسبوع لا يخرج إلينا فيه.

قال: والثالثة؟

قالوا: لا يخرج إلينا بليل مهما طرقنا عليه.

قال: والرابعة؟

قالوا: إذا كان في مجلس الحكم أُغمي عليه حتى يُرشّ بالماء.

قال عمر، وقد ترقرقت عيناه بالدموع: اللهم لا تخيِّب ظني في سعيد بن عامر. . قم يا سعيد ردَّ عن نفسك. . والرعية جلوس.

قال: والله لوددت أن أستر هذا العمل، فأما قولهم يا أمير المؤمنين أني لا أخرج إلا إذا تعالى النهار فامرأتي مريضة وليس لي خادم، فأكنس بيتي وأصنع طعام داري، وأصلي الضحى ثم أخرج إليهم.

قال: وأما قولهم أني لا أخرج لهم بليل، فقد جعلت لهم النهار وجعلت لربي الليل، أصلي وأدعو الله حتى السحر.

قال: وأما قولهم أن لي يوماً لا أخرج فيه إليهم، فيومٌ أغسل ثيابي فيه فلا أجد ما أخرج به.

قال: وأما قولهم أنني يُغمى عليّ، فإنني حضرت مقتلَ خبيب بن عدي في مكة وهو مسلم وأنا مشرك فما نصرته، فكلما تذكرت ذلك اليوم أغمي عليّ.

فتهلّل وجه عمر وقال: الحمد لله الذي لم يخيّب ظني فيك.

قال سعيد بن عامر: يا أمير المؤمنين والله لا أتولى لك ولاية بعدها أبداً.. ثم ترك الولاية وخرج.

فيا أيها الموظف المسلم.. ويا أيها المسؤول المسلم، اعلم إذا جلست على كرسيِّك أن الله سيُجلسك يوم العرض الأكبر فيسألك عما فعلت وعمّا تصرفت، ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾، ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾.

يا رب عفوك لا تأخذ بزلّتنا
وارحم أيا رب ذنباً قد جنيناه
كم نطلب الله في ضرٍّ يحل بنا
فإن تولّت بلايانا نسيناه
ندعوه في البحر أن يُنجي سفينتنا
فإن رجعنا إلى الشاطىء عصيناه
ونركب الجو في أمن وفي دعة
فما سقطنا لأن الحافظ الله
كن كالصحابة في زهدٍ وفي ورع
القوم هم ما لهم في الناس أشباه

عُـبَّـاد لـيـلٍ إذا جَـنّ الـظـلام بـهـم
كـم عـابـد دمـعـه فـي الـخـدِّ أجـراه
وأُسْـدُ غـابٍ إذا نـادى الـجـهـاد بـهـم
هَـبُّـوا إلـى الـمـوت يـسـتـجـدون رؤيـاه
يـا رب فـابـعـث لـنـا مـن مـثـلـهـم نـفـراً
يـشـيِّـدون لـنـا مـجـداً أضـعـنـاه

اعلموا أن الموظف المسلم إذا صدق مع الله كسب أموراً:

أولها: دعاء الخلق الذي هو من أعظم الأعمال عند الله، والثناء الحسن ينشره الله للمخلص الصادق، فيدعون له بالتوفيق والهداية، ويدعون له بالتسهيل كما سهّل معاملاتهم وأعمالهم.. والموظف الصادق يسهِّل الله عليه الحساب يوم العرض الأكبر، فالجزاء من جنس العمل، فكما يسّر على المسلمين أمورهم يُيَسِّر الله عليه أمره يوم الحساب.

ثانياً: أنه يحوز على الأجر العظيم الوارد في تلكم الأحاديث السابقة التي تتحدث عن الأُمَناء.

ثالثاً: أنه يحلّل راتبه الذي يأخذه من خزينة بيت مال المسلمين.. فلا تشوبه شوائب الحرام.

رابعاً: أنه في عبادة عظيمة إذا احتسب الأجر من الله تعالى، لأنه في نفع عباد الله. والله أعلم.

وصلَّى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلَّم.

كيف نؤدي الأمانة

الحمد لله الذي كان بعباده خبيراً بصيراً، وتبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً منيراً، والصلاة والسلام على من بعثه ربه هادياً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.

أما بعد.. قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾.

يوم تعيش الأمة بلا إيمان فهي كقطيع من الغنم.. ويوم تعيش مجتمعات بلا إيمان فهي سياج من الضلالة.. ويوم يُبنى البيت بلا إيمان فمعناه الضوضاء والقلق.

الإيمان رسالة اختص الله بها هذه الأمة المحمَّدية.. وأنتم أفرادها.. بل أنتم جنودها البواسل بل عيونها الساهرة.. وأنتم أياديها النافعة العاملة.

فالأمانة شاقة.. والأمانة ضخمة.. والأمانة مكلّفة. لم تستطع السموات والأرض حملها.. وكذا الجبال، فأتى الإنسان الضعيف الهزيل بحقارته وضعفه فحملها.

فما هي الأمانة؟

الأمانة بتعريف مبسَّط: أن تراقب الله عز وجل في كل شأن استأمنك عليه.. بما في ذلك نفسك التي بين جنبيك.

يقول أحدهم يوصي أخاه:

وإذا خلوت بريبة في ظلمةٍ والنفس داعية إلى الطغيان
فاستحي من نظر الإله وقل لها إن الذي خلق الظلام يراني

فهل قلنا لأنفسنا ونحن بين الجدران والحيطان في مكاتبنا وفي أعمالنا وفي مهماتنا «أن الله يرانا».

هل استشعرنا رؤية الله ونظر الله وحفظ الله ورعاية الله؟

والله لو استشعر كل واحد منا هذا المبدأ الأصيل لصلح أمرنا وكانت بلادنا في رغد أرغد مما هي فيه الآن، وفي سعادة أسعد مما هي فيه الآن، وفي رقي وازدهار أحسن وأجدى وأنفع مما تعيشه الآن... نعم هذا المبدأ لا بد أن نؤصِّله كثيراً في حياتنا.

خرج عمر بن الخطاب ليخطب يوم الجمعة ويصلي بالناس وبطنه يقرقر عام الرمادة بالجوع.. فقال لبطنه: (قرقر أو لا تقرقر، والله لا تشبع حتى يشبع أطفال المسلمين)!

ويمشي رضي الله عنه في بُرد مرقَّعٍ فيه أربع عشرة رقعة، ويضرب جسمه بالعصا كما يقول ابن كثير ويبكي ويقول: يا عمر، والله لتتقينّ الله أو ليعذبَنَّك الله عذاباً ما عذَّبه أحداً من الناس.

يخرج لمكة ليعتمر فيلقى راعياً في الطريق فيقول له عمر: يا أيها الراعي أتبيعني شاةً من غنمك؟

قال الراعي: هي لسيدي وأنا أرعى له بالأُجرة.

قال: بعها لي فإذا سألك فقل أكلها الذئب! ـ يريد عمر أن يمتحن أمانته ـ.

فقال الراعي: فأين الله؟

فجلس يبكي رضي الله عنه.

فهل قلنا مثل هذا الراعي الذي استشعر رقابة الله.. وأدّى الأمانة بصدق لأنه يعلم أن من يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور رقيب على أحواله كلها.

يا أيها الإخوة الكرام: نحن نتعامل في بلد بُنيت حضارته على الإسلام، وبنيت لَبِنته على لا إله إلا الله.. ترابه لو نطق لقال: لا إلٰه إلا الله.. ماؤه لو تَكلَّم لقال: لا إلٰه إلا الله..، وهواؤه لو خطب لقال: لا إلٰه إلا الله.

نحن نختلف تماماً عن الأمم الكافرة، ففردها كافر يخاف من السلطة لا غيرها.

والله يقول في القرآن: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾.. أما ظاهر الإثم فالأمم تعرف ذلك كافرها ومسلمها. أما باطن الإثم فلا يعرفه إلا أتباع محمد ﷺ.. وهي الرقابة، فالفرد هنا يختلف تماماً عن ذلك لأن هذا كتلة من إيمان وشعلة من توحيد، قد سلَّم قياده لله قبل أن يسلِّمه للبشر، وأعطى قلبه لله قبل أن يعطيه للمسؤول.

نعم! يُحترم المسؤول ويقدَّر المسؤول ويطاع المسؤول لأن الله عز وجل أمر بطاعة ولاة الأمور في طاعة الله. لكنه لا يستطيع أن يراقب جميع أفعالنا وهمومنا وعزائمنا.. إنما ذلك الله وحده.

سمع عمر رضي الله عنه بائعة لبن تقول لابنتها: أتريدين أن يكثر لبننا لنبيعه ونكسب؟

قالت: نعم.

قالت: امزجيه بالماء.

قالت الجارية: إنا نخاف من عمر أمير المؤمنين أن يعرف أنّا نبيع اللبن بالماء.

قالت أمها: عمر لا يدري.

فقالت الجارية: وأين رب عمر؟

ففرح عمر بهذه الجارية.. وزوَّجها لأحد أبنائه.

إذن.. فالأمانة الكبرى أمانة الإيمان.. أمانة حمل لا إلٰه إلا الله.. ولو أخلصنا هذه الكلمة حق الإخلاص، والله ما عُبِثَ بكرامتنا وبمجدنا وبمقدساتنا.

أتدرون أيها الإخوة أنّا نعيش الآن في آخر ركب الحضارة؟ أتدرون أنّا مقلدين للأمم؟

فيا إخوتي في الله أول أمانة نرعاها هي أمانة الإيمان ومراقبة الواحد الديان.

كأن رقيباً منك يرعى خواطري وآخر يرعى مسمعي وجناني

يقول اللواء محمود شيت خطاب: (كنت في العسكرية، فكنت أعمل لغير وجه الله، فجلست ليلة من الليالي مع شلة في ثكنة عسكرية في بغداد، فمرّ بنا أحد دعاة الإسلام فوجدنا في مجلس.

فقال لي: يا محمود اتقِ الله إن عليكم رقيباً!

قلت: ومَنَ الرقيب ولا يرانا إلا الكواكب؟

قال الداعية: يا محمود فمنْ كوكَبَ الكواكب؟

قال: فوالله ما زالت كلمته ترنُّ في ذهني إلى الآن).

وبعدها تاب وأصبح داعية من أكبر الدعاة في العالم الإسلامي،

ونفع المسلمين في جانب العسكرية الإسلامية، فهو يحلل الغزوات والمعارك الإسلامية تحليلاً حديثاً على مستوى الزمن المعاصر.

فسبحان الله! إذا راقب العبد الله كيف يخلف الله عليه إيماناً.

والأمانة تدخل في الصلاة، فأنت لا تراقَب إلا من الله في كل وقت.

بإمكان الإنسان أن يترك الصلاة، أو أن يعبث في الصلاة، أو أن يصلي بلا وضوء، ولكن من يراقب الخطوات والسكنات إلا الواحد الأحد سبحانه.

في الحديث: «**يعجب ربك لمسلم يؤذِّن في البادية ويصلي**»[1].

لماذا يعجب منه الله؟ لأنه صلّى وحده وفي مكان لا يراه فيه أحد إلا الله.

والأمانة تدخل كما يقول أهل العلم في الوضوء، فبإمكان كثير من الناس أن يصلي بلا وضوء.. من يدري أنه دخل المسجد متوضئاً أو غير متوضىء، طاهراً أو غير طاهر، إلا الله تعالى؟

والأمانة تدخل في باب العمل وهو ما يهم كثيراً منا، فإن الله كما في الحديث الحسن: «**إن الله يحب من أحدكم إذا عمل عملًا أن يتقنه**». فلا يستصغر الإنسان نفسه، فالأستاذ في الفصل سوف يحاسبه الله عن ماذا قدَّم للأجيال وماذا فعل بأبناء المسلمين.

المدير في المكتب يحاسبه الله على ما فعل في المعاملات، على ما أخذ وعلى ما أعطى.

والقائمون بالمهن المعيشية من غسَّالٍ وخبَّازٍ ونجّارٍ وفرّانٍ، وغير

(١) صحّحه الألباني في المشكاة (٦٦٥).

ذلك، كلهم سيوقفهم الحي القيوم يوم القيامة فيحاسبهم فرداً فرداً ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾.

فأمانتنا يا أيها الأخيار معناها أن نراقب الواحد الأحد، ومعناها أن نتذكر دائماً ونحن نتحمل مهمتنا ومسؤوليتنا أن الله معنا برقابته، ويوم أن نحفظ الله عز وجل يحفظنا الله.

- **أسس تقوم عليها الأمانة:**

والأمانة تقوم على ثلاثة أسس:

الأول: الأصالة، أي أن نكون مؤمنين نتشرّف بالإيمان بالله فلا شرف لنا إلا به.

الثاني: الرقابة.. أي نتذكر الله في كل لحظة قبل أن نتذكر المسؤول من البشر.

الثالث: أن نرعى الأمانة ليحل لنا راتبنا، لأن من أطعم جسده من الحرام كانت النار أولى به. ومن غذّى أطفاله حراماً فسدوا عليه.

فنعوذ بالله من الفشل والانهزامية والخيانة لله وللمؤمنين. والله أعلم.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلّم.

ما هي قضية العمل والعمَّال

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون، الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلاً أولي أجنحة مثنى وثُلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير.

أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أيها المسلمون.. حديثي في هذا المقام عن خطيئة كبيرة ارتكبها كثير من المسلمين في هذا الزمان. هذه الخطيئة هي مشكلة العمَّال. وما أدراك ما العمال، وما هي مشكلتهم؟

هي مشكلة يَنْدَى لها الجبين. فنحن في بلد كثرت فيه العمالة والأيادي الأجنبية ـ وأقصد بالأجنبية الكافرة منها ـ أما المسلم فالبلاد بلاده، والهواء هواؤه، والماء ماؤه، والمقدَّسات مقدَّساته.

فانتشر ظلم بعض الناس لهؤلاء الوافدين علينا من البشر، والظلم كما تعلمون مرتعه وخيم.

روى ابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه وأرضاه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله تبارك وتعالى: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ومن كنت خصمه خَصَمتُه (أي غلبته وصرعْته): رجل أعطى بي ثم**

غدر، ورجل باع حُرّاً فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يُوفه حقه». فهذا الرجل الثالث هو الذي وُجد في مجتمعاتنا اليوم؛ فهو رجل استوفى من الأجير حقه ولم يوفه، أي ظلمه.

وهؤلاء الأُجراء قوم تركوا أطفالهم وأهلهم في بلادهم. أتى بهم الجوع من ديار تشكو الجفاف وتشكو المجاعة وتشكو الجدب، فغاب عن أطفاله وغاب عن والديه وغاب عن جيرانه، فأتى إلى قوم كثر فيهم الظلم، قوم سكنوا القصور، قوم أنعم الله عليهم بالمال والبترول وبالشركات وبالفلل وبالبساتين وبالسيارات.

فجعلوا هذا العامل أقل من الدابة، فهضموه حقه وظلموه أُجرته، فكان الله خصمهم يوم القيامة، ومن كان الله خصْمَه خَصَمَه. فيأتي بالأجير ويأتي بالمستأجر فيوقفهم في يوم لا حاكم فيه إلا الله، ولا عدل إلا الله، ولا منصف إلا الله. فيُنصف هذا الضعيف الأجير الحقير المسكين من هذا الظالم الرعديد القاسي القلب.

ولذا يجب علينا أن نعرف أخطاءنا مع العمال لننجي أنفسنا من الظلم.. وهي أخطاء كثيرة منها:

١ ـ استقدام الكفار عمالاً إلى بلاد المسلمين:

ومن فعل ذلك فقد أخطأ خطأً بيّناً. فالكافر اليهودي أو النصراني أو الشيوعي أو العلماني أو غيرهم لا يحل له أن يكون مستوطناً في بلاد المسلمين، وليس له أن يُمكّن من دخول شركة أو مؤسسة أو مشروع أو أي حقل من حقول المسلمين إلا في حالات الضرورة القصوى التي نصَّ عليها أهل العلم.

كتب أبو موسى رضي الله عنه وأرضاه إلى عمر بن الخطاب (أمير المؤمنين) يقول له: (يا أمير المؤمنين عندي كاتب نصراني يجيد الكتابة فهل أتخذه كاتباً؟).

فردَّ عليه عمر بالرفض: (لا).

فردّ أبو موسى بأنه حَذِق فطِن كاتب.

فردَّ عمر عليه: قاتلك الله، أتكرمهم بعد أن أهانهم الله؟ أتقربهم بعد أن أبعدهم الله؟ أتواليهم بعد أن عاداهم الله؟

قال الرسول ﷺ: «**أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب. ولا يجتمع في الجزيرة دينان**» متفق عليه.

وليس الإسلام خاصاً بالجزيرة بل الإسلام عام، لكن هذا المجتمع منبع الوحي ووجود المقدسات فكانت له خصوصية في الشرع.

٢ ـ عدم مراقبة العمال ممّن يدّعي الإسلام في الصلاة.

فالعامل منهم مسلم لكن بالهويّة! نراهم في العمارات وقت الصلاة، فلا يضع مِسْحاته ولا مطرقته ولا منجله ويأتي للمسجد، ويعلم بذلك صاحب المؤسسة وصاحب المشروع لكن لا يغضب لله. فقلبه ميت.. إذا نقص العامل من عمله ساعة أقام الدنيا وأقعدها، أما دين الله، أما الصلاة، أما حدود الله، فلا غضب.

فاتقوا الله في أنفسكم فإن من الأصل في المعاقدة وفي الصكوك وفي العقود وفي المواثيق أن تُؤسس على تقوى من الله. فأول شرط تشترطه على العامل الذي يدّعي الإسلام (أن يصلي في المسجد وقت الصلاة).

٣ ـ إرغامهم على تأدية نصيب من المال

ولو لم يكن له عمل يأتي به، وأما إن كان عنده عمل كعمارة قائمة، وقال له: اشتغل في هذه العمارة وأدِّ إليّ كذا وكذا من المال فهذه المسألة إن شاء الله مما يدخل في الجواز. أما أن يقول له: ادفع

لي كل شهر أربعمائة ريال أو نحوها وليس عند العامل عمل فيضطره إلى ضيق الحال والاضطرار إلى المآثم فإن هذا لا يجوز، لأنه ظلم بواح.

٤ ـ تأخير الرواتب عن العمال:

فمن الظلمة من يُؤخر رواتبهم خمسة أشهر، أو لا يحاسبهم أصلاً. قال ﷺ: «**أعطوا الأجير حقه قبل أن يجف عرقه**»، حديث صحيح[1]. فقبل أن ينتهي من العمل أعطه أجره، فهو يسعى على أسرة مثلك.

٥ ـ منعه من الإجازات إذا حلّت:

فيحرمه الوصول إلى أهله ويمنعه من زيارة أقاربه ويكبته في البلاد هنا ويماطل في إخراج الجواز له، أو أمور الإقامة ظلماً وعدواناً.

إلى الديَّان يوم الحشر نمضي   وعند الله تجتمع الخصوم
أما والله إن الظلم شؤم   وما زال المسيء هو الظلوم

والله يقول لدعوة المظلوم: «**وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين**». فالحُجُب لا تَرد دعوة المظلوم، فهي تخترق السماء وهي أقوى من سرعة الضوء، يرفعها الله إلى العرش.

قيل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: كم بين التراب والعرش؟ قال: (دعوة مستجابة من مظلوم تسري في ظلام الليل كالسهم لا تقف أمام أبواب السماء إلى الحي القيوم).

ويقول المعصوم ﷺ لمعاذ: «**واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**». متفق عليه.

---

(١) رواه ابن ماجه، وصحّحه الألباني في المشكاة (٢٩٨٧).

٦ ـ تجويعهم وإرهاقهم بالعمل:

ومراقبتهم عند تأدية العمل من باب القسوة والجبروت.

يقول أنس رضي الله عنه: (خدمت رسول الله ﷺ عشر سنوات فما قال في شيء فعلته لِمَ فعلته، ولا لشيء لم أفعله لِمَ لَمْ تفعله).

أخيراً هذه عدة أخطاء يقع فيها البعض منا.. ذكرتها لكم لكي تحذروها أثناء تعاملكم مع هؤلاء العمال لتحوزوا على رضى الله.

والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد.

لا تظالموا

الحمد لله القائل: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

والحمد لله القائل: ﴿وَيَقُولُونَ﴾.

والصلاة والسلام على رسول الله القائل: «**إن الظلم ظلمات يوم القيامة**»(١).

وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فعن أبي ذر رضي الله عنه وأرضاه عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى أنه قال: «**يقول الله عز وجل: يا عبادي إني حرَّمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرَّماً فلا تظالموا.**

يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم.

يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم.

يا عبادي كلكم عارٍ إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم.

(١) رواه مسلم.

يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني.

يا عبادي لو أنَّ أولَكم وآخركم، وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً.

يا عبادي لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً.

يا عبادي لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المِخيط إذا أُدخل البحر.

يا عبادي إنما هي أعمالكم أوفّيها لكم ثم أجزيكم بها، فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلا نفسه»، رواه مسلم وأحمد والترمذي وابن ماجه.

هذا حديث شريف وهو أشرف حديث لأهل الشام، وهذا الحديث قاعدة من قواعد الإسلام وأصل من أصول الدين، كان التابعون إذا حدّثوا به جلسوا على ركبهم من عظمته.

وأهم قضية في هذا الحديث أن الله عز وجل حرّم الظلم على نفسه وجعله بين الناس محرماً، وقال عَزَّ مِن قائل: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾، وقال تبارك وتعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾.

حرّمه سبحانه وتعالى على نفسه فلا يظلم ولا يَهضم، فالظلم أن يزيد في سيئات من لم يُسيء، والهضم أن يُنقص من حسنات من أحسن، قال عزَّ مِن قائل: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا يَخَافُ ظُلۡمٗا وَلَا هَضۡمٗا ﴿١١٢﴾﴾.

والظلم من شِيَم العبد، فأظلم الظالمين هو العبد إذا أشرك بالله، قال عزَّ مِن قائل: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾. قال الصحابة: يا رسول الله كُلّفنا من الأعمال ما نطيق فأيُّنا لم يظلم نفسه؟

قال: ألم تسمعوا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾[1]. وعلّم الله عز وجل لقمان أن يقول لابنه: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾.

ووصف الله العبد بأنه ظالم فقال: ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ﴿٧٢﴾﴾، فالعبد ظالم مع الله وظالم مع الناس.

أما مع الله فصحَّ في الحديث القدسي أن الله سبحانه وتعالى يقول: «**عجباً لك يا ابن آدم ما أنصفتني، خلقتك وتعبُد غيري، ورزقتك وتشكر سواي، أتحبَّبُ إليك بالنعم وأنا غني عنك وتتبغَّض إليّ بالمعاصي وأنت فقير إليّ، خيري إليك نازل وشرُّك إليّ صاعد**»[2].

وصحَّ في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وأرضاه أن رسول الله ﷺ قال: «**يقول الله تبارك وتعالى: يسبني ابن آدم وما ينبغي له ذلك، ويشتمني ابن آدم وما ينبغي له ذلك. أما سبّه إياي فيدّعي أن لي صاحبة وولداً، وما اتخذت صاحبة ولا ولداً، وأما شتمه إياي فإنه يشتم الدهر وأنا الدهر أقلِّب الليل والنهار كيف أشاء**».

وحذَّر ﷺ كما في الصحيح من ظلم الناس فقال ﷺ: «**من اغتصب مال امرىء مسلم لقي الله وهو عليه غضبان ولو كان شيئاً يسيراً**»، قالوا: يا رسول الله، أرأيت لو كان شيئاً قليلاً؟ قال: «**ولو كان قضيباً من أراك**»[3].

وصحَّ عنه ﷺ أنه قال: «**من ظلم من الأرضِ قيد شبر طوّقه الله يوم القيامة من سبع أراضين**»[4].

---

(١) متفق عليه.
(٢) الزهد لأحمد.
(٣) رواه مسلم.
(٤) متفق عليه.

قال أحد التابعين: إذا مررت بأرض قد خربت، وبمال قد فني، وبصحة قد سقمت، فاعلم أنها نتيجة الظلم.

ولذلك روى ابن كثير أن البرامكة الأسرة الشهيرة الخطيرة التي كانت تتولى الوزارة لهارون الرشيد في بغداد بلغوا من الترف إلى أن كان الواحد منهم يصبغ قصره من الداخل والخارج بماء الذهب وبماء الفضة، فكانت تلمع قصورهم مع الشمس، فلعبوا في الأموال وسفكوا الدماء فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر.

والرسول ﷺ كما صحَّ عنه يقول: «**إن الله ليملي للظالم، فإذا أخذه لم يكد يُفلته**»، ثم قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾[(١)].

فسلَّط الله على هذه الأسرة أحب الناس إليهم وأقرب الأقرباء إلى قلوبهم، وهو هارون الرشيد الخليفة، فأخذهم في ليلة واحدة فجلد كل واحد منهم ألف سوط، ثم قطع بعض أياديهم وأرجلهم وقتلهم شر قتلة واستولى على أموالهم وهدم قصورهم وسجن نساءهم.

فدخلوا على شيخ منهم من البرامكة وهو يُعذَّب ويبكي تحت السياط فقيل له: ما هذه المصيبة التي حلَّت بكم؟

قال: دعوة مظلوم سرت في الليل نمنا عنها، والله ليس عنها بنائم.

ولذلك قال ﷺ: «**دعوة المظلوم يرفعها الله على الغمام ويقول: وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين**»[(٢)]، ويقول ﷺ وهو يوصي معاذاً لما أرسله إلى اليمن: «**واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**»[(٣)].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه ابن حبان (٢٤٠٨).

(٣) متفق عليه.

ولذلك لما أهين الإمام أحمد إمام أهل السنة رضي الله عنه وأرضاه كان الذي سعى في سجنه وفي ظلمه وفي جلده أحمد بن أبي دؤاد أحد الوزراء المقرَّبين من الخليفة المعتصم، فرفع الإمام أحمد يديه إلى الحي القيوم ثم قال: اللهم إنه ظلمني فاحبسه في جسمه.

قال العلماء: فوالله ما مات حتى أصابه الله بالفالج في نصفه، فدخلوا عليه وهو يخور كما يخور الثور فقالوا: ما لك؟ قال: أما نصفي هذا فوالله لو وقع عليه ذباب فكأن جبال الدنيا سقطت عليه، وأما النصف الآخر فوالله لو قُرضت بالمقاريض ما أحسست به ألماً.

وهذه سُنَّة الله في الأرض، فإن الله دمّر الديار وأهلك الأمم وأفنى الشعوب لما ظلموا.

قال الذهبي في السير: دخل أحد المشايخ من الصالحين الأولياء العبَّاد على أحد الطغاة المتكبرين فنازعه ببعض الكلام وأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر.

فقام إليه هذا الطاغية فضربه على وجهه.

فقال: لطمتني، أسأل الله أن يقطع يدك.

قال: اعف عني.

قال: لا والله حتى نحتكم عند الله.

قال الذهبي: فما مرَّ عليه أسبوع إلا وقد استُولي على ما عنده وأُخذ من قصره وقُطعت يده وعلِّقت أمام الناس.

عباد الله! إن الظلم مسخَطة ومغلَبة، وإنه لعنة، ولذلك صحَّ عنه ﷺ أنه قال: «**لعن الله من غيَّر منار الأرض**»[1]. ومنار الأرض: حدودها.

---

(١) متفق عليه.

وفي الأثر أن الله إذا جمع الأولين والآخرين ليوم لا ريب فيه حفاة عُراة غُرلاً بُهماً قد وقفوا في صعيد واحد تجرَّدوا للحساب، تجلَّى الله تبارك وتعالى على عرشه فنادى بصوت يسمعه من قَرُب كما يسمعه من بَعُد فيقول عزَّ مِن قائل: «**أنا الملك أين ملوك الأرض؟ أنا الملك أين ملوك الأرض؟ أنا الملك أين ملوك الأرض؟ ثم يقول: لمن الملك اليوم؟ لمن الملك اليوم؟ لمن الملك اليوم؟ فلا يجيبه لا ملك مقرَّب ولا نبي مرسل، فيجيب نفسه بنفسه تبارك وتعالى ويقول:** ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾[1]».

ثم يقول: «**إني حرّمت على نفسي الظلم وجعلته بينكم محرماً فوعزتي وجلالي لا تنصرفون ولأحد عند أحد مظلمة، فينصب الموازين وتُرفع الصحف وتحضر الملائكة، فيعض كل ظالم على يده حتى يأكلها، فينتصر الله للمظلوم ممن ظلمه بحكمه العدل**».

عباد الله ما جفَّ القطر وما نزعت البركة وما تباغضت القلوب وما فسد الأولاد إلا من الظلم.

إن الظلم ظلمات في القبر وفي القلب وفي الحياة وفي الآخرة.

إن الظلم لعنة ومسخطة.

أوصي نفسي وإياكم باتقاء الظلم في المعاملات وفي الأقوال وفي الأخلاق، فإنكم سوف تقفون عند ربكم في العرض الأكبر ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾.

والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلَّم.

---

(١) متفق عليه.

ارحم تُرحم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وسيد المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعد.

أيها الناس.. أوصيكم ونفسي بتقوى الله، واعلموا أن رحمة الله قد عمَّت الكائنات.

وأن أعظم صفات المولى تبارك وتعالى هي الرحمة، فهو رحمن رحيم.. وهو رحمنُ الدنيا والآخرة.

والملائكة يوم تتوسل لربها تبارك وتعالى فإنها تثني عليه بالرحمة فتقول: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾.

فرحمته سبحانه وتعالى تبلغ ما بلغ علمه جلَّ وعلا، فرحمته لا تتناهى.

لقد خلق الله الرحمة كما في الصحيح في مائة جزء فجعل جزءاً واحداً في الدنيا يتراحم به الناس والحيوانات، حتى إن الدابَّة لترفع حافرها عن ولدها مخافة أن تطأه بسبب هذه الرحمة.

أما تسعة وتسعون من الأجزاء فادَّخرها الله عنده يوم القيامة[1].

والله عز وجل خير الراحمين.. قال سبحانه: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾﴾. فرحمته سبحانه وتعالى لا تتناهى، ولذلك طلب الله من عباده أن يكونوا رحماء، ومدح المؤمنين بأنهم ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

فما أعظمَ رحمة الله وما أجلَّها.. يوم يتذكرها العبد المسلم فيكون رحيماً بعباد الله.

وأبعدُ القلوب عن الله تبارك وتعالى القلب القاسي، فإنه سبحانه لا يحبُّ الجبَّارين والمتكبِّرين ولا الذين يحملون قلوباً قاسية لا ترحم ولا تلين.

قال سبحانه: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾.

قست قلوبهم بقطيعة الرحم، وقست بعقوق الوالدين، وقست بأكل الربا، وقست بالزنا، وقست بالتناحر والتقاطع.. ولذلك قال الله فيهم: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾.

أُتي للرسول ﷺ بسَبْي من الكفار.. وفي السَّبي امرأة والهة مدهوشة أُخذ ولدها من بين يديها وهو طفل رضيع، فأصبحت حائرة.. وأصبحت قلقة مضطربة تبحث في السبي، وكلما وجدت طفلاً وضعته على ثديها وهي تبكي.. حتى وجدت طفلها فأخذته

---

(١) البخاري (١٢٣/٨).

فوضعته على ثديها وروحها تكاد تفارقها من الفرح فقال ﷺ: «**أرأيتم هذه المرأة طارحة ولدها في النار**»؟

قالوا: لا والله يا رسول الله.

فقال ﷺ: «**والذي نفسي بيده لله أرحم بعباده من هذه بولدها**»[1].

فمن رحمة الله أنه يرى العصاة الفَجَرة الجبارين المتكبرين يسفكون الدماء ويأكلون الأموال ويتعدُّون على الأعراض ويغتصبون الأموال ورحمته لا تزال تكتنفهم، وستره لا يزال يغشاهم سبحانه وتعالى، وهو لم يغفل عنهم: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾﴾.

ويخبرنا الله أن الرحمة لا تقتصر على بني الإنسان بأن نرحمهم دون غيرهم.. بل هي لجميع الكائنات الحية.. فيخبرنا ﷺ أن رجلاً فاجراً من بني إسرائيل قد ارتكب الفواحش الكثيرة مرّ يوماً من الأيام ببئر وقد بلغ به من الظمأ ما الله به عليم، فنزل وشرب، فلما روي صعد من البئر فرأى كلباً يلهث من الظمأ.

فقال الرجل الإسرائيلي: لقد بلغ بهذا الكلب ما بلغ بي من الظمأ.

فعاد إلى البئر وملأ خفَّه من الماء وقدَّمه للكلب فشرب الكلب منه.

فرضي الله عن هذا الرجل وأدخله الجنة بسبب هذه الرحمة التي خالطت قلبه[2].. فمن يرحم يُرحم.

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مالك في الموطأ.

ويخبرنا ﷺ عن قصة أخرى تخالف هذه القصة السابقة لنتبين الفرق.

يخبرنا عن امرأة شريرة قاسية القلب قد حبست هرَّة في بيتها ساعات طويلة.. فلا هي أطعمتها وسقتها.. ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض ويرزقها الله بما شاء(١).

فكان جزاء هذه المرأة الظالمة عند الله أن أدخلها النار بسبب هذه الهرة المسكينة، فكانت هذه الهرة تخمشها في نار جهنم إلى ما يشاء الله.

فالرحمة مطلوبة أيها المسلمون.. وعواقبها مغفرة من الله ورضوان.

وقد كان سيد الرحماء من هذه الأمة هو رسولنا ﷺ الذي امتدحه الله بأنه ألّف قلوب العرب المتفرِّقين المتحاربين المتعادين... بالرحمة.

قال تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٣)﴾.

فكان ﷺ يمتاز بالرحمة حتى يقول الله له تبارك وتعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾. أي لو كنت سُسْتهم بالشدة وبالجبروت وبالسفك لتفرقوا وتبعثروا وما اجتمعوا لك أبداً.

ومن رحمته ﷺ أن الرجل يأتي يحمل الحقد والكراهية له ﷺ فيعود منه وقد أصبح قريباً حبيباً.. فهو يطبق قوله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾.

---

(١) متفق عليه.

كان ﷺ يمر في سكك المدينة مع الأطفال فيقبّلهم.

كان ﷺ يصلي فتأتي أُمامة ابنة ابنته فترقى على كتفه ﷺ وهو يصلي فإذا قام رفعها وإذا سجد وضعها[١].

فهل بعد هذه من رحمة؟

وهكذا كان يصنع بالحسن والحسين ابني فاطمة. فكان يُطيل السجود لأجلهما! فإذا سأله الناس قال: «**إن ابنيّ هذين ارتحلاني فخشيت أن أوقعهما في الأرض فأؤذيهما فانتظرت حتى نزلا**»[٢].

فهل تعاملنا مع الأطفال مثل تعامله ﷺ، أم أنه الضرب والطرد من المساجد والتخويف؟

ومن رحمته ﷺ: أنه كان يسمع بكاء الأطفال في الصلاة فيعجّل بالسلام خشية أن يشق على أمهات أولئك الأطفال.

بل كان يغضب غضباً شديداً على من يطيل بالناس الصلاة ويشق بهم ولا يرحمهم، كما في قصته مع معاذ رضي الله عنه.

ومن رحمته ﷺ: أنه كان يبكي وتدمع عيناه لفراق أحبابه كما في حادثة وفاة ابنه إبراهيم، فلما سئل عن تلك الدموع قال: «**إنها رحمة وضعها الله في قلب من يشاء من عباده**»[٣].

ومن رحمته: أنه كان يهش للأطفال ويقبّلهم ـ كما سبق ـ وفي مرة من المرات رآه الأقرع بن حابس التميمي يقبِّلهم فقال: والله إن عندي عشرة من الأولاد ما قبّلت واحداً منهم، فقال ﷺ: «**وما أملك لك إن كان الله نزع الرحمة من قلبك**»[٤].

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه أحمد والنسائي.

(٣) متفق عليه.

(٤) متفق عليه.

ومن رحمته: أنه كان يرحم الحيوانات حتى في طريقة الذبح فيقول: «**وليحدّ أحدكم شفرته وليرح ذبيحته**»[1].

ومن رحمته: أنه ﷺ أخرج رجالاً رحماء بعد أن كانوا قساة القلب غليظي الطبع.. فكان عمر رضي الله عنه إذا قام يصلي بالناس غلبته دموعه وضاع صوته مع البكاء. وكان رضي الله عنه في عام الرمادة لا يشبع من الطعام رحمة بالمسلمين ممّن لا يجد ذاك الطعام.

عباد الله: إن الله يريد منا أن نتراحم وأن نقرّ مبدأ الرحمة في حياتنا وسلوكنا، ومن ذلك:

أن نودَّ لإخواننا ما نود لأنفسنا فنرحمهم إذا جاعوا أو إذا احتاجوا.. ونرحمهم إذا رأيناهم بعيدين عن الله ونتمنى أن يعمهم الله بهدايته ورحمته.

ونسعى لنفعهم وخدمتهم وقضاء حاجاتهم بما استطعنا لعل الله أن يرحمنا بتلك الرحمة التي في قلوبنا لهم، فإن من يرحم يُرحم.

أسأل الله لي ولكم الرحمة الواسعة من الله تعالى.. وأن يجعل قلوبنا تمتلىء رحمة على إخواننا المسلمين في كل مكان.

والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلَّم.

---

(١) رواه مسلم.

أنفقوا مما رزقكم الله

إن الحمدَ لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أيها الناس.. يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾﴾.

هذا هجوم أدبي على الإقطاعيين في العالم.

وهذا غضب ونقمة على الذين كدّسوا القناطير المقنطرة من الذهب والفضة، وادخروا الأموال في البنوك، وتركوا فقراء الأمة ينامون على الأرصفة.

وهذا غضب من الله على الذين لعبوا في أمواله سبحانه وتعالى فما أدّوا زكاتها وما اجتنبوا الربا وما تصدَّقوا.

وهذا وعيدٌ صارم من الله بأن لا يقبل لهم توبة إذا أتوا بهذه الحالة.

﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ﴾ كان بعض الناس فقيراً فأغناه الله الواحد الأحد.. كان لا يملك درهماً ولا ديناراً، فلما أصبح يملك الملايين استكبر على ربِّ العزة سبحانه وتعالى وبطر بالأموال وصدَّ بالأموال عن سبيل الله ورابى بالأموال.

وكانت الأموال مصدر حرب على الإسلام والمسلمين ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ﴾، فآتاهم الله المال، وأراد سبحانه وتعالى أن يرى هل يصدُقون أم يكذبون.

أرسل ﷺ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ـ كما في الصحيحين ـ لجمع الصدقات، فمرّ على العباس عمِّ الرسول ﷺ وقال له: هات زكاتك.

قال: لا!

ومر على خالد بن الوليد أبي سليمان، سيف الله المسلول فقال: هات زكاتك.

قال: لا!

ومرَّ على ابن جميل، قال: هات زكاتك.

قال: لا!

وما كان لعمر إلا أن ينقل الإجابة كما سمعها للرسول ﷺ.

فأخبر الرسول ﷺ وقال: أعطاني الناس جميعاً إلا ثلاثة: عمك، وخالد بن الوليد، وابن جميل.

فتبسّم ﷺ وأراد أن يخبر بجواب مفصل عن أعذار الثلاثة فقال: «**أما عمي فإنها عليَّ ومثلها**».. يعني زكاة سنتين..لأن الرسول ﷺ أخذ منه صدقة عامين اقترضها ﷺ لشؤون الإسلام.

ثم قال لعمر: «**أما تدري يا عمر أن عمَّ الرجل صنو أبيه؟**».. يقولها كالممازح.

«**وأما خالد فإنكم تظلمون خالداً**»، فخالد مظلوم لأن خالداً دفع دمه وعرقه ودموعه وسيوفه ورماحه في سبيل الله.

خالد أخذ أمواله جميعاً فاشترى بها مائة فرس فحبسها في سبيل الله، واشترى مائة سيف فجعلها في سبيل الله، واشترى مائة درع فجعلها في سبيل الله.

يقولون معنٌ لا زكاة لماله وكيف يزكي المال من هو باذله

ثم قال ﷺ: «**فما ينقم ابن جميل إلا كان فقيراً فأغناه الله**»، يقول: يحق لابن جميل أن يفعل بنا هذا بعد أن كان فقيراً مملقاً فأغناه الله، ثم ها هو يتنكر للإسلام وللزكاة وللصدقة.

أهذا جزاء الإحسان؟ أهذا رد المعروف؟ أهذا حفظ اليد البيضاء؟

فرفض ابن جميل الزكاة فرفض ﷺ أن يقبل صدقته أبداً، فأنزل الله: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ﴾ وهو ابن جميل الذي كان فقيراً بجانب المسجد يأكل من طعام المسجد لا يجد كسرة خبز، فأتى إلى الرسول ﷺ وقال: يا رسول الله أريد مالاً.

قال: قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه.

قال: يا رسول الله ادعُ الله أن يرزقني مالاً.

قال ﷺ: «**أنا رسول الله لو شئت أن يصيّر لي جبال الدنيا ذهباً وفضة لصيّرها لي ومع ذلك أجوع يوماً وأشبع يوماً**».

ثم قال: «**فإن رزقك مالًا أتؤدي شكره**»؟

قال: إي والذي نفسي بيده.

فرزقه الله مالاً، فترك صلاة الجماعة، ثم تشاغل عن صلاة الجمعة، ثم رفض الزكاة.

وابن جرير الطبري وابن أبي حاتم يذكرونها ـ أي القصة ـ عن ثعلبة بن حاطب لكن في سندها نظر[1]. فقال تعالى: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ۝٧٧﴾.

وقصة ابن جميل تتكرَّر حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

ونحن يا أيها الناس نعيش مشكلة اجتماعية وواقعاً أعرفه أنا وتعرفه أنت، حيث كثرة المساكين خاصة في مناطقنا بالجنوب في تِهامة.

فالرجل منهم يعيش في عشّة لا يجد أحياناً قوت يومه، وبالقرب منهم أغنياء بلغ غناهم السحاب.

فهل الإسلام يرى هذا؟

وهل محمد ﷺ لو كان حياً يرضى هذا الوضع؟ أن تعيش قرى في البادية وقرى في تهامة على التراب لا تتمتع بأقل ما يتمتع به الإنسان في عصر الحضارة والرقي والتقدم، وعصر الكهرباء، وعصر الإشعاع، وعصر المال، وعصر الخبز، وعصر الفواكه والثياب والخضروات.

وإنها أمانة يجب عليَّ أن أنقلها لكم وأن تعوها وتسمعوها.

---

(١) انظر رسالة الأخ سليم الهلالي (الشهاب الثاقب) حول هذا الموضوع.

فمن عنده منكم زكاة فليذهب إلى هذه المناطق لينقذ أهلها وليتصدق عليهم وليواسِهم، فإنهم من أحق الناس بها.

اقرأ المقابلات مع التجار من أصحاب الملايين الذين تعادل ميزانية الواحد منهم ميزانية بعض الدول الأخرى، ومع ذلك تعيش هذه المناطق الشاسعة الفقر والعوز والكآبة.

وقد أصيب هؤلاء المساكين في تِهامة والبادية بقاصمتين: قاصمة فقر العلم والعلماء والدعاة، وقاصمة فقر المال من الأغنياء والتجار.

والله يقول عن بني إسرائيل: ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾. وهذا بخل بالعلم وبخل بالمال، وهذا نداء للتجار ولطلاب العلم على السواء بأن يخصصوا شيئاً من أوقاتهم وأموالهم لنفع إخوانهم الذين يعيشون فقراً وجهلاً الله عليم به.

فيا أصحاب الملايين، إلى متى تكنزون هذه الأموال والله يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

ويقول ﷺ في صحيح مسلم: «**والذي نفسي بيده، ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي زكاتها إلا إذا كان يوم القيامة صُفّحت صفائح من نار فيكوى بها جبينه وجنبه وظهره في يوم مقداره خمسين ألف سنة حتى يُقضى بين الناس فيرى سبيله إما إلى الجنة أو إلى النار**».

وفي الحديث الصحيح: «**ما من صاحب كنز إلا جعله الله عز وجل شجاعاً أقرع** (أي ثعباناً) **له قرنان وله زبيبتان يلدغه في القبر ويقول: أنا كنزك أنا مالك**»[1].

(١) صحيح ابن ماجه (١٤٤٣).

وعند الإمام أحمد أن الصحابة اختلفوا أي الكنز أحسن، أهو الذهب أم هي الفضة أم الإبل أم عروض التجارة؟ فأرسلوا عمر بن الخطاب يسأل رسول ﷺ، فلما وصل إليه قال: أي الكنز أحسن يا رسول الله؟

قال: «**من آتاه الله قلباً شاكراً ولساناً ذاكراً**». هذا هو الكنز العظيم الذي يكتنزه المسلم لينفعه في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

فبادروا يا أصحاب الأموال إلى إخراج زكاة أموالكم.

واعلموا أن للزكاة في الإسلام حِكَماً لا يعرفها إلا من اطَّلع على أسرار هذا الدين ومنها:

أولاً: أنها زكاة تزكيها من أوضار البخل ومن أوضار الشُّح، وترفع قدرها عند الله، وقد وصف ﷺ المتصدِّق والبخيل برجلين عليهم جُبَّتان من حديد كلما أنفق المنفق اتسعت الجبة وإذا أمسك الممسك ضاقت عليه الجبة حتى تخنقه(1). ولله عز وجل ملكان يناديان في كل صباح كما في الصحيح، الأول يقول: اللهم أعط منفقاً خلفاً، والآخر يقول: اللهم أعط ممسكاً تلفاً(2).

ومن لا يستفيد من المال في الحياة فلن يستفيد منه بعد أن يموت، فإما حلالاً فللورثة، وإما حراماً فيعذب به حتى يلقى الله ويدخله هذا المال النار. وقد قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾.

ثانياً: أنها طهارة للمال من دنس الحرام والشبهات، فإن الحرام والربا قد تشوب المال منه شائبة ولو قليلة فتأتي الزكاة لتطهره وتنقيه.

---

(1) متفق عيه.

(2) متفق عليه.

ثالثاً: أنها نفع للفقراء والمساكين.

رابعاً: أنها سبب لانشراح الصدر لمن قد جرّب ذلك، فهو يشعر بأنه قد أطاع أمر ربه وأسعد غيره من المحتاجين فيزداد انشراحاً إلى انشراحه.

خامساً: أن فيها إحياء لشعور المساواة والمواساة بين الناس.

سادساً: أنها سبيل لإحياء روح المودَّة بين الفقير والغني، فيصبح كل منهما يحب الآخر ويدعو له.

بخلاف ما لو منع الغني الصدقة أو زكاة ماله فإن الفقير سيحقد عليه ويبغضه.

سابعاً: أن منعها من أسباب النفاق كما سبق.

وهناك حِكم كثيرة لمن تأملها.

فبادر أخي التاجر بإخراج زكاة مالك، ثم ما تيسر من صدقات تطوعية أنت مثاب عليها. والله أعلم.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلَّم.

ما أحسن الجود

الحمد لله الذي كان بعباده خبيراً بصيراً، وتبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً، وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً، وتبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً، الذي له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديراً، واتخذوا من دون الله آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً.

أشهد أن لا إله إلا الله وأَشهدُ أن محمداً عبده ورسوله، بعثه الله هادياً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.

هدى الله به الإنسانية، وأنار به أفكار البشرية، وزعزع به كيان الوثنية، وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾.

أفمن أسّسَ حياته ومستقبله على تقوى من الله، وعلى رضوان

من الله، وعلى خوف من الله، وعلى خشية لله.. خير، أمَّن أسّس بنيانه على معصية، وتمرُّد وعدوان لحدود الله، وانتهاك لحرمات الله؟

ومن سنن الله الكونية الخلقية والشرعية الأمرية: أن ينصر أولياءه، وأن يحفظ أحبابه، وأن يؤيد عباده.

ومن سننه كذلك: أن يخذل أعداءه، وأن ينبذ من نابذه، ومن حادَّه.

ولذلك: لمَّا أتى ﷺ من غار حراء خائفاً وجِلاً عندما رأى جبريل عليه السلام في صورته؛ قالت له خديجة رضي الله عنها وأرضاها: كلا والله لا يخزيك الله أبداً.

لماذا؟

قالت: إنك لتصل الرحم، وتقري الضيف، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحقّ.

فاستدلَّت بحسن فعائله وبجميل صنعه على أنَّ الله لا يخزيه أبداً.

هل رأيتم متصدقاً أخزاه الله؟

هل رأيتم صادقاً أخزاه الله؟

هل رأيتم صالحاً محسناً أخزاه الله؟

إنما يخزي الله أعداءه ومن حادَّه من أهل المعاصي، وأهل الفواحش، وأهل السيئات.

والله عز وجل ذكر أهل البر وأهل المعروف؛ فقال: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١)﴾.

ولم أرَ كالمعروف أما مذاقُهُ
فحلوٌ وأما وجهُهُ فجميل

يقول ابن القيم رحمه الله: والجود منازل ودرجات، أعظمها الجود بالنفس.

أرأيت إنساناً يجود بنفسه لمرضاة الله؟

فهل هناك أعظم منه؟ لا والله.

فيا من بخل بدرهمه وديناره: أصحاب الرسول ﷺ جادوا بأنفسهم وأرواحهم في سبيل الله.

يجود بالنفس إن ضنَّ البخيل بها
والجود بالنفس أغلى غاية الجود

أتى الصحابة إلى بدر وأُحد، وما عندهم مال، ولا عقار، ولا درهم، ولا دينار، فاستقبلوا القبلة متوضئين، ورفعوا سيوفهم شاهرين ظاهرين مُقْبِلين، وقالوا: يا رب لا نملك من الدنيا قليلاً ولا كثيراً، وإنَّما نملك نفوسنا وقد أهديناها إليكَ فتقبَّلها منَّا.

ومن الذي باع الحياة رخيصة
ورأى رضاك أعزَّ شيء فاشترى
أمَّن رمى نار المجوس فأُطفأت
وأبان وجه الصبح أبيض نيِّرا
ومن الذي دكّوا بعزم أكفهم
باب المدينة يوم غزوة خيبرا

هم: خالد بن الوليد، وصلاح الدين، وطارق بن زياد، ومحمود بن سَبَكْتَكين، ومن أمثالهم من الذين قالوا لله بلسان حالهم: يا رب، نحن فقراء ما عندنا مال، ولا عقار، وما عندنا قصور ولا سيارات، وما عندنا ملابس ولا مشروبات ولا مرطبات، لكن هذه نفوسنا قدَّمناها لك.

أرواحـــنـــا يـــا ربُّ فـــوق أَكـــفِّـــنـــا

نـــرجـــو ثـــوابـــكَ مـــغـــنـــمـــاً وجـــوارا

قال ابن القيم: ومن الجود: الجود بالعلم، وهو من أشرف الجود.

فيا دعاة الإسلام، ويا طلبة العلم، ويا حمَلة الدكتوراه والماجستير، ويا من تفنن في أساليب التفنن العلمية، والتخصصات الشرعية: الأُمة ماتت جهلاً وتخلُّفاً وعامية، فمن ينقذها بعد الله إلاَّ أنتم؟ ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾، اشتروا به مناصب، ووظائف، وتكدَّسوا في بيوتهم، وتركوا الأُمة غارقة في الجهل، وفي الخرافة، وفي الشرك ﴿فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾.

ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾.

كم من الأساتذة في بلادنا؟

كم من العلماء؟

كم من الدعاة؟

ألوف مؤلَّفة، ومع ذلك بعض القرى تعيش جاهلة بأحكام دينها الضرورية: كالصلاة، والصوم، وأمور الطهارة.

وانظر إلى أهل الباطل كيف بذلوا علمهم الباطل وعلمهم المتخلِّف وتكلَّموا وحاضروا وأنتجوا.

لكن أهل الحقِّ في خجل من أن يدافعوا عن حقهم ويوزِّعوا حقَّهم.

ومن الجود: الجود بالمال

ونحن في هذه البلاد نعيش رغداً وعيشاً هنيئاً مريئاً.

فإنَّ متوسط دخل الواحد منَّا يعادل دخل كثير من تجَّار العالم.

فهل قدَّمنا من ذلك الثراء لأنفسنا؟

رأينا ورأيتم كثيراً من الناس يشكون العوز، والفقر، وبعضهم لا يجد كسرة الخبز التي يسدُّ بها رمقه، بينما غيرهم يعيش باذخاً مسرفاً دون أن يفكِّر في حالهم وهم بجواره.

والله يقول: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾.

الخير أبقى وإنْ طالَ الزمان به
والشر أخبث ما أوعيت من زاد

يقول عليه الصلاة والسلام كما في الصحيح: «**إنَّ لله ملكين يناديان كل صباح، يقول أحدهما: اللهم أعطِ منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعطِ ممسكاً تلفاً**»(١).

فمن أرادَ أن يخلف الله عليه وأن يبارك في رزقه، وفي دخله، فلينفق على الفقراء، وعلى المجاهدين، وعلى المساكين، وفي مشاريع الخير، فإنَّه من باب البر.

كان الجاهليون وهم وثنيون يعبدون الأصنام، لا يرضون أن يعيش في مجتمعهم جائع ولا مسكين.

فكان ابن جدعان ـ مثلاً ـ عنده صحاف تُعرضُ كل صباح

---

(١) متفق عليه.

للفقراء، وقد امتلأتْ بالبر والعسل والسمن.. وكان يرسل من ينادي في الناس ليأتوا إلى ولائمه وبذله.

ولذلك يقول أُميَّة بن أبي الصلت في آل جدعان أهل الكرم والجود:

لا ينكتون الأرض عند سؤالهم
لتطلب الحاجات بالعيدان
بل يُشرقون وجوههم فترى لها
عند السؤال كأحسن الألوان
وإذا القريب أقام وسط رحالهم
ردُّوه ربَّ صواهل وقيان
وإذا دعا الدَّاعي ليوم كريهة
سدُّوا شعاع الشمس بالفرسان

ومن الجود: الجود بالجاه

أي: بأن يشفع للمسلمين بجاهه ومنزلته عند الناس وعند الكبراء فينفع إخوانه المسلمين في طاعة الله.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾.

وما أحسن الجميل. يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه: ما أحسن الجميل، والله لو كان الجميل رجلاً لكان حسناً.

وما أَقبح القبيح، والله لو كان القبيح واللؤم رجلاً لكان قبيحاً.

جاءه رجل يوماً فاستحيا أن يسأل علي بن أبي طالب فكتب حاجته في التراب.

فقال علي رضي الله عنه وأرضاه: أمسكت ماء وجهك، وأعفيتنا من ذل سؤالك، لأُلبينَّ مسألتك، فكساه وآتاه مالاً.

فقال الرجل:

كسوتني حُلَّة تبلى محاسنها
لأكسونَّكَ من حُسْن الثنا حُلَلا

والثناء من أحسن ما وضعه الله للناس في الأرض.

وإنما المرء حديث بعده فك
ن حديثاً حسناً لمن وعى

فيا عباد الله: قوا نفوسكم من نار تلظَّى، وقوا وجوهكم من لفح النار؛ بالمعروف، وبالكلمة الطيبة، وبالبسمة، وبالصدقة، وبالزيارة، وبالشفاعة بما يُرضي الله سبحانه وتعالى. والله أعلم.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

بئس الضجيع

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعد..

هذه رسالة مرفوعة من الفقراء الذين يلبسون الثياب الممزَّقة والأحذية المرقَّعة ولا يجدون كسرات الخبز اليابسة. فهم يجوعون إذا شبع الناس، ويسهرون إذا نام الناس، ويبكون إذا ضحك الناس، أرسلوها إلى المترفين الذين ينامون في القصور المنيفة المذهبة الملمَّعة المزخرفة، ويدوسون الفرش الوثيرة بالأحذية الناعمة، ولا يعرفون البرد ولا الجوع ولا الظمأ ولا العري.

وهذه الرسالة سوف نبحث فيها مسائل مهمة.

ورد عنه ﷺ أنه قال: «**الراحمون يرحمهم الرحمن**»[1]، فلا بد للعبد أن يكون رحيماً بعباد الله عز وجل وأن يتقرَّب إلى الله بالشفاعة لهم.

---

(١) رواه أبو داود (٤٩٤١) والترمذي (١٩٢٤).

وعند البخاري ومسلم من حديث أبي موسى عنه ﷺ أنه قال: «**اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان نبيه ما شاء**». فالواجب على المسلم أن يرفع حاجات هؤلاء، وأن يتفقد أمورهم، وأن يقف معهم، وأن يشفع لهم، وأن يسعى بكل ما أوتي من قوة وما أوتي من بسالة من أجل إسعادهم.

لا يصح أيها الإخوة أن تعيش منا طبقة مترفة غنية تلعب بالأموال في بذخ لا يعلمه إلا الله، وطبقة أخرى تنام على التراب.

صحَّ عنه ﷺ من حديث ابن عباس أنه قال: «**يقول الله عز وجل يوم القيامة** ـ وهو يحاسب الإنسان ـ: **يا ابن آدم جعتُ فلم تطعمني**.

قال: كيف أطعمك وأنت رب العالمين؟

قال: أما تعلم أن عبدي فلان بن فلان جاع فما أطعمته، أما إنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي.

يا ابن آدم مرضتُ فلم تعدني.

قال: كيف أعودك وأنت رب العالمين؟

قال: أما تعلم أن عبدي فلان بن فلان مرض فما عُدته، أما إنك لو عُدته لوجدت ذلك عندي»(١).

وفي بعض الآثار يُروى عنه ﷺ أنه قال: «**الناس عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله**»(٢). فأحبُّ الناس إلى الله عز وجل الذي يسعى في نفع الناس.

وبعض الناس أناني ذاتي لا يعيش إلا لبطنه ولبيته ولمصالحه الشخصية، فلا ينظر في هموم الناس ولا في مشكلات الناس ولا ديون الناس ولا معاناة الناس.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان، وضعفه الألباني في المشكاة (٤٩٩٨).

لا يقف مع المستضعفين ولا يشفع لهم ولا يجمع التبرعات لهم ولا يدخل الإسعاد عليهم، وهذا خطأ.

بل قد يوجد من الأغنياء من يسكن في حي به فقراء، وأبناء هذا الغني مترفون بذخون وأبناء الفقير لا يجدون كسرة الخبز.

يُروى أن ابن المبارك رحمه الله أمير المؤمنين في الحديث كان إذا اشترى فاكهة بدأ بجاره وبأبناء جاره اليهودي، فوزع الفاكهة عليهم.

وإذا اشترى لحماً بدأ بأبناء اليهودي فوزّع عليهم اللحم.

وفي الأخير أسلم اليهودي لأن ديناً أخرج مثل ابن المبارك دين صحيح، دين ثابت، ودين معقول.

أما أن تكون فقط المشاركة بالكلمات والخطب الرنانة ثم نترك هؤلاء، فهذا هو الخطأ بعينه.

أقول هذا من واقع تجربة، فلا يمر يوم إلا وعشرات من المديونين ومن اليتامى ومن المساكين ومن الذين لا يستطيعون الزواج يقدّمون أوراقهم لي، وقد يحرج مثلي وأمثالي من هذه المسائل والقضايا ماذا يفعل بها؟.

أيجمع تبرعات؟ أم يذهب فيشفع دائماً؟ حتى لقد سال ماء الوجه عند كثير من الناس.

فالحل أن نتبنى قضية المستضعفين والفقراء والمساكين جميعاً.

وقد قال ﷺ كما في صحيح مسلم: « **والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه**».

وفي نفس الحديث: «**من يسّر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، ومن فرّج عن مسلم كُربة من كُرَب الدنيا فرج الله عنه كُربة من كُرَب يوم القيامة**».

فتفريج الكرب أعظم عند علماء أهل السنة من بعض النوافل اللازمة.

فمن يذهب للشفاعة عند مسؤول لفقير أو لمسكين أو لمحتاج هو أفضل ممن يصلي ركعتي الضحى في المسجد أو ممن يصوم النوافل.

وتفريج الكربات يشمل أشياء كثيرة: منها الشفاعة له، ومنها جمع الصدقات أو التصدق عليه.

وقد قال ﷺ في الصدقات وفي عظم أجرها وفي عظم الباذلين: **«كل امرىء في ظل صدقته يوم القيامة حتى يُقضى بين الناس»**(١).

فالعبد سوف يستظل بصدقته، فمنهم من صدقته كالجبل، ومنهم من صدقته كالرابية أو كالنخلة أو كالكف، ومنهم من لا ظل له.

وقد قال ﷺ في الصحيح: **«إذا تصدق العبد المسلم من كسب طيِّب، ولا يقبل الله إلا طيباً، فإن الله يقبلها بيمينه سبحانه وتعالى ثم يربّيها لأحدكم كما يربي أحدكم فُلُوّه حتى تبلغ كجبل أحد»**(٢).

وفي الصحيح أيضاً أنه قال ﷺ: **«إن لله ملكين يناديان كل صباح يقول أحدهما: اللهم أعطِ ممسكاً تلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعطِ منفِقاً خلفاً»**(٣).

وقال تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾، ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾.

وورد عنه ﷺ أنه قال: **«صدقة السر تطفىء غضب الرب»**(٤).

---

(١) رواه أحمد (٤/١٤٧) والحاكم (١/٤١٦).

(٢) متفق عليه. والفُلُو هو المُهر.

(٣) متفق عليه.

(٤) رواه الطبراني وصححه الألباني في الصحيحة (١٩٠٨).

وفي الترمذي: «**والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء بالنار**» فمن ارتكب خطايا أو ذنوب أو مخالفات فليطفئها بالصدقة فإنه لا يُسْتَرضى سبحانه وتعالى بمثل الصدقة.

كان علي بن الحسين زين العابدين يخرج في الليالي الظلماء يحمل الزبيب والدقيق والتمر ويوزعها على فقراء المدينة، فلما آتوا ليغسلوه بعد موته وجدوا أثر الخيوط التي كان يحمل بها في جسمه.

وهو الذي يقول فيه الفرزدق:

يُغضي حياءً ويُغْضَى من مهابته　　فلا يُكَلّم إلا حين يبتسم
هذا ابن فاطمة إن كنتَ جاهله　　بجدِّه أنبياء الله قد خُتموا
هذا الذي تعرف البطحاء وطأته　　هذا التقي النقي الطاهر العَلَم
ما قال لا قط إلا في تشهُّدِه　　لولا التشهُّدُ كانت لاؤه نعم

دخل رجل على علي رضي الله عنه وأرضاه والرجل فقير وعلي كان يملك ميزانية الدولة الإسلامية في الكوفة، ومع ذلك كان علي من أفقر الناس يلبس المرقَّع ولا يجد حَفنة من الزبيب، ويوزع بيت المال ويصلي فيه ركعتين ويقول: اللهم اشهد أني ما أمسكت لأهلي تمرة ولا حبة ولا زبيباً.

فأتى الفقير إليه فخجل أن يتكلم بحاجته أمام أمير المؤمنين فكتب حاجته على التراب بأصبعه.

فأعطاه علي حلة جميلة تساوي آلاف الدنانير.

فقال الفقير:

كسوتني حلة تبلى محاسنها　　لأكسونّك من حسن الثنا حُلَلا

يقول: حُلَّتك سوف تبلى، ولكن والله لأكسونك ثناءً يبقى أبد الدهر، ولذلك بقي هذا الثناء إلى اليوم.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأبناء هرم بن سنان لما وفدوا عليه: ماذا فعل بكم زهير بن أبي سلمى الشاعر؟

قالوا: مدَحنا وأعطيناه.

قال: ذهب والله ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم.

يقول زهير في مدح هرم في الصدقة والكرم والإنفاق:

وأبيض فياض يداه غمامة   على معتفيه ما تقل فواضله
تراه إذا ما جئته متهلِّلاً   كأنك تعطيه الذي أنت سائله
هو البحر من أي النواحي أتيته   فدرَّته المعروف والجود ساحله

واعلموا أيها الإخوة أن المعاناة التي يعيشها الفقراء معاناة لا يعيشها إلا من ذاق الفقر، وهم يحسون بها ولا يحس بها غيرهم.

وبعض الناس يستبعد هذا الكلام ويقول: أين الفقراء؟ أنت تتكلم من فراغ!

وأقول: مثل هؤلاء كمثل ملكة فرنسا التي يروى عنها في التاريخ أن الفرنسيين فقدوا الخبز في عهدها فما وجدوا خبزاً في الأفران ولا في الدكاكين ولا في البلد ولا في المحلاَّت.

فخرجوا في مظاهرة، فخرجت لهم من نافذة القصر وقالت: مال هؤلاء؟

قالوا: يريدون خبزاً.

قالت: ليأكلوا البسكويت حتى يأتي الخبز!!

وهم لو وجدوا بسكوتاً لما خرجوا في المظاهرة أصلاً.

لكن الشبعان والمثخن بالكبسات وبالنعم وبالترف ما يشعر بهذه المعاناة، كما قيل:

ما يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيها

وقال المتنبي:

القلب أعلم يا عذول بدائه وأحق منك بجفنه وبمائه
لا تعذل المشتاق في أشواقه حتى يكون حشاك في أحشائه

يقول: لا تعذل الجائع في جوعه حتى تجوع كما يجوع، ولا الظمآن حتى تظمأ كما يظمأ.

ولذلك فرض الله الصيام لتصوم الملايين كلها ليذوق الملك والوزير والأمير والغني الجوع ليعلموا أن الناس يجوعون.

وأن بعض الناس يعيش رمضان اثني عشر شهراً.

ولقد تعوَّذ ﷺ من الفقر وقال: «**اللهم إني أعوذ بك من الفقر**»[1]، وفي بعض الآثار يقول: «**كاد الفقر أن يكون كفراً**»[2]، لأنه أحياناً يبلغ بالإنسان التسخط على الله حتى يرد القدر ويسبه فيكفر.

ابن الريوندي الزنديق الفيلسوف، الكلب المعثّر، كان فقيراً مملِقاً، وكان من أذكياء الناس، ولكنه لا يجد كسرة الخبز، وفي الأخير بحث فوجد بحفظ الله ورعايته كسرة خبز، فوقف على نهر دجلة يبتلها بالماء ويأكلها.

فمرت طوابير من الخيول عليها الذهب فقال: لمن هذه الخيول؟

قالوا: لفلان العبد.. عبد من الناس.

فقال يخاطب الله عز وجل: أنا فيلسوف الدنيا ابن الريوندي ما

(١) رواه أبو داود والنسائي، وصححه الألباني في المشكاة (٢٤٦٧).

(٢) رواه ابن عساكر (١٨٤/٣)، وانظر: العلل المتناهية (٣٢٠/٢).

أعطيتني إلا كسرة، وهذا البليد الغبي تعطيه الخيول من الذهب! ثم رمى بالكسرة في النهر وقال: هذه قسمة ضيزى!!!

ثم ألَّف كتاب الدامغ ليدمغ به القرآن، فدمغ الله رأسه في العذاب.

فتجد بعض المعاناة تشتد بالإنسان إلى أن يكفر والعياذ بالله بسبب الفقر.

وتجده إذا تكلمت أنت في العدل والتآخي والسواساة قال: أين العدالة؟ أين الإسلام؟ أين الفقراء؟

ويقول:

يمشي الفقير وكل شيء ضده ... والناس تغلق دونه أبوابها
وترى الكلاب إذا رأت رَجُلَ الغنى ... حنت إليه وحركت أذنابها
وإذا رأت يوماً فقيراً معدماً ... نبحت عليه وكشرت أنيابها

ما هي معالم الفقر في المجتمع؟

وما هي الخطوط العريضة التي يعيشها الفقراء؟ وما أسبابها؟ وما هو الحل لهذه المشكلات؟

هذا ما أريد أن أقوله باختصار في هذه الرسالة.

من أسباب الفقر بعد تقدير الله عز وجل: قلة الدخل بالنسبة للمصروف، فإن كثيراً من الناس لا يغطي دخلهم مصروفهم.

تصور ماذا يفعل الذي راتبه ألفا ريال أمام مصروفات هائلة؟ وأمام المشتريات والسلع وأمام حاجة العصر المتطورة من لحوم وفواكه وخضروات ومشروبات ومأكولات ومفروشات، وهو يريد أن يعيش العصر حسب ما يعيشه أهله.

أيضاً هناك مصروفات أخرى كمصروفات الهاتف والكهرباء والماء

ولوازم السيارة ولوازم الذهاب والإياب والعلاج ولوازم الطيران من تذكرة وغيرها، هذه كلها لوازم باهظة، فيكون المصروف أعظم بكثير من الدخل، فلا مقارنة بينهما.

فلا بد للإنسان في هذه الحال أن يوازن بين مصروفه ودخله، وما عال من اقتصد، لا أن يماشي الناس في أهوائهم.

فإن بعض الناس تجده يباري الناس ويظاهرهم، والمتشبع بما لم يعطَ كلابس ثوبَي زور.

فهو يريد أن يفعل مثل كُبراء الناس وأغنياء الناس في العزايم والحفلات والأخذ والعطاء وأثاث البيت والمشتريات لأطفاله ولباس الأهل.

وكل هذا لا يلزمه أصلاً، لأنه ليس مكلَّفاً بذلك من الشرع.

وفي الحديث الصحيح: «**لينظر أحدكم في الدنيا إلى من هو دونه**»[1]، لا أن تنظر إلى من المليون الواحد عندهم كالريال عندنا، لأنك ستتعب نفسياً وتلقى أثر ذلك دينياً.

ومما يعانيه هؤلاء أيضاً ارتفاع أسعار الإجارات في الشقق والبيوت.

فعلى أهل العقار أن يتصدقوا وأن يراعوا أحوال هؤلاء وأن يتقوا الله فيهم.

لماذا لا يقوم الأغنياء مثلاً بتوقيف بعض الفلل والعمارات الضخمة والشقق على هؤلاء الفقراء والطلاب الذين لا يجدون مأوى.

أيضاً من المستحسن أن يُقَدّم هؤلاء أثناء صرف الزكوات الهائلة التي تخرج من جيوب المحسنين والأغنياء.

---

(١) متفق عليه بنحوه.

فلا يعطى أي مصرف من المصارف الثمانية للزكاة قبل أن يُعطى هؤلاء الفقراء لأنهم أحق بها وأهلها.

ومن معاناة الفقراء أيضاً: غلو المهور الذي يعيشونه في واقعهم مما جعل كثيراً من الشباب يعزفون عن الزواج بهذه الحجة، وهي حجة صادقة.

فلماذا لا نتكاتف مع ولاة الأمور ـ وفقهم الله للخير ـ إلى القضاء على هذه الظاهرة الموجودة في كثير من المناطق؟

فنسهِّل هذا الأمر على الراغبين بدلاً من انصراف الشباب إلى الزواج من الخارج أو تعرضهم للفتنة والوقوع في الفواحش بسبب هذا الغلاء.

وهذا التخفيف يشمل المهر نفسه، ويشمل كذلك ما يصاحب الزواج من إنفاق وبذل في غير محله.

كالتكلُّف في ليلة العرس بإقامة الموائد العريضة من الأطعمة المتنوعة التي يُرمى أكثرها ولا يُؤكل.

فهي خسارة على صاحبها في الدنيا وسيسأله الله عنها في الآخرة كما قال سبحانه: ﴿ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾.

ومن ذلك أيضاً الديون التي ترهقهم من بعض الجهات. وقد أحسنت الدولة ـ وفقها الله للخير ـ عندما أسقطت بعض الديون الخاصة بالبنك العقاري ونحوه عن هؤلاء الفقراء.

ونأمل منهم توالي مثل هذه القرارات المفرحة لقلوب هؤلاء الفقراء وسيجدون معها كثيراً من الدعوات والسداد والحفظ من الله.

وقد فعل بعض الخلفاء ذلك، فإنه قد ذكر أن هارون الرشيد كان في يوم عيد الفطر يرسل النفقات للناس بما يكفيهم سنة.

وكان عمر بن عبدالعزيز يوزع الذهب والفضة في المساجد حتى يقول أحد وزرائه: والله الذي لا إله إلا هو، لقد مشيت من دمشق إلى أفريقيا فما وجدت فقيراً أعطيه الزكاة.

لقد أعطاهم وأغناهم عمر بن عبدالعزيز.

وكان يقوم على المنبر ويقول: يا أيها الناس من وجد منكم فقيراً فليدفع لي أمره أو مسكيناً أو مديوناً.

فمثل هذه لا يضر أبداً، بل هو مما يجعل توفيق الله وحفظه يحل على البلاد.

ومن أسباب هذه الحال وهي أعظمها وأخطرها عند أهل الإسلام أن بعض الأغنياء لا يزكون أموالهم والعياذ بالله.

وهم يعلمون أن الزكاة من أركان الإسلام، قد جهّز لأجله أبو بكر الجيوش الجرارة ليردعوا من تهاون فيه أو بخل.

ولم يعلم هؤلاء قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

أيضاً بعضهم إذا زكّى أو أنفق من أمواله ذهب بها إلى دول قاصية، قد لا يكون أكثر أهلها مسلمين، فيوزع أمواله على فقراء النصارى أو فقراء الوثنيين أو الهندوك أو فقراء المبتدعة، ولا يراعي فقراء المسلمين في الدول الإسلامية، ولا فقراء أهل السنة الذين هم الأقربون وهم الأولى بالمعروف.

أو تجد له مصارف في الأموال ليست بصحيحة وغيرها أحسن منها، فالواجب مراعاة مثل هؤلاء الفقراء.

ومن أسباب ذلك عدم وجود فرص للعمل لبعض هؤلاء الفقراء.

حيث يبقى الواحد منهم السنين الطويلة وهو لم يعثر على عمل يكسب منه لقمة طيبة له أو لأهله، فيعيش يعاني الفقر والبطالة.

وهذه حلها أن تُهيأ الفرص الوظيفية لهؤلاء الفقراء حسب توجهاتهم وقدراتهم.

وأن يُرفع لولاة الأمر عن أحوالهم ليكون لهم فضل إنقاذهم مما هم فيه.

واعلم أن بعض أسباب تلكم البطالة هي ليست في عدم وجود الفرص، بل الفرص متاحة للبعض، لكنه يؤثر الكسل والبطالة لأنه لا يهوى العمل الجاد في حياته.

وهذا لو كان في عهد عمر لفلقه بالدرّة في رأسه حتى يستقيم ويعمل.

وبعضهم يأنف من بعض الحِرف، فإذا قلت له: حبذا لو عملت في ورشة.

قال: أنا أعمل في ورشة؟!

ونسي أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه مثلاً طلى إبل الصدقة، واشتغل وعمل ورفع الماء لليهودي من البئر وأخذ أجره حفنة من التمر رضي الله عنه.

وعمر عمل في المزرعة.

وأبو بكر.

وعثمان.

لكن كثيراً من الناس عندنا يأنفون بأن يعملوا عملاً مِهْنياً، فيقول أحدهم: هذا العمل لا يناسب مؤهّلاتي!!

وما هي مؤهِّلاتك يا عاطل!

وما علم هذا أن من تواضع لله رفعه.

ومن الأسباب أيضاً أن كثيراً من الناس رزقه الله عدة أبناء.

أنا أعرف رجلاً عنده زوجتان ولديه أربعة عشر طفلاً وراتبه (١٤٠٠) ريال، وعليه ديون عظيمة، ويسكن في بيت شعبي في ضاحية من ضواحي أبها، ومعه سيارة (هايلوكس) يذهب بها في الصباح فيوصل بناته ويوصل أبناءه إلى مدارسهم ولا يجد ما ينفق عليهم إلا ما رزقه الله.

فالحلول لهذه المشكلة (مشكلة الفقر) في هذا المجتمع المسلم تكون بالآتي:

أولًا: إحياء روح التكافل الاجتماعي الذي جاء به النظام الإسلامي والذي أنزله الله في كتابه وفي سنة رسول ﷺ، بتوجيه الإنفاق وجهة شرعية والتعاون بين الأغنياء والفقراء في سد احتياجاتهم، كلٌّ بحسب ما يستطيع ويبدأ بمن حوله.

ورد في التاريخ أن عمر رضي الله عنه وقف على المنبر في عام الرمادة فقرقر بطنه من الجوع يوم الجمعة.

فقال: يا بطن قرقر أو لا تقرقر، والله لا تشبع حتى يشبع أطفال المسلمين.

ويقولون أنه ما أكل سميناً ولا سمناً، وكان يوزع ما يأتيه على الفقراء ويطوف والصحفة على رأسه، يوزع على الفقراء ويقول: أواه يا عمر كم قتلت من أطفال المسلمين؟

وكان يضع خده على التراب ويبكي ويقول: لا أرفع خدي حتى ينزل القطر.

وصلى بالناس الاستسقاء فما خرج من المصلى إلا والسيول تنزل على المدينة رضي الله عنه وأرضاه.

الثاني: جمع التبرعات من قبل أئمة المساجد وتوزيعها على فقراء الأحياء، فليست مهمة إمام المسجد فقط أن يصلي وينصرف، بل مهمته أن يراعي أهل الحي والقرية في احتياجاتهم فيحاول سدَّها بالتوفيق بين الغني والفقير.

الثالث: صرف الزكاة صرفاً سليماً كما سبق معنا بأن يُقدّم الفقراء على غيرهم.

الرابع: تشكيل لجان من الجهات المختصة للاطلاع على الأوضاع في المناطق المحتاجة وهذا واجب شرعي.

وأن لا يسمعوا من داعية أو من خطيب أو من عالم حتى يروا الأمور بأنفسهم وبعيونهم، كما رأينا نحن في عشرات القرى وفي مئات المناطق.

وهذه كلمة نقولها، نسأل الله أن ينفع بها وأن يأجرنا عليها ويأجر جميع من سعى لنفع هؤلاء ومساعدتهم.

فتكتب التقارير وتُرْفع إلى المسؤولين ثم تغطّى هذه المناطق وحاجات الناس، ويُرفع الضر عنهم ويوقف معهم، لأن النفع في الدنيا وليس في الآخرة، ففي الآخرة الحصاد.

هذه بعض المسائل في هذه الرسالة التي أردت أن تكون وكأنها رسالة من الفقراء رفعوها إلى طلبة العلم، وإلى الخطباء، وإلى أئمة المساجد، وإلى المسؤولين، وإلى أهل الخير، وإلى الأغنياء، وإلى التجار، وإلى من أعطاه الله مالاً، أن يقف معهم وأن يعطيهم مما أعطاه الله.

وأُبَشره بعد ذلك بالأجر العظيم من الله لأنه لا يبقى إلا العمل الصالح.

وأقول له كما قال الشاعر:

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها
إلا التي كان قبل الموت بانيها
فإن بناها بخير طاب مسكنه
وإن بناها بشر خاب بانيها
أموالنا لذوي الميراث نجمعها
ودورنا لخراب الدهر نبنيها
فاعمل لدار غداً رضوان خازنها
والجار أحمد والرحمن بانيها
قصورها ذهب والمسك طينتها
والزعفران حشيش نابت فيها

والله أعلم. وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلَّم.

متأهِّلون للمقت

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

بين يدي الآن وثيقة شرعية وقائمة نبوية بأسماء بعض الذين لعنهم الله على لسان رسوله ﷺ، فنعوذ بالله من مقت الله، ونعوذ بالله من لعنة الله، ونعوذ بالله من غضب الله، وسوف أذكرها لكم لعلنا أن نجتنب هذه اللعنة.

واللعنة هي الطرد والإبعاد من رحمة الله، ومن عفو الله، ومن كرم الله. وتوخيت في هذه القائمة الأحاديث الصحيحة والحسنة التي ثبتت عن معلم الخير ﷺ، إلا في بعض الألفاظ فنبهت على ذلك وتجنبت الضعيف، فإليكم إياها.

١ ـ قال ﷺ: «**لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها وحاملها والمحمولة إليه وآكل ثمنها**»، رواه أبو داود وصححه الحاكم عن ابن عمر.

٢ ـ وقال ﷺ: «**لعن الله الراشي والمرتشي والرائش الذي يمشي بينهما**». رواه أحمد عن ثوبان، وللترمذي والحاكم نحوه. وكلمة الرائش في ثبوتها نظر.

٣ ـ وقال ﷺ: «**لعن الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه**»، وقال: «**هم سواء**» رواه مسلم.

٤ ـ وقال ﷺ: «**لعن الله السارق يسرق البيضة فتُقطع يده، ويسرق الحبل فتقطع يده**»، رواه البخاري ومسلم.

٥ ـ وقال ﷺ: «**لعن الله المتشبِّهات من النساء بالرجال، والمتشبِّهين من الرجال بالنساء**»، رواه أحمد وأبو داود والترمذي.

٦ ـ وقال ﷺ: «**لعن الله الرجل يلبس لبس المرأة، والمرأة تلبس لبس الرجل**»، رواه أبو داود والحاكم.

٧ ـ وقال ﷺ: «**لعن الله المحلِّل والمحلَّل له**»، رواه أحمد والأربعة.

٨ ـ وقال ﷺ: «**لعن الله النائحة والمستمعة**»، رواه أحمد وأبو داود.

٩ ـ وقال ﷺ: «**لعن الله الواشمات والمستوشمات، والنامصات والمتنمِّصات، والمتفلِّجات للحسن المغيِّرات خلق الله**»، رواه البخاري ومسلم.

١٠ ـ وقال ﷺ: «**لعن الله الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة**» متفق عليه.

١١ ـ وقال ﷺ: «**لعن الله زوَّارات القبور**»، رواه أحمد وابن ماجه والحاكم، وعند الثلاثة: «**زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج**»، وفي الجملة الثانية ضعف ولها شواهد تحسَّن بها.

١٢ ـ وقال ﷺ: «**لعن الله من لعن والديه، ولعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من آوى محدِثاً، ولعن الله من غيّر منار الأرض**»، رواه مسلم وأحمد والنسائي.

١٣ ـ وقال ﷺ: «**لعن الله من مثّل بالحيوان**» متفق عليه.

١٤ ـ وقال ﷺ: «**لعن الله الخامشة وجهها، والشاقة جيبها، والداعية بالويل والثبور**»، رواه ابن ماجه وصحَّحه ابن حبان.

أيها الأحباب.. لنعد إلى بعض الألفاظ ولنستمع إلى هؤلاء الملعونين وصفاتهم لعل الله أن يدرأ عنا وعنكم لعنته وغضبه ومقته وويله.

يقول ﷺ: «**لعن الله الخمر وشاربها**»، يدخل في هذا المخدِّرات بأنواعها، لأن العلة واحدة وهي السُّكْر وذهاب العقل، فمن باع المخدِّرات حبوبها وحشيشها، بأنواعها فهو ملعون، ومن حملها إليه ومن روّجها ومن سار فيها ومن تستَّر على أصحابها فهو مثلهم.

«**والآكل ثمنها**» هو الذي يبيعها ويأخذ ثمنها.

ويقول ﷺ: «**لعن الله الراشي والمرتشي والرائش**». الراشي: الذي يرشي المسؤولين والموظفين ليحصل على حق ليس له ويسلب حقاً استحقه صاحبه فيصرفه بالرشوة.

فمن دفع رشوة لمسؤول أو والي أمر من ولاة أمور المسلمين أو عامل فهو ملعون.

ومن قبِلها منه فهو ملعون.

ومن سار بينهم بالوثيقة وهو الرائش فهو ملعون على لسان المصطفى ﷺ.

لا إله إلا الله! كم للرشوة من فساد في مجتمعنا وكم عطَّلت من حق؟ وكم هدمت من حق؟ وكم أحيت من ظلم؟ وكم ضيَّعت من حقوق لأصحابها؟

وهي جريمة شنعاء ملعون من زاولها، وملعون من رضي بها، وملعون من حملها لغير مستحقها.

أما لعن «**آكل الربا**» فهو من زاول أكله.

«**وموكله**» أي أعطاه وقدّمه وبذله.

«**وكاتبه**» أي من توظف في كتابته ومن زاول العمل الذي فيه ربا، ومن يوقع على الصك ويمضي العقد ويمضي الحوالة فهو ملعون على لسان أشرف الخلق ﷺ.

قوله: «**لعن الله السارق يسرق البيضة**»، أي بيضة الدجاجة، وهو لا يُقطع عليها حداً لكنه يتدرج حتى يسرق أكبر منها فتُقطع يده.

وقيل البيضة التي يضعها المقاتل على رأسه.

فتُقطع يده لدناءته وحقارته في الإسلام.

ولعن الله المتشبِّهات من النساء بالرجال.. وهن اللواتي يلبسن لبس الرجال، ويتكلَّمن كلام الرجال، ويجلسن جلسة الرجال، ويزاولن أعمال الرجال، فهن ملعونات على لسان المصطفى ﷺ.

ويدخل في ذلك المغنيات والراقصات والدَّاعرات، فإنهن خرجن عن الحجاب والستر عند الله.

والمتشبِّهين من الرجال بالنساء.. وهم الذين يتأنَّثون في مِشيتهم ولبسهم وخواتمهم وشعورهم وأظافرهم وكعوبهم، وهم يسمون في الشريعة (المخنَّثون)، وهم لا حظ لهم في الخير إلا أن يتوب الله عليهم بتوبة نصوحة.

ويدخل في ذلك من رقَّق صوته كصوت المرأة، ومن جلس جلسة المرأة، ومن مشى مشية المرأة، ومن تثنَّى تثني المرأة، ومن استخدم المزينات والمكياج التي تستخدمها المرأة، فهو يدخل في هذه اللعنة.

وقال ﷺ: «**لعن الله الرجل يلبس لبس المرأة، والمرأة تلبس لبس**

الرجل». قال أهل العلم: اللباس الخاص بالرجال أي في عرف الناس هو للرجل، واللباس الخاص بالنساء الذي هو في عرف الناس للنساء.

فمن لبس من الرجال لبس المرأة فهو ملعون، ومن لبست من النساء لبس الرجال فهي ملعونة، على لسان أشرف الخلق ﷺ.

وقال ﷺ: «**لعن الله المحلِّل والمحلَّل له**». المحلِّل هو الذي يأتي للزوجة المطلَّقة فيتزوجها، وهي التي طُلِّقت بثلاث وانتهت عدتها فلا تحل للأول إلا أن تنكح زوجاً غيره، فيأتي هذا الرجل ويتزوج هذه المرأة بالاتفاق مع الزوج الأول لا يقصد أن تكون زوجة له ولكن ليحلِّلها، فيمكث معها فترة أو يدخل بها فيطلقها فيتزوجها الأول باتفاق بينهم، فهذا ملعون وذلك ملعون.

وإنما الجائز أن يتزوَّجها بقصد أن تكون زوجة له، ثم إذا بدا له أن يطلقها فليطلقها وليتزوجها الزوج الأول.

وقال ﷺ: «**لعن الله النائحة**». النائحة التي تنوح في المآتم وتدعو بالويل والثبور، وتصيح في وقت المصائب والكوارث إذا مات أبوها أو أخوها أو زوجها أو ابنها رفعت صوتها وولولت وناحت وقالت: يا فلان ابن فلان، واظهراه واجبلاه واكريماه واشجاعاه، فهي ملعونة.

ويدخل في ذلك المستمعة. قال أهل العلم: هي التي تأتي بالنائحة وتدفع لها أجرة وتُدخلها بيتها فهي ملعونة.

والسر أنهم ما رضوا بقضاء الله بل تسخّطوا على حكمه تعالى.

قال ﷺ: «**لعن الله الواشمات والمستوشمات**». الواشمة: هي التي تضع الوشم في خدِّ النساء، والوشم كالحبر والصبغ الأخضر والأسود وما يدخل في حكمه، فهي تأتي بعقاقير معها وبمخايط وتدخل الوشم في وجوه النساء فهي ملعونة.

والمستوشمات هن اللواتي يأتين بالوشم ويضعنه في خدودهن وعلى أنوفهن وتحت شفاههن فهن ملعونات.

«**والنامصات والمتنمصات**». النامصة هي التي تقلع شعر حواجبها أو حواجب غيرها وتنتفه، والمتنمِّصة التي تطلب فعل ذلك.

فهن ملعونات بلعنة الله على لسان أشرف الخلق نبينا محمد ﷺ.

«**والمتفلِّجات**» وهن اللواتي ينشرن أسنانهن، أو يحددن أسنانهن، أو يدعن فرجات بين الثنايا، فهن ملعونات بلعنة رسول الله ﷺ.

«**المغيِّرات خلق الله**»، وهن اللواتي يفعلن في أنفسهن ما يغيِّر خلق الله بهن.

ثم قال ﷺ: «**لعن الله الواصلة والمستوصلة**». الواصلة التي تصل شعر غيرها بشيء يكثره، فوصل شعر المرأة حرام.

والمستوصلة التي تطلب ذلك من النساء.

هذه اللعنة للنساء، ولكن وجد من بعض الشباب الذين جهلوا لا إله إلا الله وضيَّعوا لا إله إلا الله، وضيعوا دينهم وكرامتهم وعزهم ونخوتهم، وجد من يصل شعره فيلبس الباروكة على رأسه، فهو حقيق باللعنة من الله من فوق سبع سموات.

قال ﷺ: «**لعن الله زوّارات القبور**». (زوَّارات) بلغة المبالغة وهن اللواتي يتعاهدن القبور بالزيارة وتكون لهن زيارة مكثفة على القبور، وقد نهى ﷺ أن تزور المرأة القبور لما في زيارتها من فتنة وجزع وهلع وتسخط، ولأنها ضعيفة قلب، ولأنها متعرضة للعيون، فمنع ﷺ زيارة المرأة.

وفي لفظ أن رسول الله ﷺ قال: «**لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج**». قال بعض أهل العلم: لا تشملهم اللعنة حتى تُتخذ عليها المساجد والسرج.

لكن الأبعد للريبة والمعصية، ألاّ تزور المرأة القبر على أي حال من الأحوال.

وقال ﷺ: «**لعن الله من لعن والديه**». وقد استحق اللعنة، ولا يفعل هذا إلا الفاجر. وقد وجد من هذا الصنف كثير، بل أخبرنا كثير من الإخوة أن شباباً ضربوا أمهاتهم ضرباً مبرِّحاً، وقد استُدعي بعضهم من رجال الأمن في بعض المناطق بشكوى من أمه، فلما أُوقف أمام رجال الأمن بكى وأخذ يقبل رجل أمه وقال: أتوب.

قالت: لا والله اضربوه.. إن يبكي مرة فقد أبكاني مرات.

فهذا ملعون ومن لعن والديه ملعون.

وقال ﷺ: «**لعن الله من ذبح لغير الله**». وهي الذبيحة الشركية التي تُذبح في النذور الشركية وعند القبور وعند الأصنام بواسطة الكهنة والمشعوذين وغيرهم من الدجالين.

وهذه الذبائح قد كثرت في هذا الزمن خاصة في البوادي والقرى مع الكهنة ومع المشعوذين والسحرة أعداء الله. فليعرف المؤمن لمن يذبح، وليكن نسكه لله، ولتكن ذبيحته لله، ولا يتقرب بها لغير الله تبارك وتعالى.

«**ولعن الله من آوى محدثاً**». المحدث هو الفاجر المتهتِّك في حدود الله، الذي اشتهر فجوره، كالسارق الذي تمرد على ولاة الأمور وعلى حدود الله، وكمروِّج المخدِّرات، وكالفاجر الذي عُرف فجوره، فمن ستره وتستر عليه ودرأ عنه الحق وحاول أن يخفيه عن ولاة الأمور فهو ملعون، لأنه فعل جريمة وجرح شعور المسلمين، ولأنه سبب في انتشار الجريمة والفاحشة في المجتمع المسلم.

«**ولعن الله من غيّر منار الأرض**». منار الأرض هو الحد الذي يفصل ما بين الأراضي، فمن يغيِّره على ما وُضع عليه فهو ملعون،

ولا يفعل ذلك إلّا من قل إيمانهم ويقينهم، ونسأل الله العافية والسلامة.

وقال ﷺ: **«لعن الله من مثّل بالحيوان»**، أي شوّه الحيوان فقتله من غير ذبح، كأن يقطع رجله وهو حي، أو يقطع ذيله، أو يصعقه، أو يرميه بالرصاص وهو مربوط، أو يفقأ عينيه، أو يقطع أذنه، فهو ملعون بلعنة الرسول ﷺ.

«ولعن الله الخامشة وجهها» في المأتم وفي العزاء، التي تخمش وجهها من الهلع والفزع.

«والشاقة جيبها» في مناسبة الموت فهي ملعونة.

«والداعية بالويل والثبور»، وهي التي تتسخط على القضاء والقدر، وقد سبق بيان ذلك في النائحة.

فيا عباد الله! أخبروا أسركم بهذا، وأخبروا بناتكم وأمهاتكم وعماتكم وخالاتكم بهذا، وانشروا الخير في بيوتكم، وأخبروهم بمحارم الله وحدود الله، لئلا ينالوا لعنة الله أو غضب الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۝٦﴾.

والله أعلم. وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلّم.

أهل الكِبْر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد..

إن من أنقم الخصال وأعظم الجرائم (الكبْر)، فهو ركن من أركان الكفر، ولا يمنع الإنسان من الإيمان إلا الكبر.

ولا يمنعه من تعلم العلم، وطلب الفائدة والتفقه في الدين، وحمل هذه الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا الكبر.

بل لقد بلغ الكبر ببعض الناس أن منعه من أن يؤذِّن وأن يرفع دعاء الله وكلمة الله.

وبلغ الكبر ببعض الناس أن منعه أن يحضر مجالس العلم والدعوة والخير لينير قلبه.

لذلك عد ابن القيم رحمه الله الكبر من أركان الكفر، فما انشق منشق على الإسلام إلا بالكبر.

ولا انصرف منصرف إلا بالكبْر، نسأل الله التواضع له ولعباده الصالحين لنكون من الذين يمشون على الأرض هوناً.

يقول عزَّ مِن قائل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا

تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾﴾.

الذين استكبروا على الدين واستكبروا على الله واستكبروا على الرسالة واستكبروا على سنة الرسول ﷺ لا تفتح لهم أبواب السماء، لأن مفاتيحها بيد الله. فبإمكانك أن يُفتح لك عند سلطان أو عميد أو مسؤول، لكن باب الله لا يفتحه إلا هو.

ففتح للطائعين من طريق محمد ﷺ ورد الخاسرين وقال: عملتكم ودراهمكم ظهرت مزيفة ليس عليها الختم من طيبة.

وختمه ﷺ وصل إلى القلوب ووصل إلى الأبدان ووصل إلى الأعمال.

فأما وصوله إلى القلوب فعقيدة راسخة كالجبال.

وأما وصوله إلى الأبدان، فالسنة خُتِمت بختم يعرف على الأبدان.

يقول الصحابة: يا رسول الله كيف تعرف أمتك يوم القيامة؟

قال: «**أرأيتم لو كان عند رجل خيل بُلْق وخيل دُهم ألا يعرف خيله**»؟

قالوا: بلى.

قال: «**إن أمتي يأتون يوم القيامة غراً محجَّلين من أثر الوضوء**»[1] فهذه علامة.

والعلامة الثانية: أن الهيئة والشخصية معلومة معروفة في الأكل والشرب واللباس.. إلخ.

---

(١) متفق عليه.

فالمتكبِّرون لا تفتح لهم أبواب السماء.

قال أهل العلم: أن دعاءهم لا يتجاوز رؤوسهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾، فتعال بالجمل واحشره في قيد الإبرة الصغيرة فهل يدخل؟ فهكذا المتكبِّر أبى الله أن تفتح له أبواب الرحمة.

والسرُّ أنه نازع الله في ردائه، لأن الله تردَّى بالكبرياء وتأزَّر بالعظمة وقال: «**فمن نازعني فيهما قصمته**»[1]، وفي رواية: «**كببته على وجهه في النار**»، وفي رواية: «**عذبته**».

فالله من صفاته المتكبِّر، وهي صفة تعالٍ وكمال، وهي في العبد صفة نقص.

والعرب تسمي المتكبِّر أحمقاً، فأحمق الناس المتكبِّر، ويسمونه طاووس يعني ليس عنده عقل.

قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾. انظر ما أحسن العبارة!.

قال: ﴿عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ﴾ وهذا من الإحاطة، فمعناه أن القلب كله طبع الله عليه والطبع آخر المنازل.

ففي القرآن ﴿رَانَ﴾.

وفي القرآن: ﴿أَكِنَّةٍ﴾.

وفي القرآن: ﴿غُلْفٌۢ﴾.

---

(١) رواه مسلم.

وفي القرآن: ﴿طَبَعَ﴾؛ فالطبع آخرها فإذا طبع على القلب فإنه لا يفهم.

وتلا عمر رضيَ الله عنه وأرضاه هذه الآية: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾، فدمعت عيناه وقال: اللهم لا تطبع على قلوبنا فلا تُفتح.

فقال غلام عنده من هوازن: يا أمير المؤمنين يفتحها الله إذا شاء.

فتبسَّم عمر ودعا له.

قالوا: ما زال الخير في ذلك الغلام.

فمن يفتح القلوب إلا الله؟

ومن يفتح السماء إلا الله؟

ومن يفتح الجنة إلا الله؟

فهي ثلاثة لا يفتحها إلا هو.

وقال عزَّ مِن قائل: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾. قال أهل العلم: هذا عهد من الله أن يصرف عن آياته أهل الكبر فلا يتعظون، ولذلك مهما حدَّثت ومهما تكلَّمت فإنهم لا يستجيبون.

لقد أسمعت لو ناديت حياً   ولكن لا حياة لمن تنادي
ولو ناراً نفخت بها أضاءت   ولكن أنت تنفخ في رمادِ

فالقلب المتكبر لا يسمع ولا يعي.

فقل للعيون الرمد للشمس أعين   تراها بحق في مغيب ومطلع
وسامح عيوناً أطفأ الله نورها   بأهوائها لا تستفيق ولا تعي

أتى ﷺ فرفع صوته على الصفا: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

فاستمعت له الكائنات والناس، فأتى الذين يريدون الله والدار الآخرة الذين يقال لهم: ما جماعتكم؟

قالوا: أهل السنة.

وبيوتكم؟

قالوا: المساجد.

وماذا تريدون؟

قالوا: نريد وجه الله.

ما هو لباسكم؟

قالوا: التقوى.

ما هو سلاحكم؟

قالوا: التوكل.

من هو إمامكم؟

قالوا: محمد ﷺ.

ما هو مأواكم؟

قالوا: الجنة.

فأما أبو جهل فقال: لا.

وأما أبو لهب فقال: لا.

وهكذا أمية بن خلف والوليد بن المغيرة.

فأخزاهم الله وعذَّبهم بسبب الكبر عن هذه الكلمة.

وأتى بلال العبد الحبشي الذي ضُرب بالسياط حتى أصبح في منزلة الحيوان عند الجاهلين فقال: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فرفعه الله بهذه الكلمة لأنه تواضع وقبلها.

بل قام على سطح الكعبة يوم الفتح يؤذن فتحوَّل سواده بياضاً بالمنهج.

فرفع صوته فما سمعه أحد من المسلمين إلا بكى.

استفاقت على أذان جديد ملؤ آذانها أذان بلال

فقال عمر بن الخطاب: أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا (أي بلال).

أما نماذج المتكبِّرين فمنهم قارون الذي رزقه الله الأموال الكثيرة.

فقال له قومه: لا تفرح فإن الدنيا فانية ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾.

فقال: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ يعني ورثته كابراً عن كابر.

وقد أخطأ وأذنب وأسرف على نفسه.

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ﴾ في حلة من ديباج تقطر بماء الذهب.

والله قد يعطي الفاجر ما شاء وما تمنَّى؛ فتجده في ناطحات السحاب والسيارات الفاخرة، ولا تقف في طريقه العقبات لكن سلب الله الإيمان من قلبه فمن يهديه من بعد الله؟

والدنيا والله لا تساوي كلها ركعة ولا تساوي تسبيحة أبداً حتى يقول شاعر المسلمين:

خذوا كل دنياكم واتركوا فؤادي حراً طليقاً غريبا
فإني أعظمكم ثروة وإن خلتموني وحيداً سليبا

فخرج على قومه في زينته فانقسم الناس قسمين.

قال أهل العلم وأهل الفقه وأهل التقوى وأهل قيام الليل والزها ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾.

وقالوا للناس المعجبين به: ﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾.

وقال الفقراء الذين يقيسون الناس بالدنيا: ﴿يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾.

وبداية السخط على قارون أنه أحضر امرأة من بني إسرائيل من أجمل بنات بني إسرائيل، وأتى بقِدر من ذهب وقال: هذا لك بشرط أنك إذا اجتمع بنو إسرائيل واجتمع الناس أن تقومي فتضربي رأسك وتمزقي نحرك وتقولي بأن موسى زنا بك.

لا إله إلا الله! موسى داعية التوحيد.. موسى المؤمن.. موسى الذي أتى بالطهر والعدل.

لكن ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون.

فاجتمع الناس، وبينما موسى يتحدث بموعظة فإذا بهذه المرأة تصرخ وتقول ما وصّاها به قارون.

فقال موسى: يا أمة الله ما لك؟ أسألك بمن جعل هذه السحابة ظلة، وبمن فجّر لي البحر، ومن فلق لي الصخرة أحدث هذا؟

فارتبكت وعرفت موقفها وواجبها أمام الله فقالت: لا، لقد رشاني قارون بقنطار من الذهب لأدّعي عليك.

فقال موسى وقد التفت إلى الحي القيوم: اللهم خذه، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ فخسف الله به وبداره الأرض فأصبح عبرة للمتكبرين على طول الزمان.

٢ ـ وفرعون تكبَّر بالصيت وقال: ﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ﴾؟

قالوا: نعم.

﴿وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ﴾؟

قالوا: نعم.

قال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾.

قالوا: نعم، وصفقوا له.

ولذلك يقول سبحانه وتعالى: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (٥٤)﴾.

فقدوة المتكبرين بالمناصب فرعون الذي قال: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي﴾، فأجراها الله من فوق رأسه!

فوقع في الخسار بسبب الكبر.

٣ ـ وكان كفار قريش يعلمون أن الرسول ﷺ أمين وصادق وأنه مخلِص.

فقال بعضهم لبعض: أتشكُّون في صدق محمد؟

قال أبو جهل: أعلم أنه صادق وأعلم أنه أمين، لكن قال بنو هاشم فينا الحجابة.

فقلنا: فينا السقاية.

فإذا قالوا: فينا النبوة.. فماذا نقول؟

قال سبحانه وتعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾.

٤ ـ أتى إلى الرسول ﷺ رجلٌ فجلس، فكان يأكل بالشمال ولا يأكل باليمين (يعني متكبر).

فقال له الرسول ﷺ: **«كُل بيمينك»**.

فقال: لا أستطيع.

فقال ﷺ: «**لا استطعت، ما منعه إلا الكبر**»[1].

فما رفعها إلى فمه. أي أصبحت يابسة ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴾.

مرت عجوز بالرسول ﷺ وهو يأكل على الأرض وقد جلس وجمع نفسه.

فقالت: انظروا له يأكل كما يأكل العبد ويجلس كما يجلس العبد.

فقال: «**وهل هناك عبد أعبد مني**»[2].

يقول: أنا أتشرف بعبادة الله وأنا أريد هذه المنزلة.

وممـا زادنـي شـرفـاً وفـخـراً وكـدت بـأخـمـصـي أطـأ الـثـريـا
دخولي تحت قولك يا عبادي وأن صـيَّـرت أحـمـد لـي نـبـيـا

ومن لم يكن عبداً لله كان عبداً لسواه كوظيفته وشهوته وحذائه وسيارته.

فهو عبد لهذا الأمر لأنه ما رضي عبودية الواحد الأحد.

فتح ﷺ مكة الفتح التاريخي ومضت جيوشه أمامه كالسيف في فتح عالمي، فسقطت مكة في يديه فأصبح حكم العالم تحت قبضته ﷺ وارتفعت أعلامه خفاقة بلا إله إلا الله.

فدمعت عيناه تواضعاً لله.

قال أهل العلم: ونكس ﷺ رأسه حتى كادت لحيته تصل إلى رقبة ناقته ﷺ.

---

(١) رواه مسلم (٢٠٢١).

(٢) رواه عبدالرزاق في المصنّف، والبزار. راجع تخريج الإحياء (٢١٧٤).

وأول ما افتتح خطبته يوم أخذ مفاتيح الكعبة قال: «**الحمد لله الذي نصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده**».

ثم نزل للناس، فأتى رجل يرتعد فقال الرسول ﷺ: «**هوّن عليك إني ابن امرأة تأكل القديد بمكة**»، والحديث في مسند أحمد بسند جيد.

ونحن نقول: أنت ابن امرأة تأكل القديد بمكة لكن رفعت علم الإنسان ورأس الإنسان، وكنت سبباً في هداية الملايين من البشر إلى هذا الدين.

فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام كان شعارهم التواضع، يقولون: لأن فتح الله ونصر الله لا يُنال إلا بالتواضع، ومن أراد أن يأخذه بالكبر حرمه الله في الدنيا والآخرة.

فموسى عليه السلام دخل أرض مَدْين وعليه رداء من صوف وقال بعض أهل العلم: كان حذاؤه من جلد حمار.

فلما سقى للبنتين تولَّى إلى الظل تحت شجرة ورفع يديه وبكى، وقال: يا رب أنا ضعيف فقير مسكين غريب.

فقال الله له: يا موسى الفقير من لم أكن أنا مغنيه.. والمريض من لم أكن أنا طبيبه.. والغريب من لم أكن أنا مؤنسه.. والجائع من لم أكن أنا مشبعه.

كان عيسى عليه السلام يتكىء على حجر.

فقال جبريل: أما طلقت الدنيا يا عيسى؟

قال: طلقتها.

قال: فلمَ تتكىء على هذا الحجر؟

فأبعده!

وداود عليه السلام كان حداداً، لأن العمل ليس بعيب عند الشرفاء، لأنه يأتي بالحلال.

وكان يعبد الله ويصوم يوماً ويفطر يوماً، وكان ينام ثلث الليل ويقوم ثلثه فرفعه الله.

وإدريس كان خياطاً.

قال أهل العلم: إنه ما أدخل الخيط من ثقب إلى ثقب إلا وقال: سبحان الله.

ومن أشدهم تواضعاً رسولنا الكريم ﷺ، الذي كان يحلب شاته ويطعم بيته ويقطع اللحم مع زوجته ويرقع ثوبه ويخصف نعله ﷺ.

ويتكىء على التراب ويجلس مع الطفل.

وهكذا كان أصحابه رضوان الله عليهم، والسائرون على منهجه، لا يستنكفون عن الأعمال الصغيرة، بخلاف أهل الكبر، فلذلك رفعهم الله.

لأن الرسول ﷺ يقول: «**من تواضع لله رفعه**»(١).

ومثَّلوا لذلك بالجوهر، فإنك لا تجد الجوهر إلا في قاع البحر لأنه تواضع فنزل.

أما الجيف فهي دائماً على سطح البحر.

ومن التواضع ما فعله ابن مسعود مع تلاميذه عندما مشوا وراءه فقال: عودوا، فوالله لو علمتم ما عندي من الذنوب لحثوتم التراب على رأسي.

---

(١) رواه ابن حبان (٦٨/٢).

وعمر بن عبدالعزيز أراد أن يُصلح السراج فقال له أعوانه وجلساؤه: نصلحه عنك.

فرفض وقام وأصلحه ثم عاد فقال: قمت وأنا عُمر، وعدت وأنا عُمر.

وأما المتكبِّرون فهم كما قلت على النقيض من عباد الرحمن المتواضعين. أحدهم كان وزيراً، عندما أراد أن يسير على جسر على البحر قال: أخشى أن لا يستطيع الجسر حمل شرفي!

وآخر عندما خرج ورأى المتزلِّفين وقد فرشوا له الطريق بالأردية والعمائم قال لمن حوله: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾﴾!

ومن كلمات المتكبِّرين أنهم كثيراً ما يستخدمون كلمة (أنا) و (عندي) و (لدي)، وهي عند أهل التواضع لا تصلح إلا في مواطن الافتقار لله، فتقول: أنا العبد الفقير، وعندي من الذنوب ما الله به عليم، ولدي نقائص أسأل الله أن يتوب عليّ منها.

كان ابن تيمية يقول كثيراً:

أنا الفقير إلى رب السموات　　　أنا المُسَيكين في مجموع حالاتي

وكان يقول:

أنا المكدي وابن المكدي　　　وهكذا كان أبي وجدي

● علامات المتكبرين:

إذن فللمتكبرين كلمات ولهم علامات منها:

أولاً: التشدق في الكلام والتَّفَيْهُق، بأن يتكلف في حديثه ليسمعه الناس ويعجبوا بطريقته وبكلامه.

ثانياً: عُبوس الوجه، فهو يغضب لأدنى سبب يمس شخصه.

ثالثاً: النظر شزراً استهتاراً بالناس وحطّاً من منازلهم.

رابعاً: إسبال الثياب والتبختر أثناء المشي.

وهذه الصفات بخلاف صفات عباد الرحمن التي هي على الضد منها. قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾.

والكبر يا عباد الله يجوز في مواطن وردت في السنة منها:

١ ـ أن تُعرض عليك الصدقة من الأغنياء وأنت لست محتاجاً. فقال أهل العلم: لك أن تعرض عنها وتقول لا أريدها، لا سيما إذا أراد إذلالك بها.

٢ ـ الموطن الثاني في الحرب مع الأعداء، كما صنع أبو دجانة عندما عصب عصابة حمراء على رأسه وتبختر في المشية فقال ﷺ: «**إن هذه المشية يبغضها الله إلّا في مثل هذا الموطن**»[1].

● كيف تزيل الكبر عن نفسك:

والكبر يزول بتعلم التواضع الذي يأتي مع الوقت، فإذا رأيت من نفسك علواً وكبراً على الخلق فعليك أن تضع منها وتحقرها.

وأن تقوم بالأعمال التي تعيدها إلى مكانها الطبيعي، كحمل المتاع وخدمة الناس والعمل في البيت.

وأن تتذكر نشأتك وأنك خلقت من نطفة مذرة، وستعود إلى جيفة قذرة، وأنت الآن تحمل بين جنبيك العذِرة.

وأن تجالس الصالحين المتواضعين الذين تقتبس منهم هذا الخُلُق الجليل، وأن تبتعد عن رفقة السوء التي تزرع في نفسك التكبر والتجبر.

---

(١) رواه مسلم.

وأن تكثر من عبادة الله والتضرع إليه لتكون من عباد الرحمن الذين وصفوا بالتواضع وخفض الجناح.

أسأل الله أن يعيذني وإياكم من صفة الكبر التي هي من صفات أهل النار. والله أعلم.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلَّم.

أكرمكم أتقاكم

عن أبي ذر رضي الله عنه وأرضاه قال: «سببت رجلاً فعيّرته بأمه فقال لي صلى الله عليه وسلم: «**أعيَّرته بأمه، إنك امرؤ فيك جاهلية**»[1].

والسؤال: من هو الرجل الذي سبَّه أبو ذر؟ ثم كيف يكون في أبي ذر جاهلية وهو من كبار الصحابة والمقدَّمين، ومن الزهاد والمجاهدين والعبَّاد؟

أقول: القصة في غير البخاري: اجتمع خالد بن الوليد في مجلس عسكري رهيب، معه كبار الصحابة يريد غزوة من الغزوات، وتعرفون خالداً، فهو قائد وهو رئيس المجلس، فلما دار الرأي تكلم أبو ذر فعارضه بلال بن رباح داعية السماء مؤذِّن الإسلام الذي أذَّن في أُذُن المدينة فانسلخ الشرك من أخمص قدميها إلى مُشاش رأسها.

فاستفاقت على أذان جديد ملؤ آذانها أذان بلال

بلال جاء من الحبشة يريد النور والحق.

أما أبو طالب فما اهتدى.

---

(١) رواه البخاري.

أما أبو لهب فما اهتدى.

ولكن بلالاً عرف الله واليوم الآخر وعرف طريقه إلى الجنة، فعارض أبا ذر في رأيه.

فغضب أبو ذر وكان في أبي ذر رضي الله عنه حِدَّة وسرعة غضب، وهذا دليل على أن الأولياء يكون فيهم حِدَّة وغضب، وقد يكون الولي بخيلاً وقد يكون جباناً ولكن لا يكون كذاباً.

فلما عارضه قال أبو ذر: حتى أنت يا ابن السوداء!!

هذه كلمة غير مسؤولة!

هذه كلمة خاطئة!!

هذه كلمة لا تصدر في مجتمع مسلم رباه الرسول ﷺ!!

بلال أدخله الله الجنة ليس للونه بل لعقيدته ومبدئه ومنهجه.

وأما أبو طالب وأبو لهب وأبو جهل فما دخلوا وهم بيض أشراف فما نفعهم ذلك عند الله.

وفي صحيح مسلم عنه ﷺ، قال: «**إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**».

فهو ﷺ قال بلسان الحال: أنت يا أبا بكر قرشي أخاً لبلال الحبشي.

وأنت يا عمر أخاً لسلمان الفارسي.

وأنت يا علي بن أبي طالب الهاشمي أخاً لصهيب الرومي.

﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾.

﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾.

توقف المجلس على غضب، وقام الناس من أمكنتهم، وقام بلال سريعاً.

إلى من يشكو؟ إلى من يطرح القضية؟

ذهب إلى المصطفى، ﷺ، وشكا إليه أبا ذر وقال: قال كذا وكذا يا رسول الله.

فغضب ﷺ وتغيَّر وجهه وتحيَّر من هذه الكلمة، واستدعى أبا ذر يحاكمه.

لماذا؟ لأن هذه الكلمة تعارض رسالته ﷺ.

إنها تعارض الإسلام، إنها تعارض كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله.

فهذه الدعوة، دعوة التمييز، هي دعوة نابليون ودعوة هتلر ودعوة أتاتورك، أعداء البشر وأذناب العمالة وأجداد الشيوعية.

أما محمد ﷺ فأتى بمبدأ المساواة والولاء والبراء.

فدخل أبو ذر فسلَّم على الرسول ﷺ وفي بعض الروايات قال أبو ذر: لا أدري أردّ عليَّ أم لا، من الغضب.

فالتفت ﷺ إلى أبي ذر وقال: «**أعيَّرته بأمه، إنك امرؤ فيك جاهلية**».

قال: يا رسول الله، أعلَى كبر سنِّي؟

يقول: أنا جاهل وأنا كبير السن وأصبحت شيخاً كبيراً أبيض اللحية.. يظن الجاهل هو السفيه.

قال: «**نعم**».

● **وفي هذا الحديث قضايا:**

أولًا: إطلاق الرسول ﷺ لفظ الجاهلية على أبي ذر معناه أنك امرؤ ما زال فيك شعبة من شعب الجاهلية الوثنية التي كانت قبل الإسلام، وكانت قبل لا إله إلا الله، وكانت قبل أن تأتي الدعوة الخالدة، أنت لا زالت فيك شعبة من شعب الجاهلية.

والجاهلية أطلقت في القرآن في مواضع مثل:

﴿فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾، فهي الانتصار للباطل فتسمّى جاهلية.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ فالخروج على الحدود وعلى أحكام الله جاهلية.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٥٠﴾. فمن ابتغى حكماً غير حكم الله فهو جاهلي، والمجتمع الذي يبتغي حكماً غير حكم الله يسمّى مجتمعاً جاهليّاً.

أعني هذا الحكم الذي اختاره لا أن الناس جاهليون.

والإنسان الذي فيه شيء من أوزار الجاهلية والوثنية فيه شعبة من الجاهلية.

والمرأة التي تتبرّج وتخرج على الحجاب هي جاهلية لأن هذا قوله ﷺ.

ثانياً: لماذا قال له ﷺ: «**إنك امرؤ فيك جاهلية**»؟ لأن سبّه بشيء ما ينبغي أن يُسَبّ به، فهو قد ترك مكارم بلال وترك أن بلالًا استجاب للإسلام، ونسي أنه سجد لله، ونسي أنه مؤذن الإسلام، ونسي أنه مجاهد، وأتى بشيء لا يُسَب بمثله وهو اللون.

أتَعيب الإنسان بلونه؟ أأنت الذي خلقه أم الله؟

فنحن لا نعترف بالألوان واختلاف الألوان واختلاف الدماء.

ودعاة القومية قاتلهم الله أنى يؤفكون يقولون: الدم العربي، واللسان العربي، والعنصر العربي، وهذه دعوة غلاة القوميين للعرب.

وأما نحن فنقول بل هي إسلامية.

دعها سماوية تجري على قدرٍ   لا تفسدنها برأي منك منكوس

سادتنا وقادتنا بلال بن رباح الحبشي، وصهيب الرومي، وسلمان الفارسي، وخباب بن الأرت المولى، هؤلاء نجوم الإسلام وأمثالهم وأضرابهم كثير.

ثالثاً: من هو أبو ذر؟ ومن هو بلال؟

أما أبو ذر فهو أحد السابقين إلى الإسلام، وهو حبيبٌ لرسولنا ﷺ.

دخل أبو ذر إلى الرسول ﷺ، والله إذا أراد أن يقرِّب البعيد قرَّبه، وإن أراد أن يبعِّد القريب بعَّده.

أبو طالب عند الحجر الأسود، وأبو لهب عند زمزم، وأبو جهل عند الحطيم، لكن ما استجابوا للا إله إلا الله.

وأما أبو ذر فسمع لا إله الله وهو في غِفار.

يقول ﷺ: «**غِفار غفر الله لها**»(١).

وأبو ذر أسلم على يديه ثلثا قبائل غفار، فكلهم في ميزان حسناته يوم يتقبل الله عنه أحسن ما عمل ويتجاوز عن سيئاته في أصحاب الجنة، وعد الصدق الذي كانوا يوعدون.

---

(١) متفق عليه.

سمع أن الرسول ﷺ أطلّ بطلعته البهية في مكة ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾.

فاستقبلت الدنيا دعوته وسمعت المعمورة رسالته.

فقال لأخيه: اذهب إلى هذا الرجل في مكة وأعطني خبره.

فذهب أخوه واستعجل في ذهابه ووصل إلى الحرم فأخذ الأنباء لكنه ما تثبَّت، فلقي مثل أبي لهب وأبي جهل وأمثالهم من عصابات الإفساد والإجرام، فسألهم من هذا الذي يدّعي النبوة؟

قالوا: ساحر كاهن شاعر.

وعدوُّك إذا وصل الخبر إليه فسوف يجعل عليك من الشائعات ما الله به عليم.

فعاد إلى أخيه فقال: وصلت مكة وسألت الناس فقالوا: هو شاعر ساحر كاهن.

قال: ما شفيتني.. وقرَّر الذهاب هو بنفسه.

فركب جمله وأخذ قربة ـ يعني دواة ـ صغيرة قال: ثم جلست على بعيري حتى قدمت الحرم، فأول من صادفني علي بن أبي طالب شاب يترعرع على لا إله إلا الله، غرس في قلبه لا إله إلا الله محمد رسول الله، فقال لعلي: من هذا الرجل؟

قال: هو نبي حقاً.. من أين أنت؟

قال: من غِفار.

قال: أتريد أن تراه؟

قال: نعم.

قال: انزل معي فإذا رأيتني أصلح نعلي فاعرف أنه الرجل الذي

يحاذيني.. لأن كفار قريش عصابات حول الرسول ﷺ جعلوا حظراً عليه أن يتصل به أحد أو يتصل بأحد، وكانوا على نقاب مكة وعلى مداخل مكة يحذرون القادم منه.

فعند مسلم في الصحيح أن الطفيل بن عمرو الدوسي الزهراني قال: قدمت مكة لأرى وأسمع الرسول ﷺ، قال: والله ما زالوا بي - أي كفار مكة - حتى قالوا: لا تسمع منه إنه ساحر يسحرك، إنه كاهن يتكهَّن عليك.

قال: حتى أخذت القطن فوضعته في أذني.

سبحان الله!

ولكن أراد الله أن يهديه قال: فجلست في طرف الحرم فرأيت الرسول ﷺ بعيداً، قال: فاقتربت رويداً ثم قلتُ لنفسي: عجباً لي أنا شاعر من شعراء العرب وخطيب، أعرف فصاحة الكلام من هزله، فكيف لا أسمع، فإن أعجبني وإلا تركت.

فنزعت القطن.. هذا أول مشروع الهداية، فاقترب منه فسلَّم عليه، قال: أنعم صباحاً يا أخا العرب!

قال ﷺ: «**قد أبدلني الله تحية خيراً من تحيتك. قل: السلام عليكم ورحمة الله**».

فقال للرسول ﷺ: أسمعني مما تقول، فأسمعه مقطعاً من الآيات.

قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنك رسول الله.

وكان منظره يميزه بين العالَم، فوجهه كالقمر ليلة أربعة عشر.

لو لم تكن فيه آيات مبينة ... لكان منظره ينبئك بالخبر

فتقدَّم أبو ذر إليه ﷺ وقال: عِم صباحاً يا أخا العرب.. هذه

تحية الجاهلية، يقول امرؤ القيس في قصيدته:

ألا عم صباحاً أيها الطلل البالي   وهل يعمن من كان في العصر الخالي

فقال ﷺ: «**لقد أبدلني الله بتحية خيراً من تحيتك، قل: السلام عليكم ورحمة الله**».

قال: السلام عليكم ورحمة الله.

فرد ﷺ عليه ثم قال ﷺ: «**ممن أنت**»؟

قال: من غِفار.

فتبسّم ﷺ ورفع طرفه إلى السماء.

تبسّم لأن غِفار كانت قبيلة تسرق الحجاج، مَهَمتها فقط قطع القوافل والسرقة فكيف يأتي هذا ليُسلم؟

فقرأ ﷺ شيئاً من القرآن فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنك رسول الله.

ثم قام فوقف على الصفا فنادى بأعلى صوته: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فاقترب منه الجاهليون فضربوه بالحجارة حتى أغمي عليه، وأتي كالثوب الأحمر للرسول ﷺ.

فقال ﷺ: «**اصبر فإنك لا تستطيع أن تجهر بدعوتك الآن حتى حين فإذا سمعت أني خرجت فتعال**».

فعاد رضي الله عنه بعد أن تعلّم الصلاة، عاد داعياً.

عاد يحمل إيماناً.

عاد يحمل رسالة.

ولو كان فينا اليوم أقوام مثل أبي ذر لصلح الحال بإذن الله.

وصل إلى قبيلته فجمعها كلها ودعاهم وهدّدهم، فآمن ثلثا القبيلة.

ولما سمع أن الرسول ﷺ هاجر إلى المدينة أخذ المسلمين في قوافل من غفار واتجه إلى المدينة، فظنوا أنه جيش عائد إلى المدينة فخرجوا لاستقباله وعناقه.

وقرّبه ﷺ فكان من أحب الناس وأقرب الناس إليه.

وفي الحديث له شواهد أنه ﷺ خرج إلى تبوك فتخلّف أبو ذر براحلته فأخذ ما عليها من متاع وترك الراحلة.

فقال ﷺ: «**أين أبو ذر**»؟

قالوا: تخلّف يا رسول الله.

قال: «**إن يرد الله به خيراً يلحق بنا**».

وأراد الله به خيراً ورآه ﷺ من بعيد فقال: «**كن أبا ذر**».

وأشرف بالطلعة البهية فإذا هو أبو ذر.

قال: «**رحمك الله يا أبا ذر، تعيش وحدك، وتموت وحدك، وتبعث وحدك**»[1].

وقال له ﷺ: «**إذا بلغ البنيان سلْع** (وهو جبل في المدينة)، **فاخرج من المدينة**».

يريده ﷺ أن يبقى صافياً قوي الإيمان حار التوحيد لا يشوبه شيء من الدنيا.

فلما بلغ البناء جبل سلع خرج من مدينة الرسول ﷺ إلى الربذة بغنمه.

لاطفوني هدَّدتهم هددوني بالمنايا لاطفت حتى أحُسّا
أركبوني نزلت أركب عزمي أنزلوني ركبت في الحق نفسا

---

(١) الإصابة (١٢٢/١١).

أطـرد الـمـوت مـقـدمـاً فـيـولـي   والـمـنـايـا أجـتـاحـهـا وهـي نـعـسـى

ومن ضمن مواقفه مع الرسول ﷺ أنه رأى الرسول ﷺ يولي الناس الإمارة فأتى وقال: وليت فلاناً وفلاناً فولني إمارة.

قال: «**والله يا أبا ذر إني أحب لك ما أحب لنفسي، إنك امرؤ ضعيف وإنها أمانة وإنها خزي وندامة يوم القيامة**»(١).

فترك الإمارة.

قيل في ضعفه بأنه سريع الغضب. والإمرة والمنصب تحتاج إلى رجل وسيع الصدر.

وهذا لا يقلل من مكانة الأولياء، لأن بعض الناس يتصور أن الولي لله والعبد لله يُشترط فيه أن يكون ذكيّاً من الدرجة الأولى، طبيباً مهندساً مفتياً عالماً لا يخطىء أبداً.

لا.. قد يكون الولي يفهم كثيراً من الأمور وقد يكون الولي لا يعرف أمور الدنيا، ولذلك فالذهبي لما ترجم لابن الريوندي هذا الملحد الزنديق الفيلسوف الشاعر قال: كان ذكيّاً ولكن لم يكن زكيّاً، فلعن الله الذكاء بلا إيمان وحيّا الله البلادة بالتقوى.

أما بلال بن رباح فأسلم قديماً مع الرسول ﷺ وتبعه في أيامه ولياليه، وكان مؤذنه دائماً وأبداً، وكان يحبه ﷺ، وكان صوته ينساب إلى القلوب، صوت الإيمان وحرارة الإيمان في الأذان، ولذلك جعله ﷺ مؤذنه الخاص.

قال ﷺ: «**دخلت الجنة البارحة فسمعت دفّي نعليك في الجنة يا بلال فماذا كنت تفعل؟**

---

(١) رواه مسلم (١٨٢٥).

قال: يا رسول الله، والله ما توضأت في ساعة من ليل أو نهار إلا وصليت ركعتين.

فهذه من أعماله الصالحة رضي الله عنه وأرضاه، وهو من أهل الجنة إن شاء الله.

تخلَّف بعد الرسول ﷺ، فطلب منه أبو بكر أن يؤذِّن للمسلمين فأبى، وطلب منه عمر فأبى، فلما فتح عمر رضي الله عنه بيت المقدس قال لبلال: سألتك بالله أن تُؤذن، فقلم يُؤذن، فبكى الناس لما تذكروا تلك الأيام الخالية عندما كان يؤذن في المدينة زمن الرسول ﷺ.

رابعاً: في الحديث أن العبد قد يخطىء ويذنب وعليه الاستغفار وقد يسب العباد ولو كان من الصحابة.

خامساً: فيه النهي والإنكار منه ﷺ عن التعيير بالآباء والأمهات والنهي عن سب الآباء والأمهات، وفيها أحاديث وزواجر جمعها السيوطي في باب من لعنهم الرسول ﷺ، كحديث «**لعن الله من لعن والديه**»(١).

سادساً: وفيه أن المسلم مهما بلغ في الولاية فقد يكون فيه بعض المعصية.

سابعاً: فيه أن الكبر والصغر أمر نسبي، فلا يظن الكبير إذا شابت لحيته أنه سوف يكون عاقلًا لا يصيبه شيء من السفه ولا الجاهلية ولا الخطأ.

وهكذا العكس، فقد يكون الحلم والعلم في حدث من الأحداث كابن عباس رضي الله عنهما الذي كان ترجمان القرآن وحبر الأمة وهو صغير السن.

---

(١) رواه مسلم.

ثامناً: وفيه أن الجاهلية أنواع وأضرب، فيجوز أن يقال: جاهلية دون جاهلية، فالكافر جاهلي والمنافق جاهلي والإنسان المسلم الذي ما تعلَّم يسمَّى جاهلًا، والمؤمن الذي فيه شعبة من الجهل يقال: فيه جاهلية كما أطلقها ﷺ.

تاسعاً: في الحديث نهيه ﷺ عن ذمِّ الناس بأشخاصهم أو بألوانهم أو بدمائهم، فمن فعل ذلك فقد خالف كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

عاشراً: وفيه أن الإسلام لا يعترف بالدماء ولا بالأعراق ولا يعترف بتعدد الألوان، ولا يعترف كذلك بالقوميات والشعوبيات، وأنها ما وجدت إلا حيث وجد الكفر بهذا الدين والرد على هذا الدين، وأما نحن فنقول:

إن كيد مطرف الإخاء فإننا — نغدو ونسري في إخاء تالد
أو يختلف ماء الوصال فماؤنا — عذب تحدّر من غمام واحد
أو يفترق نسب يؤلف بيننا — دينٌ أقمناه مقام الوالد

والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلَّم.

لا وطنية في الإسلام

الحمد لله الذي كان بعباده خبيراً بصيراً، وتبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بعثه ربه هادياً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.

أيها المسلمون، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ الأرض أرض الله.. والوطن وطن الله.. والماء ماء الله.. وليس لأحد عهد من الله أن يرث الأرض إلا بطاعة الله.. وتمييز بعض الأرض على بعضها إنما هو بتمييز الله لها.

والله عز وجل أخذ على نفسه عهداً أن من والاه وأحبه وأطاعه وقدَّم محبته على معصيته أن يمكِّن له في الأرض.. يقول سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ إذاً! من الذي يمكِّن إلا الله؟ ومن الذي يخلع إلا الله؟ ومن الذي يولي إلا الله؟ ومن الذي يعزل إلا الله؟

حارت الأفكار في قدرة من
قد هدانا سبلنا عز وجل

عـظـمـة فـي الأرض مـن قـدرتـه فـكـم

فـلّ مـن جـيـش وأفـنـى مـن دول

﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٦)﴾، ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٥٥)﴾.

إذاً فالولاية من الله.. وليس للمسلم وطن خاص يقاتل من أجله لأنّا كنا بالأمس نحكم ثلاثة أرباع الدنيا.

فلسنا كما يقول أحمد شوقي:

وطـنـي لـو شـغـلـت بـالـخـلـد عـنـه

نـازعـتـنـي إلـيـه فـي الـخـلـد نـفـسـي!!

فهذه عقيدة فاسدة كاذبة خاطئة.. نسأل الله أن يرزقنا وإياكم جنة عرضها السموات والأرض.

الوطنية أصبحت مبدأ هداماً يدعو إلى أن تعبد الوطن.. وأن تسجد للوطن.

رأيت شباباً ممن ينتسب إلى حاكم العراق في دولة من دول الخارج يحملون صورته في جيوبهم ثم يسجدون ويقولون: (من أجل عيونك يا فلان!!).

ويأخذون في قراطيس من ورق تراباً من وطنهم يقبّلونه.

القروي شاعر لبناني مجرم ملحد يقول:

بـلادك قـدّمـهـا عـلـى كـل مـلـة
ومن أجلها أفطر ومن أجلها صم

يقول: هذه الحجارة، هذا التراب قدِّمها على كل ملَّة.. على الإسلام والنصرانية.. واليهودية.. ومن أجلها أفطر وصم، ومن أجلها سبّح ومن أجلها اركع.. ومن أجلها اسجد.

لكن الشاعر المسلم يقول:

وأيـن مـا ذكـر اسـم الله فـي بـلـد
عددت ذاك الحمى من صلب أوطاني
بـالـشـام أهـلـي وبـغـداد الـهـوى
وأنا بالرقمتين وبالفسطاط جيراني

يقول: هذه البلاد حكمها أجدادنا هلَّلوا فيها وكبَّروا.. فصنعاء اليمن كان فيها عبدالرزاق بن همّام الصنعاني عالم الدنيا وصاحب المصنف.. والشوكاني عالم المعمورة. وهكذا كل بلاد المسلمين.

ويقول آخر:

بـلادي كـل أرض شـعَّ فـيـهـا
نـداء الـحـق صـداحـاً مـبـيـنـا

فليس الوطن معتقداً.. إنما هو تراب كغيره من الأتربة، وتضاريس كغيرها من التضاريس.

صحيح أن بعض البلاد تُحب لما فيها من طاعة كمكة.. فيها بيت الله، وفيها زمزم، وفيها الطواف والمسعى، وفيها المشاعر المقدسة.. لذلك نحبها ليس لسبب آخر وليس لوطنية.

يقول ﷺ وقد أخرجه أهل مكة من مكة: «**والذي نفسي بيده،**

إنك من أحب بلاد الله إليَّ، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت»[1].

ونظر ﷺ إلى أُحد وهو جبل في المدينة عظيم فرآه جميلاً مشرقاً.. فقال: «**أُحد جبل يحبنا ونحبه**»[2].

لماذا؟

لأن أحد دفن حوله حمزة عم الرسول ﷺ، ومصعب بن عمير، وشهداء الإسلام، ودماء التوحيد وراية لا إله إلا الله رفعت هناك، فأحبه ﷺ من أجل هذا.. لا من أجل الوطنية.

إن بعض وسائل الإعلام تغرس في الأفهام عقيدة الوطنية.. وتقول: نحن نقاتل من أجل الوطن.

لا... نحن نقاتل من أجل لا إله إلا الله محمد رسول الله.

نقاتل من أجل أن تبقى مقدساتنا.

والقتال من أجل الوطن جاهلية حديثة.. صنعها معظِّمو التراب.

جاء رجل إلى الرسول ﷺ فقال: يا رسول الله.. الرجل يقاتل شجاعة وحميَّة.. أي ذلك في سبيل الله؟

قال: «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله**»[3].

والله أعلم. وصلَّى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلَّم.

---

(١) رواه الترمذي بسند صحيح.

(٢) البخاري (٢/١٥٢).

(٣) متفق عليه.

إلى مصر المسلمة

الحمد لله الذي كان بعباده خبيراً بصيراً، وتبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بعثه ربه هادياً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.

أيها الناس.. إن أعظم معجزة قدَّمها الإسلام للعالم أن جمع بين هذه الشعوب المسلمة تحت مظلة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾، وإن أعظم نفع قدّمه ﷺ للدنيا أن آخى بين القلوب وأن ألّف بين الأرواح ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٦٣﴾.

وقد ينسى بعض السفهاء هذا التأليف وينسون هذا الإخاء لجهلهم بهذا الدين العظيم.

وقد تشكّى إليّ بعض المسلمين من أهل مصر ما يعانونه من بعض هؤلاء السفهاء.

فأردت أن أبيّن لهم.. ما هي مصر؟ وما هي فضائلها؟ ومن هم المصريون.

إن مدحي لمصر وثنائي على مصر كمدح الأعرابي الذي كان

يمشي في الظلام الدامس.. وفجأة طلع عليه القمر.. فأخذ الأعرابي يناشد القمر ويذكره.

ويقول: يا قمر إن قلتُ جمّلك الله فقد جمّلك.. وإن قلت رفعك الله فقد رفعك!

من أين أبدأ يا مصر؟ وكيف أتحدث؟ وبأي لسان أنطق؟

إنني سوف أدخل التاريخ من أوسع أبوابه إذا ذكرت مصر.. وإن الدنيا سوف تصفق لي ويصفق لي الدهر إذا ذكرت مصر.

مصر المسلمة التي شكرت ربها وسجدت لمولاها.

مصر التي قدمت قلوبها طاعة لربها وجرت دماؤها بمحبة نبيها ﷺ.

إن لك يا مصر في عالم البطولة قصة! وفي دنيا التضحيات مكاناً! وفي مسار العبقرية موضعاً لا يُنسى أبداً!

دخلت مصر في الإسلام طوعاً.. ودخل الإسلام قلب مصر حباً.. وأحب المصريون ربهم تبارك وتعالى، فذادوا عن دينه وحموا شرعه ونشروا منهجه.

وأحب المصريون محمداً ﷺ كأشد ما يحب التلاميذ شيخهم.. والطلاب أستاذهم.. والأبطال قائدهم.

معذرة يا مصر! إن بعض السفهاء لا يعرفون هذه الوحدة التي ألّفها محمد ﷺ.

إنهم لم يدخلوا جامعته الكبرى التي جعل أعضاءها كل خيِّر في الدهر.. وكل إنسان في المعمورة.

معذرة يا مصر! يا أرض الأزهر الوضّاء.. ويا أرض البطولة والفداء.. ويا أرض العبقرية والذكاء.

أنا أعلم أن في الشعوب فسَقة ومجرمين لا يستحقون الثناء، ولا أستثني شعباً، ولكن تبقى الكثرة الكاثرة من المؤمنين المصلين العابدين الصالحين الطاهرين.. فحقٌّ عليّ أن أشكر أتباعه ﷺ في مشارق الأرض ومغاربها.. في مصر وفي غير مصر.. هنا وهناك.. اليوم وغداً وأمس.

أي جامعة في الدنيا تحمل الثقافة ليس فيها مصر.. وأي مؤسسة علمية في المعمورة ليس فيها مصر.. وأي مسار ثقافي لم يشارك فيه المصريون بعقولهم وأبصارهم وبصائرهم؟!

أُنزلت سفينة الفضاء الأمريكية على سطح القمر بقدرة الواحد الأحد ثم بعقل مصري.

بهاليلُ في الإسلام شادوا ولم
يكن لأولهم في الجاهلية أول

إنني لا أنتظر شكراً من أحد إلا من الله على هذا الكلام، ولكن أريد أن أرد على بعض الأقوام الذين أصابتهم لَوْثة الوطنية.. ولوثة العِرق.. ولوثة البلد.. ولوثة الدم.. ولوثة اللعنة المزعومة.

أصاب المسلمين في عهد عمر رضي الله عنه وأرضاه قحط، أكل الأخضر واليابس (عام الرمادة).

فقال عمر في تلك الأيام: والله لا آكل سمناً ولا سميناً حتى يكشف الله الغُمَّة عن المسلمين.. وبقي مهموماً يتأوَّه.

فتذكر عمر أن له في مصر إخواناً في الله.. وأن مصر بلدٌ معطاءٌ سوف يدفع الغالي والرخيص لإنقاذ العاصمة الإسلامية.

وكان والي مصر عمرو بن العاص الداهية العملاق، فكتب له عمر رسالة نصّها: (بسم الله الرحمن الرحيم.. من عمر بن الخطاب

أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص.. أما بعد: فواغوثاه واغوثاه واغوثاه.. والسلام)!!

فأخذها عمرو بن العاص وجمع المصريين ليقرأ الرسالة الملتهبة المحترقة الباكية المؤثرة أمامهم.

وقال: والله لأرسلنّ لك قافلة من الطعام أولها عندك في المدينة وآخرها عندي في مصر.

فجاد المصريون بأموالهم كما يجود الصادقون مع ربهم، وبذلوا الطعام وحملوا الجمال، وذهبت القافلة تزحف كالسيل وتسير كالليل.. تحمل النماء والحياة والخير والرزق والعطاء لعاصمة الإسلام.

فحفظ المسلمون لأهل مصر المنقبة العظيمة.

دخل التتار أرض الإسلام ودياره فدمَّروه.. وهدموا المساجد.. ومزَّقوا المصاحف.. وذبحوا الشيوخ.. وقتلوا الأطفال.. وعبثوا بالأعراض.. بل دمَّروا عاصمة الدنيا بغداد.. وزحفوا إلى مصر ليحتلوها.

فخرج المصريون وراء الملك المسلم (قُطُز) الذي يحمل لافتة (لا إله إلا الله محمد رسول الله).

وكانت المعركة (عين جالوت).. والذي حثَّ الناس على القتال هو العالم بل سلطان العلماء: العز بن عبدالسلام.. التقى التتار الأمة البربرية البشعة التي لم يعلم في تاريخ الإنسان أمة أشرس ولا أقوى ولا أبشع منها.. التقوا بالمصريين المسلمين.

فلما حضرت المعركة والتقى الجمعان قام قُطز فألقى لأمته من على رأسه وأخذ يهتف في المعركة (وإسلاماه.. وإسلاماه..

وإسلاماه) فقدّموا المُهج رخيصة وسكبوا الدماء هادرة معطاءة طاهرة.. وانتصر الإسلام، وسُحق التتار ومُنوا بهزيمة لم يسمع بمثلها في التاريخ.

إنها مصر.. التي أنجبت الأبطال.. ولا زالت.

ولمصر في قلب الزمان رسالة
مكتوبة يُصغي لها الأحياء
من مصر تبدأ قصة في طيبها
تروي الحوادث والعلا سيناء
هي مصر إن أنشدتها متشوقاً
طرب الزمان وغنّت الورقاء

إن هذه البلاد بلاد محمد ﷺ، ترحب بكل مسلم يحمل هوية لا إله إلا الله محمد رسول الله، وإنه شرف لنا أن نستقبل هؤلاء الضيوف من كل أصقاع العالم الإسلامي ما داموا أنهم يحبون الله ويحبون رسول الله ويحترمون الإسلام.. فإنا ننزلهم على الجفون ونضعهم على المُقَل، وإن واجب الضيافة علينا أن نهشّ ونبشّ لهذا العطاء الوافر ولهذا الوفد الكريم الذي أتى ليبني ويثقف ويُربي ويعلّم.

وأما الذين يمكرون على الإسلام، فلو كانوا إخواننا في بيوتنا لألقمناهم حجراً.. وحق علينا أن نملأ أفواههم تراباً.. من أي بقعة كانوا أو من أي شعب أو من أي جنس.

إن القضية هي قضية الإسلام، وقضية لا إله إلا الله محمد رسول الله. إن الشعوبية الجديدة التي توجد في العالم الإسلامي لتمزقه أكثر من هذا التمزيق لهي عقيدة آثمة فاشلة.

قال ﷺ: «**كلكم لآدم وآدم من تراب، لا فضل لعربي على**

عجمي ولا لعجمي على عربي إلا بالتقوى»[1]، ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾.

فكما أنَّ ربَّنا واحد، وإمامنا واحد، ورسالتنا واحدة، وقبلتنا واحدة، فلا مكان للدماء ولا للألوان ولا للألسن ولا للوطنية ولا للتراب.

تلكم هي مصر المسلمة التي أنبتت العقليات والعبقريات والجامعات والبطولات، وقدمت للعالم العلماء، وقدمت الشباب الصالح البنّاء المثمر. والله أعلم.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلَّم.

(١) صحيح الترمذي (٢٦٠٨) بنحوه.

بيان للناس

الحمد لله الذي كان بعباده خبيراً بصيراً، وتبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً، وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذَّكر أو أراد شكوراً.

الحمد لله على ما مضت به الأقدار، والحمد لله على ما جرى وصار، والحمد لله ما تعاقب الليل والنهار، والحمد لله ما فاحت الأزهار، والحمد لله ما التقى الأبرار وتعانق الأخيار.

الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً، لا إله إلا الله ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

لا إلـــــــه إلا الله ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٢٧)﴾.

لا إله إلا الله، كتب الله الموت على العيون الساهرة، وقصَّر بالموت آمال القياصرة، وكسر بالموت ظهور الأكاسرة.

لا إله إلا الله، ملء الأرض والسموات.

لا إله إلا الله، عدد أنفاس الكائنات.

لا إله إلا الله، ما وقف الحجيج في عرفات وباتوا في مزدلفة أحسن مبات.

لا إله إلا الله، ما رموا الجمرات وطافوا بالبيت وسكبوا العبرات.

لله الحمد من قبل ومن بعد، المحمود على كل حال، العظيم فلا تفضله عظمة عظيم.

أيها الناس، خرجتم اليوم وقد لبستم الجديد بالأمل البعيد، وقد مثلتم أمام رب العبيد.

أيها الناس، زينتم الظاهر، ولبستم الملابس من اللباس الباهر، والقهار يراكم وهو يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

معاشر المسلمين، وُلد هذا الإنسان ووقع رأسه على الأرض على لا إله إلا الله محمد رسول الله.

أيها الناس، يوم ولد الإنسان ولد باكياً، ولد بلا ثياب ولا أصحاب، وبلا دور ولا قصور، وسوف يرتحل بلا ثياب وبلا أحباب، وبلا أصحاب وبلا دور وبلا قصور، ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ (٩٤)﴾.

أيها الناس، ولد الإنسان باكياً على الأرض يبكي من ضيق الدنيا ومن ظلم الدنيا ومن معاصي الدنيا ومن هم الدنيا، والله يقول له: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٥٠)﴾.

ولدتك أمك يا ابن آدم باكياً
والناس حولك يضحكون سرورا
فاعمل لنفسك أن تكون إذا بكوا
في يوم موتك ضاحكاً مسرورا

فأسأل الذي بيده مقاليد الأمور أن يميتنا وإياكم على لا إله إلا الله، يوم تضيق الصدور، وتتحشرج النحور، ويتولى الآباء والأبناء

والدور والقصور، ولا يبقى إلا علاّم الغيوب ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾.

ولد الإنسان على التوحيد موحِّداً طائعاً مؤمناً بالله، فأبى الإنسان إلا من رحم ربك إلا أن يكون كافراً جاحداً متكبراً منكراً معرضاً ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

إخوة الإسلام.. عيدكم اليوم من أعظم الأعياد، فأما صباحه فصباحٌ سعيد لمن سعد بطاعة الله، ولمن عاد من المصلى وذنبه مغفور وسعيه مشكور وعمله متقبَّل مبرور.

وصباح أسود لمن عاد بالنكبات والفضائح والحسرات والندم والخيبات.

فيا عالم الغيب خرجنا نريد عفوك وكرمك، لا رياء ولا سمعة ولا كبْراً ولا عتواً، فرُدَّنا مقبولين مشكورين مغفوراً لنا.

أيها الناس، في هذا الصباح الباكر تنزل ملائكة الرحمن وتأخذ بأفواه السكك وعلى الطرقات معها الصحف والأقلام، والله عز وجلّ على العرش، والناس على الأرض، والملائكة على أفواه السكك، والشهداء عند ربهم يشهدون، فيكتبون الأول فالأول، ويعطون الجوائز، فمن آخذ باليمين ومن آخذ باليسار.

أيها الناس، لام الله العالمين على ضياع الأوقات وعلى فوات الأعمار والساعات وعلى المعاصي والسيئات.

فلا إله إلا الله، كم من يوم انصرم خسرناه؟

وكم من ليل غُبنّاه؟

وكم من ذنب سوف نراه؟

ولا إله إلا الله، كم من وثيقة سوف نراها عند علاَّم الغيوب؟

يقول سبحانه للناس يوم القيامة وقد جمعهم في صعيد واحد غُرْلاً بُهْماً حفاة عراة، لا ملوك ولا مملوكين، ولا رؤساء ولا مرؤوسين، ذهب الغنى وذهبت القوة، وذهبت الدور والقصور، وذهب الأحباب والأصحاب، فيأخذ الله بيمينه السموات السبع يطويهن كما يطوى السجل، ويأخذ الأرض باليد الأخرى فيطويها ويهزها، فينادي بصوت يسمعه من بعُد كما يسمعه من قَرُب: «**لمن الملك اليوم؟ لمن الملك اليوم؟ لمن الملك اليوم؟**» فلا يجيبه مَلك مقرَّب ولا نبي مُرسل، فيجيب نفسه بنفسه: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾.

قال سبحانه للناس: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴾؟ كم تمتعتم في الحياة والزوجات والأحفاد والأبناء؟ كم لبستم؟ كم أكلتم؟ كم شربتم؟

أين أعماركم؟ أين سنينكم؟ أين ساعاتكم؟ أين دقائقكم؟ أين قصوركم؟ ﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾﴾، ما لبثنا عمراً طويلاً.

يقول الذي عاش في الحياة مائة سنة: لبثت يوماً أو بعض يوم، فما كأني ضحكت مع من ضحك، وما كأني جمعت الأموال، وما كأني ارتديت الجمال.

عاش نوح عليه السلام ألف سنة، فلما حضرته سكرات الموت قال الله: يا نوح أتريد الحياة؟

قال: يا رب ماذا أريد؟ حياة سرورها همٌّ وفرحها غمّ، كأني دخلت من باب وخرجت من آخر، اللهم اقبضني إليك مسلماً وألحقني بالصالحين.

نُحْ على نفسك يا مسكين إن كنت تنوح
لتموتن وإن عُمِّرت ما عُمِّر نوح
كل بطّاح من الناس له يوم يطوح

﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾﴾، اسأل الملائكة والكَتَبة.. اسألهم عن أعمارنا، لا ندري أين الأعمار؟

لا ندري أين الأولاد؟

ولا ندري ماذا فعلنا بالأبناء والأحفاد؟

ولا ندري عن الأموال ﴿قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾﴾، قلنا لكم: صلّوا، فتركتم الصلاة.

قلنا لكم: زكوا، فتركتم الزكاة.

قلنا لكم: تصدَّقوا فرفضتم الصدقة.

قلنا لكم: توبوا، فأخَّرتم التوبة.

قلنا لكم: استغفروا، فما استغفرتم.

﴿قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا﴾.

يا صاحب العينين، يا صاحب الشفتين، يا صاحب الأذنين، يا صاحب القلب والرِّجلين، اسمع الله يقول: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾.

تعالى الله أن يخلقنا عبثاً وعربدة وسفاهةً وباطلاً، بل خلقنا الله لحكمة.

يقول الله للإنسان الضعيف الذي نسي ربه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ

بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ ﴾.

من الذي جمّلك؟

من الذي كساك؟

من الذي متَّعك ببصرك؟

من الذي جعلك مُبصراً حيّاً عليماً حكيماً؟ ترى وتأكل وتمشي وترقد وتستيقظ؟ ﴿أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيۡنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ﴿١٠﴾ ﴾، ولكن الإنسان أعرض عن شريعة الله إلا من رحم ربك.

لكن الإنسان ترك المسجد وهجر المصاحف وارتكب المنكرات.

ولكن الإنسان هجر القرآن واستبدل به الغناء والمجون والفُحش والبطلان.

ولكن الإنسان عقَّ وقطع رحمه وآذى المسلمين.

ولكن الإنسان ظلم وتكبر، فأخذه الله أخذ عزيز مقتدر.

باتوا على قُلَل الأجبال تحرسهم
غُلْب الرجال فما أغنتهم القُلل

باتوا في القصور منعَّمين عليهم الجنود تغدو وتروح.

وعليهم الطعام والشراب، ويتجمَّلون بالثياب، ويعانقهم الأصحاب، ويتمتعون مع الأحباب.

واستُنزلوا بعد عزٍّ من منازلهم
إلى مقابرهم يا بئس ما نزلوا

تـلـك الـوجـوه الـتـي كـانـت مـنـعَّـمـة

أضـحـت تـرابـاً عـلـيـهـا الـدود يـقـتـتـلُ

عباد الله، يقول سبحانه: ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي ٱلْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾﴾، يا من شاب رأسه.

يا من انحنى ظهره.

يا من قرُب أجله.

يا من تساقطت أسنانه.

يا من كَلَّ بصره.

يا من ضَعُف سمعه، اسمع إلى الله يقول وهو يتحدث عن الخاتمة: ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي ٱلْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾﴾.

ما لهم لا يدَّخرون أعمالاً؟ ما لهم لا يخافون من الله؟ ما لهم لا يرجون موعود الله؟

وقال سبحانه: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾. قال ابن عباس وهو يبكي: النذير هو الشيب.

بـكـيـت عـلـى الـشـبـاب بـدمـع عـيـنـي

فـلـم يـغـنِ الـبـكـاء ولا الـنـحـيـب

ألا لـيـت الـشـبـاب يـعـود يـومـاً

فـأخـبـره بـمـا فـعـل الـمـشـيـب

ألا ليت القوة والفتوَّة والصحة والرجولة تعود.. فأخبرها بما فعل الشيب بي.

وقف رجل من بني إسرائيل أمام المرآة فرأى صورته، فإذا هو قد اشتعل رأسه شيباً فقال: يا رب أطعتك أربعين سنة وعصيتك أربعين سنة، فهل تقبلني إذا عدت إليك؟

فسمع هاتفاً يهتف ويقول: أطعتنا فأحببناك، وعصيتنا فأمهلناك، فإذا عُدْت إلينا قبلناك ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾.

ويقول سبحانه: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾. سبب نزول هذه الآية أن ملكاً من ملوك العرب قال: خوَّفنا محمد ـ يعني رسول الله ﷺ ـ بالعرض الأكبر، والله لا أُعرض وحدي، والله لا أخرج من القبر وحدي، لأخرجن بأبنائي وحشمي وقبيلتي، فردَّ الله عليه بالآيات: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾.

فلا إله إلا الله من موقف ما أصعبه، ومن عَرْض ما أرهبه، ومن يوم ما أشده.

نسأل الله أن يسهِّله علينا وعليكم.

الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً.

الله أكبر ما تضوّع مسك وفاح، وما صدح الطير الصدّاح، وما ناح بُلبل بأحسن نياح.

الله أكبر، تلاقى الصالحون وتعانق المخلصون وابتُلي الصادقون وصبر الصابرون.

أيها الناس، اعلموا رحمكم الله أنه أُنعم علينا بنعم كثيرة: أمن في الأوطان، وصحة في الأبدان، وجعل علينا الخير والرضوان، فنسأله أن يجعلنا من قوم إذا أنعم عليهم شكروا، وإذا أذنبوا استغفروا، وإذا ابتُلوا صبروا، فإنها منازل الشاكرين.

وأسأله أن لا يجعلنا من قوم طغوا وبغوا وفجروا، وخالفوا وعود الله، فغضب الله عليهم وزلزل الأرض من تحت أقدامهم وجعلهم

شذر مذر. ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾.

قل للطبيب تخطفته يد الرَّدى
من يا طبيب بطِبِّه أرداك
قل للمريض نجا وعوفي بعدما
عجزت فنون الطِّب من عافاك
والنحل قل للنحل يا طير البوادي
من ذا الذي بالشَّهْدِ قد حلاّك
وإذا ترى الثعبان ينفث سُمّه
فاسأله من ذا بالسموم حشاك
واسأله كيف تعيش يا ثعبان
أو تحيا وهذا السم يملأ فاك
فالحمد لله العظيم لذاته
حمداً وليس لواحدٍ إلاّك

أيها الناس، قال الله عن قرية من قرى اليمن أنعم الله عليها بالماء والهواء والظل والسعادة، فكفروا بنعم الله، وجحدوا معروف الله. فقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾﴾.

ويقول سبحانه عن القضاء والقدر: «**من لا يؤمن بقضائي فليخرج من أرضي وسمائي، وليبحث له عن ربٍّ سواي**».

رضينا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ إماماً ورسولاً.

أيها الناس، اعلموا بارك الله فيكم أنكم أمام يوم عظيم، وسوف تقدمون على الله عن قريب، سبقكم الآباء والأجداد وسوف يلحقكم الأبناء والأحفاد.

فهل من عين ما بكت؟

وهل من ديار ما خلت؟

وهل من جسم ما تعثر؟

وهل من بنيان ما تهدم؟ فأعدوا العدة ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾.

دنياك تزهو ولا تدري بما فيها
إياك أن تأمن عواديها
تحلو الحياة لأجيال فتنعشهم
ويدرك الموت أجيالاً فيغشيها

أيها الناس ألا إني أوصيكم ونفسي في هذا الموقف بالمحافظة على الصلوات الخمس جماعة، فإنها عهد الله وميثاق الله وعماد دين الله، فمن تركها كفر.

ومن تركها لُعِن وأدركته لعنة السموات والأرض.

ومن تركها تبرَّأت منه الكائنات، ولعنته العجماوات، وتفطَّرت عليه الأرض والسموات، وأغضب رب البريَّات.

من تركها خرج من الملة، وقُتل بسيف الشريعة، ومات نجساً لا يُغسَّل ولا يُكفن ولا يُصَلى عليه.

ومن تهاون بها فجر وغدر وخسر وضاع حظه من الله الواحد الأحد.

فلا إله إلا الله، كم لتارك الصلاة من عذاب؟.

وكم عليه من لعنة؟

وكم لديه من إثم وسوء عقاب؟

أيها الناس، صلاة الجماعة واجبة.

صلاة الجماعة نور.

صلاة الجماعة بُرهان.

صلاة الجماعة ميثاق.

حضرت الوفاة سعيد بن المسيب فبكت ابنته، فقال: لا تبكي عليّ، والله ما أذّن المؤذن منذ أربعين سنة إلا وأنا في مسجد الرسول ﷺ.

وحضرت أحد الصالحين الوفاة فبكى أبناؤه فقال: لا تبكوا عليّ، لعل الله أن يرحمني، فوالله ما فاتتني صلاة الجماعة ستين سنة.

هنيئاً لهم! ومريئاً لهم! وطوبى لهم! وحسن مآب.

واعلموا أن من أعظم الأمور أيضاً بر الوالدين ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾.

مر ابن عمر رضي الله عنهما وأرضاهما على رجل من أهل اليمن يطوف بأمه في الشمس وهو يحملها على كتفيه. فقال: يا ابن عمر أجازيت أمي على الإحسان؟

قال: لا والواحد الديان ولا بزفرة من زفراتها.

فكم والله لهم من أيادٍ.. وكم من إحسان، ولكنّا نسأل الله أن يغفر لهما ذنوبهما وأن يجمعنا بهما في دار الكرامة.

أيها الناس اتقوا البغضاء الحارقة التي شتّتت الجيران والأحباب

والخلان، وقطعت بها الأرحام، وهدمت البيوت والقصور وأفسدت الدور.

البغضاء التي حلّت في القلوب، ونشكوها إلى علام الغيوب، الحالقة التي تحلق الدين لا تحلق الشعر.

البغضاء على الدنيا على التراب على العقار على المال، البغضاء وسيلتها النميمة ورفيقتها الغيبة ومصيرها جهنم.

البغضاء التي جعلت الولد يقطع أباه، والأخ يتنكر لأخيه، والقريب لا يرى قريبه.

البغضاء التي جعلت أسرنا متهدمة منشطرة متقسِّمة متبعثرة.

البغضاء التي جعلت المسلم بجانب المسلم يصلي معه ويجلس معه في البيت ولا ينظر إليه بعينه ولا يسلم عليه ولا يعانقه، إنما يغلي قلبه عليه يود أن يموت وأن يتردَّى.

يقول ﷺ: «**والذي نفسي بيده، لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أفلا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم**»[(١)].

البغضاء التي جعلت الناس يغتابون الناس، ويأكلون لحوم الناس، ويتنكرون لرب الناس.

البغضاء التي قطعت المرأة المسكينة من رحمها ومن قريبها ومن أخيها ومن ولدها، فنشكو حالنا إلى الله، ونشكو مصيرنا إلى الحي القيوم، فوالله لقد وصلنا بسوء الحال بسبب البغضاء إلى أمر لا نحسد عليه، فأصبح الجيران إلا في القليل النادر متقاطعين متهاجرين متشاحنين متباغضين.

---

(١) رواه مسلم.

يأتي العيد ويأتي عيد آخر وتمر السنة وتأتي السنة ولا يتزاور كثير من المسلمين، ولا يسلم بعضهم على بعض، ولا تغشاهم السكينة، ولا تتحاتُّ خطاياهم وتبقى صحفهم مليئة بالشحناء.

أبـنـي أبـيـنـا نـحـن أهـل مـنـازل
أبـداً غُـراب الـبـيـن فـيـهـا يـنـعـق
نـبـكـي عـلـى الـدنـيـا ومـا مـن مـعـشـر
جـمـعـتـهـم الـدنـيـا فـلـم يـتـفـرقـوا
أيـن الـجـبـابـرة الأكـاسـرة الألـى
كـنـزوا الـكـنـوز فـلا بـقـيـنـا ولا بـقـوا
مـن كـل مـن ضـاق الـفـضـاء بـجـيـشـه
حـتـى ثـوى فـحـواه لـحـد ضـيـق

اللهم، يا من أرسل الشمس بشعاعها، وأرسل في الحياة إبداعها، وأرسل في الكون روعته، لا تردَّنا إلا ونحن مغفور لنا مشكور لنا ومبرور عملنا.

اللهم، إن الناس سافروا للذنوب والفواحش وقد سافرنا إليك.

اللهم، إن الناس قد تجمَّلوا للناس وقد تجملنا لرب الناس.

اللهم، إن الناس قد تحابوا في الدنيا وحطامها وقد تحاببنا فيك.

اللهم، فلا ترد ملائكتك اليوم إلا وقد سجَّلت لنا أعظم الجوائز والمفازة في السجلات الباهرات العظيمات.

عباد الله، اعلموا أن في عيد الأضحى سنناً عنه ﷺ:

١ ـ أنه كان يخرج إلى الأضحى قبل أن يأكل شيئاً.

٢ ـ وكان يأتي من طريق ماشياً ويعود من الطريق الآخر.

٣ ـ وكان يلبس أجمل ثيابه.

٤ ـ والذي صحَّ أنه لم يخطب إلا خطبة واحدة، ولم يخطب خطبتين بل خطبة واحدة.

٥ ـ ثم عاد ﷺ إلى أضحيته ﷺ وهو أشرف من ضحَّى وذبح، وأشرف من بكى، وقام، وأشرف من صلَّى وصام، وأشرف من طاف بالبيت الحرام، فأتى إلى كبشين عظيمين فوجّه الأول وجعل رجله على خدِّ الكبش فذبحه بيده الطاهرة وسمّى وقال: «**اللهم تقبَّل هذا عن محمد وآل محمد**»، ثم أتى بالكبش الآخر.. فقال: «**اللهم تقبَّل هذا عن من لم يُضحّ من أمتي**»[(١)].

فجزاه الله خيراً، ما أرحمه وما أبرَّه وما أحلمه وما أوصله، ضحَّى عن الفقراء والمساكين إلى يوم القيامة.

٦ ـ والسنَّة أن يتصدَّق بثلث الأضحية ويهدي ثلثاً ويأكل ثلثاً، ومن أخذها كلها في بيته فلا بأس إذا لم يوجد صاحب حاجة.

والله أسألُ أن يتقبل مني ومنكم صالح الأعمال، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلَّم.

(١) رواه أبو داود وصحّحه الألباني في الإرواء (١١٣٨).

المؤتمر العالمي

إنَّ الحمدَ لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

(لبَّيك اللهم لبَّيك.. لبَّيك لا شريك لك لبَّيك.. إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك).

كلمة يردِّدها الملايين، وتعبق بها الآلاف، وتتوجه بها القلوب في هذه الأيام[1] إلى الله الواحد القهار.

العالم الإسلامي اليوم يعيش مناسبة الحج المقدَّسة.. يلتقي الملوك بالمملوكين، والرؤساء بالمرؤوسين، والأغنياء بالفقراء، والأقوياء بالضعفاء، في يوم عرفة، يوم يتجلّى الله لعباده.. وهم شُعث غُبر، ضاحين نادمين باكين متأسفين.. فيقول الله لملائكته: **«يا ملائكتي انظروا لعبادي أتوني شُعثاً غُبراً ضاحين، أشهدكم أني قد غفرت لهم»**[2].

(١) أي في أيام الحج من كل عام.

(٢) رواه مسلم بنحوه، وانظر الحديث بأكمله في الضعيفة (٦٧٩)، وقد ذكر له الشيخ شواهد في الصحيحة (٢٥٥١).

يـا عــالــم الأســرار أنــت الــمــقــصــد
كــل الــخــلائــق نــحــوَ بــابــك تــصــمــد
أبــــواب كــــل مــــلــــك قــــد أوصــــدت
ورأيــــت بــــابــــك واســــعــــاً لا يــــوصــــد
الــصــالــحــون بــنــور وجــهــك آمــنــوا
وعــافــوا بــحــبــك نــومــهــم فــتــهــجَّــدوا

وحجُّ الناس على أربعة أقسام:

١ ـ إما حاج قصده من حجه الرياء والسمعة، فلا يتقبَّل الله حجه ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾. **«إنما الأعمال بالنيات»**(١)، **«من راءى راءى الله به، ومن سمَّع سمَّع الله به»**(٢) وردَّ عمله عليه، ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾.

قال ابن المبارك: إن من الناس من يطوف بالبيت وهو يرائي.

قالوا: كيف ذلك؟

قال: يحب أن يذكر بأنه حج واعتمر فلا يقبل الله حجه ولا عمرته.

فهذا أتعب راحلته، وأضنى جسمه، وفوَّت ماله، وسعى وطاف، وحلق ونحر ووقف، ولكنه ضيّع عمره؛ لأنه أشرك مع الله في عمله.

٢ ـ وحاج أخر يريد التنزه والرحلة والفُسحة.. ويريد أن يتفرَّج على الأجناس والأشخاص.. لا تراه إلا متمتعاً متفرجاً في نزهة لا يحس بألم الحج ولا بروعة الحج.. لا أشعث ولا أغبر.

---

(١)(٢) متفق عليه.

يجلس في القصر مع المكيف.. وفي السيارة الفخمة.. لا يمشي خطوة وإنما يتنقل من غرفة إلى غرفة.. ومن سيارة إلى سيارة.. ومن مطعم إلى مطعم.. ومن مائدة إلى مائدة.. فلا تعِب، ولا رأى الغبار، ولا رأى الشمس، ولا رأى المشقة، ولا بكى مع من بكى، ولا تضرَّع مع من تضرَّع.. ولا تشقَّقت أقدامه من السير، ولا أحسَّ بالجوع والظمأ.. فكيف يحج هذا؟

٣ ـ وحاج ثالث حجَّ للشحاذة ومسألة البشر، ومدّ يده إلى جيوب الناس فحظه من حجّه.. هذا الشيء.

الناس يسألون رب الناس وهو يسأل الناس.. أتوا فقراء إلى رب البشر يسألونه ضيافة.. وتوبة.. ورحمة.. وكرماً.

وهو أتى يسأل الناس من جيوبهم.

فليس له من الله إلا الغضب وعدم الرضوان

٤ ـ أما الحاج الموفق الذي قبل الله سعيه.. وناداه: طِبت حياً وميتاً.. أبشر بالحج المبرور والذنب المغفور والسعي المشكور.. فحاجٌ خرج من بلاده وترك أهله لطلب مرضاة الواحد الأحد.

ترك دوره وعقاره.. ترك أحبابه وأصحابه.. ترك إخوانه وجيرانه.. فأخذ مالاً طيباً ولم يأخذ مالاً خبيثاً، لأن من حجَّ بنفقة محرمة من غش أو ربا، إذا نادى قائلاً: لبيك اللهم لبيك.. نادى منادٍ: لا لبيك ولا سعديك، مطعمك حرام، وملبسك حرام، ومشربك حرام، ومركبك حرام، فلا لبيك ولا سعديك.

وأما الذي خرج بمال حلال.. مطعمه حلال.. ومشربه حلال.. ثم قال: لبيك اللهم لبيك، ناداه منادٍ: لبيك وسعديك، حجك مبرور وسعيك مشكور، وذنبك مغفور.

● **أسرار الحج:**

أولها: الإحرام.. كيف نحرم في الأردية البيضاء لا الحمراء ولا في الخضراء؟ كيف نخلع الغتر؟ كيف نتخلى عن الزينة؟

السر في ذلك أن نتذكر الموت.. فهذان الرداءان الأبيضان شبيهان بالكفن ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾.

أما تذكّرت بالإحرام الكفن؟ والله، وتالله، وأيم الله، لتلبسنَّ الكفن.. شئتَ أم أَبَيْتَ.. ولترتحلنّ بعمل صالح أو سيىء وليس معك إلا الطيب والكفن.

فخذ القناعة من دنياك وارض بها
لو لم يكن لك إلا راحة البدن
وانظر لمن ملك الدنيا بأجمعها
هل راح منها بغير الطيب والكفن

تاجر كبير عنده ملايين من أكبر تجار العالم.. مسلم لكنه غفل عن نفسه.. فمات ببلد غير بلده، فما وجدوا له كفناً!

لم يكن ماله حاضراً، فشرى له أحد المسلمين كفناً صدقة تقبَّل الله منه.. فذهب بكفن مستعار إلى قبره!

ثانياً: معنى (لبيك اللهم لبيك) أقبلت مستجيباً لأمرك يا رب العالمين.

فكيف يلبي من ترك الصلاة؟

وقد يقال له: اخسأ فقد خسرت، فما استجبت وما عقلت وما أقبلت. وهكذا المرابي وهكذا صاحب الزور والكذب، وهكذا.. أصحاب الانحرافات.

ثالثاً: الطواف بالبيت.. فهو يطوف سبعة أشواط وكأن لسان حاله يقول: يا رب تركت البيوت وأتيت إلى بيتك، وتركت الدور وأتيت إلى دارك.. ردَّني الناس إلا أنت، طردني الناس إلا أنت.. من يدخلني بيته إلا أنت.. أنا ضعيف وأنت قوي.. أنا فقير وأنت غني.. فاقبلني عندك ضيفاً فأنا عبدك ببابك.. أناخ برحابك.

وصل علي بن الحسين زين العابدين إلى الحرم فطاف بالبيت. فلما أصبح عند الحجر الأسود أتى يقبل الحجر الأسود، فبكى حتى أغمي عليه ورُش فاستفاق فقيل له: ما لك؟

قال: أخشى أني أغضبت ربي يوماً من الأيام، فلما اقتربت من الحجر لأقبله قال بلسان الحال: لا تقبلني فلطالما أغضبت ربي!

ومعنى الطواف: أننا لا نريد إلا منهج الإسلام.. وأن قداستنا من هنا.. وتعاليمنا ورسالتنا وأدبنا وسلوكنا من هنا.. من مكة.. لا من باريس ولا من واشنطن ولا موسكو.

رابعاً: أما يوم عرفة فله سرّ وله مقصد وهو يوم الحج.. فالحج عرفة.. ينادي الله عز وجل ملائكته: يا ملائكتي، انظروا لعبادي أتوني شعثاً غبراً ضاحين.. أشهدكم أني غفرت لهم.

وقف سفيان الثوري أمير المؤمنين في الحديث يوم عرفة فرفع يديه وأراد أن يدعو فبكى وقال: اللهم، إن أردت أن تغفر لأهل الموقف فاغفر لهم ولا تحرمهم المغفرة بذنوبي!.

والفضيل بن عياض أراد أن يستغفر فسقط من على ناقته من الذهول والدهش وقال: أخشى أن يرد الله الناس بسبب ذنوبي!

هذا وهم علماء عبّاد وزهّاد.. فكيف بنا نحن الملطّخين بالسيئات.

يوم عرفة: إعلان حقوق الإنسان من محمد ﷺ، فقد صفَّ

الأمراء والموالي والأغنياء والفقراء.. الكبار والصغار.. وقال: كلكم على منهج واحد أو كما قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾.

فيا من تفتخر بقبيلتك، قبيلتك تتحطّم على صخرة عرفة.

ويا من افتخر بنسبه.. نسبك يمزّق يوم عرفة.. ويا من افتخر بمنصبه.. منصبك يُسحق يوم عرفة.. ويا من افتخر بأولاده وماله.. كل ذلك هباء منثورٌ يوم عرفة.

ينظر الله إلى القلوب ولا ينظر إلى الأبدان، كما قال ﷺ: «**إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**»(١).

فأبو لهب وأبو جهل من قريش ولكنهما سُحبا على وجهيهما في النار.. وبلال وسلمان وعمّار وصُهيب رفعهم الله فأصبحوا سادات للأمم بالإسلام بعد ما كانوا موالي في مكة.

وفي عرفة خطب ﷺ خطبة ما سمع الدهر بمثلها.. ثم استشهد الناس فقال: «**يا أيها الناس اللهم اشهد أني بلغت الرسالة وأديت الأمانة.. يا أيها الناس ما تقولون غداً إذا سألكم الله عني.. هل أديت الرسالة؟..**».

قالوا: نشهد أنك بلغت الرسالة وأدَّيت الأمانة.

فرفع أصبعه إلى السماء وقال: «**اللهم اشهد.. اللهم اشهد.. اللهم اشهد.. يا أيها الناس لعلي لا أراكم بعد عامي هذا**»(٢).

ونحن نشهد أنك بلَّغت الرسالة، وأدَّيت الأمانة، ونصحت الأمة.. ونشهد أنك أنرت السبيل وفتحت أبواب الجنة.. نشهد أنك أتيت بتعاليم

---

(١) رواه مسلم.

(٢) مسلم (١٢١٨).

ربانية.. ونشهد أنك أتيت برسالة خالدة.. ونشهد أنك طهّرت القلوب من رجسها وضياعها.. ونشهد أنك بصّرتنا وعلمتنا وفقّهتنا وربّيتنا.

نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه
فيه العَفاف وفيه الجود والكرم
يا من تضوّع طيب القاع أعظمه
فطاب عن طيب ذاك القاع والأكم

فعليه صلاة الله وسلامه ما تضوّعت الأزهار، وما ناحت الأطيار، وما سارت الريح، وما بجس بالإشراق وجه صبيح.

خامساً: رمي الجَمَرات.. وحَصْبُ الشيطان بالحجارة، ومعنى رمي الجمرات إعلان الحرب على إبليس، فكأنه يقول: يا إبليس، أعلنت المقاطعة معك هذا اليوم.. يا عدو الله خذ من الحجارة، فلطالما أغويتني بترك الصلاة.. وسماع الغناء.. وأكل الربا.. وقطيعة الرحم.. و.. وكثير من المعاصي التي زيَّنها لنا هذا العدو.

● أخطاء يقع فيها الحجاج:

أولها: تضييع الأوقات.. فكثيرٌ من الحجاج تذهب أوقاتهم سدى في ضياع.. ولهو.. وإعراض.

والحج موسم من مواسم العبادة، أيامه تُشغل بالذكر والتلاوة والصلاة والدعوة والتسبيح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتفقه في الدين.

ثانياً: اختلاط الرجال بالنساء في القوافل التي تحج.. فقد تجد من القرابة وأبناء العمومة من يحجون دفعة واحدة في مخيم واحد، فيختلط الرجال بالنساء ويتمازحون ويتضاحكون وينظر بعضهم إلى بعض وتقوم النساء بالخدمة للرجال الأجانب.

وهذا منكر لا يرضاه الله.

ثالثاً: ومن الأخطاء في الحج: الترفه الزائد. فبعضهم إذا حج كأنه في نزهة أو في سفر.. لا يحس بالجوع ولا يرى الشمس بعينه! فهو من مكان رحب إلى أرحب منه.. ومن مائدة إلى أخرى.. ومن قصر إلى قصر، فيعود من الحج وكأنه قد خرج من لؤلؤة! أو كأنه كان يتمشى في حديقة غناء.. ما غيَّرت الشمس وجهه، ولا أخذ منه الغبار مأخذاً.. ولا ظمىء ولا جاع.

سُئل النبي ﷺ عن الحاج فقال: «**هو الشَّعْثُ التَّفِل**»[1]، أي الذي لا يبالغ في الزينة والترفه.

رابعاً: أذية بعض الحجاج للآخرين.. فتجد بعضهم إذا حج يؤذي إخوانه.. فإن طاف زاحمهم ولَكَمهم! وصارعهم! وضاربهم! فيذهب أجره، ويأخذ من سيئاتهم.

أتينا إلى سعدٍ ليصلح بيننا
فشتتنا سعدٌ فما نحن من سعد

وقد كان قبلُ في بيته أسعد حالاً.. وأخفّ ذنوباً.

وبعضهم يلعن ويضرب بيده.. ويخاصم.

فأذية الناس ظاهرة عند كثير من الحجاج.

يقول عمر: قال لي ﷺ: «**يا عمر، إنك رجل كبير الجسم فلا تزاحم**»[2]. فكان عمر إذا أتى ورأى الناس عند الحجر كفّ نفسه لئلا يزاحم الناس؛ لأنه عملاق البنية.

والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلَّم.

---

(١) الترمذي، وصحّحه الألباني في المشكاة (٢٥٢٧).

(٢) أحمد (٢٨/١) والبيهقي (٨٠/٥).

من المحراب ننطلق

إنّ الحمدَ لله، نحمدهُ، ونستعينهُ، ونستغفرهُ، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهدِه الله فلا مضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهدُ أنَّ محمداً عبدهُ ورسولهُ ﷺ.

أما بعد: فإنَّ المسجد مهدُ الانطلاقة الكبرى التي شهدها تاريخُ الإنسان، ولم يُعرف في تاريخ أي حضارة، ولا في سجلِّ أي ثقافة، مسجدٌ أثَّر في مسار العالم كمسجد محمدٍ ﷺ. وهذا ما سنتناوله بالبحث في النقاط التالية:

أولاً: بناء المسجد

قال تعالى: ﴿لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ﴾.

عندما وصل ﷺ إلى المدينة كان أول مشروع قام بتنفيذه في عاصمته طَيْبَة الطيِّبة، أن وضع حجرَ الأساس لبناء ذاك المسجد، لتنطلق منه الدعوة الإسلامية، ولتُرَبَّى فيه الأرواح المؤمنة، ولتَهتدي فيه القلوبُ الصادقة.

قام مسجدهُ ﷺ ليكون روضةً من رياض الجنة، شيخهُ

محمدٌ ﷺ، وتلاميذهُ: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعليٌّ، وأُبيٌّ بن كعب، ومعاذُ بنُ جبلٍ، وزيدُ بن ثابت، ومواده المقرَّرة وحيٌ سماويٌّ خالد، أما مطلبه: فأنْ تكون كلمةُ الله هي العُليا.

ثانياً: أولياء الله في المساجد

يقول سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾.

العمارة الحسية: بالبناء والتشييد، وأجرها عظيم لمن يقصد بها وجه الله عزَّ وجلَّ.

العمارة المعنوية: بالصلاة، والذكر، والدعاء، وقراءة القرآن الكريم.

وكلا المعنيين واردٌ في هذه الآية، فلا يعمرُ هذه البيوتَ إلا أولياؤه سبحانه وتعالى، ولا يحقُّ للزنادقة، ولا يصح للملاحدة، وليس للمنافقين طريقة إلى عمارة المساجد؛ لأن الذين يعمرون المساجد يريدون أن يعمر هذا الدينُ وأن يستمر وأن ينتشر ليصلَ نورُهُ إلى كلِّ مكان، فهم يبنون قِلاعاً من الانتصار للرسالة الخالدة العظيمة، رسالة محمد ﷺ، وهم يشيدون معاقلَ لرفع راية التوحيد خفَّاقة في كلِّ شبر من الأرض.

أمّا أعداء الله فلا يريدون ذلك ولا يتمنونه، لأن المساجد تهدِّد بقاءَهم، وتحول بينهم وبين شهواتهم، وتنهي تواجدهم في الأرض، فهم لذلك لا يريدون عمارتها وإنما يسعون جاهدين إلى هدمها وإزالتها من الأرض، ويتمنون عدم وجودها، ولذلك وصفهم الحقُّ سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ﴾.

ثالثاً: الرجال المؤمنون في المسجد

يقولُ سبحانه: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾.

فهؤلاء رجالٌ ورد ذكرهم بصفة المدح، وكأن غيرهم ليسوا برجال.

رجال يعمرون بيوتَ الله سبحانه، رجال يحافظون على الصلوات الخمس جماعة في المسجد، رجالٌ يحرصون على تلقي العلم الشرعي النافع في بُيوت الله، رجالٌ يحمون هذه البيوت أن تُغلق أو تُهدم أو تزال أو تضيع قداستُها.

فالمساجد بُيوت الله عز وجل في الأرض، وهو سبحانه الذي أذِن أن تُرفع، وهي أنقى بقاع الأرض، وأطهر مساحات الدنيا، وفيها تتآلف القلوبُ المؤمنة، وتتنزل الرحماتُ، وتهبط الملائكةُ، وتحل السكينة والخشوعُ.

بنفسي تلك الأرض ما أحسن الرُّبى   وما أحسن المصطاف والمتربَّعا

ومن هنا نرى أن عمارة المسجد تكون بإقامة الصلاة فيها، وحلقات الدروس، ومجالس الذكر، ومُدارسة القرآن وتلاوته وحفظه؛ وبذلك يتحقق المعنى الصحيحُ لعمارة المساجد، وتعود لها مكانتها حيث كانت شبيهة بخلايا النحل، فلا تكادُ تخلو من راكع أو ساجدٍ أو ذاكر لله سبحانه، أو قارىء للقرآن، أو طالب للعلم، أو عالم يعلِّمُ الناس.

وليس هذا فحسب؛ بل إن كثرة التردد عليها وتحمُّل المشاق في سبيل ذلك أمارة الإيمان الكامل الذي يستحقُّ الثواب الجزيل.

رابعاً: الاعتناء بالمسجد

كنا أمةً مبعثرةً قبل ظهور الإسلام، فلما بعث محمد ﷺ جمعنا في أعظم جامعةٍ آخت بين قلوبنا، وجمعت كلمتنا، ووحَّدت شملنا، ولمَّت شعثنا، ألا وهي المسجدُ، فكان حقّاً علينا جميعاً أن نُظهر هذه المساجد بأجمل مظهر يعرفه الناس، فنعتني بها أكثر من بيوتنا ومنازلنا.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «**أمر الرسولُ ﷺ ببناء المساجد في الدور، وأن تنظف وتُطيَّب**»(١).

ومن هنا كان علينا جميعاً الاهتمام بشؤون المساجد، والحرص على إقامتها في كلِّ مكان تدعو الحاجة إلى وجودها فيه، وخاصة في أماكن التوحيد البشري، والعملُ الجماعي، وعلى الطرق للمسافرين، وفي محطات الوقوف والانتظار، والمطارت، ودور التعليم، وأماكن النزهة، والاصطياف، والحدائق وغيرها، ومن المهم جداً معرفةُ أنه لا يكفي أن تقامَ المساجد هنا وهناك دون عناية بشؤونها أو اهتمام بخدمتها، أو حرص على جمال مظهرها، وإعدادها لاستقبال المصلين في كلِّ حين.

خامساً: اتخاذ القبور مساجد، والمساجد قبور

وهذا لن يكونَ إلا إذا ضيَّعت الأمةُ رسالَتها ومبادئها، واختل نهجُها، واضطربت مسيرتُها، عندئذ يتحولُ المسجدُ إلى مقبرة، وتنقلب المقبرة إلى مسجد، يصبحُ المسجدُ خاوياً على عروشه ولا يؤدي رسالته العظيمة للأمة؛ فلا حلقات علم، ولا تدريس، ولا وعَّاظ، ولا خطابة، ولا إرشاد، ولا توجيه.

في حين يصبحُ القبرُ مسجداً يغصُّ بالخرافات والبدع والضلالات.

---

(١) رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي.

يقولُ الرسولُ ﷺ: «**قاتلَ الله اليهودَ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[1]، وزاد مسلم: «**والنصارى**». وللشيخين من حديث عائشة رضي الله عنها: «**كانوا إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً**»، وفيه: «**أولئك شرارُ الخلق**».

لماذا فعلوا ذلك؟؟! لأنهم عطَّلوا مكان عبادتهم، فقادهم الشيطانُ إلى المقبرة ليؤسّس بيتاً للشرك، وثُكْنَةً للإلحاد، وداراً للخرافة والضلال.

وفي صحيح مسلم أن الرسول ﷺ قال: «**صلّوا في بيوتكم ولا تتَّخِذوها قبوراً**».

ولعل المسلم يلمح انحراف الأمة في آخر عهدها عن المسار الطبيعي الذي سار عليه رسولُنا ﷺ وأصحابُه الكرامُ في بناء المساجد وتعميرها بالعبادة والشريعة والدعوة إلى الله، فنجدُ أن كثيراً من المساجد أصبحت خاويةً على عروشها إلا من الصلوات الخمس، وعُطِّلت رسالتها إلا في بعض الجزئيات.

وأصبحت المساجدُ في بعض البلاد، وعند كثير من الشعوب الإسلامية دوراً للخرافة والبدع والضلالات والانحراف عن التوحيد الخالص، فقد وقع ما حذَّر منه ﷺ حيث قال:

«**فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك**».

سادساً: دعوة غير المسلمين في المسجد

فالكافرُ إذا قدم على المسلمين، والذمِّي إذا دلف على أرضهم؛ وكان من المصلحة أن يدخل إلى المسجد فلا بأس بذلك ـ إن شاء الله ـ فعسى أن يلين قلبُه، ولعله يرى الجموع السائرة إلى المسجد،

(١) متفق عليه.

ويستمع لكلام الله فيؤمن ويهتدي. قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾.

إذا كان ذلك كذلك، فلغير المسلم أن يدخل المسجد ليسلم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: «**بَعَثَ النبيُّ ﷺ خيلًا فجاءت برجل فربطوه بسارية من سواري المسجد**»(1).

وهذا الرجل ثُمامة بن أثال سيدُ بني حنيفة الذي ما أن سمع كلام الله يتلى في المسجد حتى نزل النور على قلبه فأسلم.

وكذلك وَفَد ضمام بن ثعلبة رضي الله عنه على رسول الله ﷺ ودخل مسجده فتعلَّم منه أصول الإسلام.

كما وفد عديُّ بن حاتم الطائي على الرسول ﷺ في المسجد وكان متنصِّراً فأسلم وهداه الله.

سابعاً: المسجد مكان الكلمة الصادقة

إن أعلى منابر الأدب، وأحسن مواقع التأثير، وأعظم قنوات الاتصال، تكون في المسجد، لأنه ليس مكاناً للزجر العنيف ولا للمواعظ والتخويف فحسب، ولكنه إلى جانب ذلك مُنتدى للكلمة الطيبة المباركة، ومنطلقٌ للبيت الشعري الجميل، ومكانٌ للقصة الوعظية الهادفة، ومَيْدان للمناقشة المُجْدِية المثمرة، ومساحة للحوار الهادىء المفيد.

وقد ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب، وهو عملاق الإسلام وفاروقه رضي الله عنه، مرَّ بحسَّان بن ثابت شاعر الإسلام وهو ينشد في المسجد، فلحظ إليه عمر، فقال حسان: كنتُ أنشدُ فيه، وفيه من هو خير منك (يعني رسول الله ﷺ)(2). ولقد كان

---

(1)(2) متفق عليه.

النبي ﷺ يُقرّب المنبر لحسان بن ثابت في مسجده ويقول: «**اهجهم وروح القدس يؤيدك**».

أما إذا تحوَّل المسجدُ إلى مكان للأشعار الساقطة؛ وما فيها من مديح كاذب، وهجاء مُقْذِع، وكلمات بذيئة، وصار إلقاءُ الشعر عادةً مستمرةً، وكثر ذلك حتى طغى على قراءة القرآن، وطلب العلم، والذكر، وأداء الطاعات؛ فإنه يُنهى عنه، فعند أبي داود في السنن مرفوعاً إليه ﷺ أنه قال:

«**من سَمِعْتُمُوهُ ينشد الشعر في المسجد فقولوا له: فَضَّ الله فاك**»[(١)].

ثامناً: انتظام المسجد

نحن أمة النظام، وأمة الهدوء، وأمة الرتابة؛ وأعظم المظاهر الحضارية والمنشآت المعمارية في حياتنا هي المساجد، ومن أراد أن ينظر وأن يتعرَّف على حقيقة مدينة من المدن، أو قرية من القرى، أو واحة من الواحات، فلينظر إلى مساجدها، وليرَ ما مقدار اهتمام الناس بهذه المساجد؟ وما هي علاقتهم بها؟ حينها يحكم على هذا الجيل أو هذه الطائفة من الناس، ومدى رقيهم الحضاريّ الإسلاميّ.

ولذلك فإنَّ للمساجد في الإسلام حقوقاً ولروَّادها آداباً ينبغي لكلّ مسلم معرفتها والتمسك بها، والعمل بمقتضاها. فلا يجوز لروَّاد المساجد أن يرفعوا أصواتهم مشاغبين أو مشوشين لأنها مكان للسكينة والهدوء والانضباط. ولأن المسلم يقف فيها أمام مالك الملك، وملك الملوك سبحانه.

---

(١) رواه أبو داود بلفظ: «نهى رسول الله ﷺ أن يُستقاد في المسجد وأن تُنشدَ فيه الأشعار». وصحّحه الألباني في الإرواء (٢٣٢٧).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**مَن سمع رجلًا ينشد ضالة في المسجد فليقلْ: لا ردَّها الله عليك، فإن المساجد لم تبنَ لهذا**»[1].

إذ لو فُتح الباب لأصبح المسجد مكاناً للدعاية والإعلان! ورفع الصوت والضوضاء، وهذا بدوره مخالف لهدي محمد ﷺ ومناقض لرسالة المسجد ومهمته في الحياة.

تاسعاً: لا لتجارة الدنيا في المسجد

تجَّار الآخرة هم عُمَّار المساجد، وتجار الدنيا هم عُمَّار الأسواق، والمساجد في الإسلام أسواق للآخرة، بل هي أسواق الجنة وميادين التجارة الرابحة مع الله سبحانه، لأنها أسواق الأرواح المؤمنة والقلوب المطمئنة.

أما أسواق الدنيا فهي أسواق البطون والشهوات.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد فقولوا: لا أربح الله تجارتك**»[2].

والمعنى أنه ليس لإنسان أن ينصب سوقاً فوق رؤوس المصلين في المسجد، ولا أن يعرض تجارته وسلعه عليهم في هذا المكان لأنهم فيه مشغولون بتجارة الآخرة وأرباح الجنة، ولأن في ذلك تعطيلاً لهذه الأوقات الثمينة، وصرفاً للقلوب عن بارئها، وإشغالها بالدنيا وزخرفها الزائل الزائف.

عاشراً: لا تقام الحدود فيه

فالقلوب لا تتأدَّب إلا بالتربية المتأنية، والكلمة اللَّيِّنة، والقدوة

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه النسائي والترمذي وحسنه.

الحسنة، وهذه كلها وجدت في مسجده ﷺ، أما أن تتحوَّل المساجد إلى دور للتَّعزير والضرب وأماكن لتأديب المخطئين، فهذا ما لا يليق بها ولا يتفق مع دورها العظيم في حياة المجتمع.

عن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقام الحدود في المساجد ولا يُستقاد فيها**»(١).

ولذلك فإن قطع يد السارق، وجلد الزاني البكر، ورجم الزاني الثيب، وجلد شارب الخمر وغيرها من الحدود والعقوبات الشرعية لا تكون في المساجد؛ لأن معنى ذلك أنها سوف تتحول من منازل للرحمة والسكينة إلى ثُكْنات للتخويف، وقِلاع لتأديب المجرمين والعصاة الذين يمكن تأديبهم في مكان آخر غير المسجد.

انظر أخي المسلم إلى روعة الإسلام وجماله وكماله، حينما جعل المساجد أماكن لتربية النفوس وتهذيبها وتربيتها التربية الإسلامية الفاضلة، فإذا ما عصت هذه النفوس وتمرَّدت؛ فإن علاجها وتأديبها يكون خارج المسجد.

حادي عشر: الدواء في المسجد

لم تَعرف صيدليات العالم، ولا عيادات التاريخ الإنساني أعظم من صيدلية محمد ﷺ وعيادته المباركة التي كتب عليها ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾، وما ذلك إلا لأن دواءها وعلاجها يصل مباشرة إلى القلوب فيشفيها بإذن الله.

وكثيراً ما كان المرضى يأتون إلى مسجده ﷺ الذي كان مكاناً لعلاج المرضى، وبخاصة في أيام الحروب والمعارك.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «**أصيب سعد بن معاذ يوم**

---

(١) رواه أحمد وأبو داود.

الخندق في الأَكْحَل - وهو عرق في وسط الذراع - **فضرب النبي ﷺ له خيمة في المسجد ليعوده من قريب**»[1].

وهذا يعني أن الجريح أو المريض له أن يعالج في المسجد لمصلحة، وليكون قريباً للإمام وأعيان الناس فيتمكنون من عيادته إذا اقتضى الحال ذلك، ثم لأن المسجد مكان عبادة، وبقعة طاهرة تحف بها الملائكة، فلعل ذلك يكون سبباً في شفائه وبُرئه وسرعة استعادته لعافيته، وهذا سببٌ خفي قلَّ من ينتبه له أو يتذكره، ومن هنا نرى أن المسجد مكان طبيعي لعلاج مرضى القلوب إضافة إلى أنه من أحسن البقاع وأفضلها في علاج الأبدان بإذن الله سبحانه.

ثاني عشر: إساءة الأدب في المسجد

بيته سبحانه وتعالى محترمٌ ومقدَّسٌ، وينبغي أن تكون له مكانة سامية، ومنزلة رفيعة، وحصانة شرعية تليق به، وكيف لا يكون كذلك وهو بيت مالك الملك، وملك الملوك؟؟!

إن ملوك الدنيا لا يرضون ولا يسمحون أن يُساء الأدب في بلاطهم وقصورهم وبيوتهم، ولا أن ترفع الأصوات بحضرتهم، ولا أن يكثر الضجيج في أماكن تواجدهم، ولا أن تحدث حركة أو لفظة غير مسؤولة عندهم.

فالله سبحانه وتعالى أولى بالاحترام والتعظيم والتقديس في بيوته جل شأنه.

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**البُزاق في المسجد خطيئة وكفَّارتها دفنها**»[2].

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

فلا يحق للمسلم أن يبزق في المسجد، ولا أن يتفل فيه، ولا أن يضع فيه أذى أو قذراً، ولا أن يجعله مكاناً للقُمامة، والزبالة، وقُصاصات الأوراق، وفضلات الأشياء، فإن هذا السلوك وهذا التصرف يُنبيء عن قلّة إيمان من فعل ذلك، وعن سوء أدبه، وعن عدم احترامه لبيت الله عز وجل.

ثالث عشر: زخرفة المساجد

يعمل المسجد على تخريج جيل مسلم على درجة عالية من الوعي والمعرفة، فالمفسر للقرآن يخرج من المسجد، وكذلك المحدِّث والفقيه والخطيب والمفتي والمجاهد، والآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، والحاكم بشرع الله، والمنفِّذ لأوامر الله، والداعي إلى سُنة رسول الله ﷺ.

ولذلك فإن المسجد في عصور السلف الصالح خرَّج قادة الدنيا، وأصحاب التأثير في تاريخ الإنسان، فالخلفاء الراشدون، والعبادلة الأربعة، والقادة الفاتحون، والشهداء في سبيل الله، جميعهم كانوا من المهاجرين والأنصار وغيرهم من الثُّلَّة الخيِّرة، والنُّخبة المصطفاة الذين كانوا عُبّاداً للحجر فأصبحوا قادة وزعماء للبشر، وكانوا رعاة للغنم فأصبحوا سادة للأمم، جميعهم تخرَّجوا من مسجد محمد ﷺ الذي كان مبنياً من الطين، ومسقوفاً بجريد النخل.

فماذا فعلت المساجد التي بُنيت بأرقى الخامات؟ وصُمِّمت على أحدث التصميمات؟!. ماذا فعلت في حياة الجيل وهي التي خُطِّطت تخطيطاً بديعاً؟! هل أثَّرت في مسيرة إياك نعبد وإيّاك نستعين؟! هل أخرجت لنا وللأمة المسلمة علماً نافعاً؟! هل وقفت سداً منيعاً أمام حملات الغزو الفكري والتيارات الهدامة؟! هل بعثت الفكر من مرقده وأيقظته من سُباته؟! هل شحذت الهمم وحركت المشاعر من النفوس؟!

هل بثَّت النور في قارات الأرض؟! وهل عبرت منها الكلمات الصادقة عبر المحيطات؟! لا وألف لا. وذلك أمر يؤسف له.

أما لماذا؟ فلأننا عمرنا مساجدنا بالبناء، ولم نعمِّرها بالذكر والدعاء، ولأننا عمَّرناها بالزخارف والألوان، ولم نعمِّرها بتلاوة القرآن.

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد**»(١)، وزاد بعضهم: «**ثم لا يَعْمِرونها إلا قليلًا**».

وهذا هو واقع الحال في تعاملنا اليوم مع المساجد التي أصبحت مظاهر، وأصبحت آيات في حسن البناء وروعة الهندسة. تُعجب الناظرين وتسرهم في مظهرها، إلا أنها في مخبرها وجوهرها لم تؤد رسالة ولم تحقِّق هدفاً. فعقِم جيلها، وسكتت ألسنتها، واختفت حلقاتها، وانطفأ نورها، وانعدم دَوْرُها.

والمباهاة في عمارة المساجد من علامات الساعة، لأن الأمة إذا ضعفت ومرضت واهتمَّت بالمظهر على حساب الجوهر، وبالقشور على حساب اللُّباب، والكمِّ على حساب الكيف، أفلَ نجمها ودبَّ فيها الوهن والخَوَر والعجز.

روى ابن عباس رضي الله عنهما عنه ﷺ أنه قال: «**ما أمرت بتشييد المساجد**»(٢)، فما بعث ﷺ معمارياً يبني المساجد ويزخرفها ويهتم بنقوشها في حين ينسى عمارتها المقصودة وغايتها المنشودة وهي عمارة الدعوة والتوجيه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، في كل زمان ومكان.

إن محمداً ﷺ بُعث في فترة كانت العرب في حاجة إلى عمارات

---

(١) أخرجه الخمسة إلا الترمذي، وصحَّحه ابن خزيمة.

(٢) أخرجه أبو داود وصححه ابن حبان.

ودور وقصور، ومحتاجة إلى مصانع وصوامع، ومحتاجة إلى دور رعاية، وبيوت إغاثة، ولكنه ﷺ وجد الأمة في حاجة ماسة وعاجلة إلى إحياء القلوب والأرواح، وزرع بذور العقيدة في النفوس، فاهتم بالأهم قبل المهم، وحرص على زرع النور في القلوب حتى تشرق وتبصر وتستيقظ، حينها يكون بإمكانها أن تبني وأن تعمر وأن تشيد وأن تقيم ما شاءت في الأرض.

رابع عشر: الاعتناء بالمسجد

فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**عُرضت عليَّ أجور أمتي.. حتى القَذاة يخرجها الرجل من المسجد**»[1].

والخدمة لغير الله عز وجل فيها ما فيها من المآخذ، أما خدمته جل وعلا في بيوته ولأوليائه ولأحبابه من المؤمنين الصادقين الصالحين فهي شرف عظيم، وهي عنوان العزِّ في الدنيا ومَدْعاة للأجر والثواب في الآخرة.

فالرسول ﷺ أمر بتنظيف المساجد من الأقذار ومن كلِّ ما يؤذي المسلمين، ورغَّب في ذلك كثيراً، وحث ﷺ على تطييبها بالروائح الطيبة، وجعل هذه المهمة مهمة لكلِّ مسلم حتى لا ينفرد أحد بهذا الشرف الكبير وحده، وحتى تُتاح الفرصة للجميع فيشاركوا في تنظيف المساجد وتطييبها وتجهيزها للمصلين.

والقذاة هنا هي ما يقع في العين أو الماء من تراب أو وسخ أو نحو ذلك، فكان على المسلم أن يحرص على نظافة بيت الله، وأن لا يهملها مهما كانت صغيرة؛ بل عليه أن يلتقطها وأن يزيلها من بيت الله.

---

(١) رواه مسلم.

وقد رُوي أن الإمام البخاري رحمه الله كان في مجلس الحديث فرأى قذاة في المسجد، فقطع الدرس وأخذها ثم وضعها في جيبه، فلما خرج من المسجد رمى بها.

خامس عشر: تحية المسجد

عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا دخل أحدكم المساجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين**»[1]. وهاتان الركعتان يسميهما أهل العلم «**تحية المسجد**».

فللمسجد في الإسلام تحيةٌ يُحيَّا بها، كما يُحيِّي المسلم أحب حبيب أو أقرب قريب.

وهذه التحية تحيةٌ متميزةٌ وليست كغيرها من أنواع التحايا؛ فهي تربي المسلم على أدب إسلاميٍّ رفيع، فدخول المسلم إلى المسجد ليس كدخوله إلى مكتب من المكاتب، أو سوق من الأسواق، أو منزل من المنازل، أو شارع من الشوارع، وإنما هو دخولٌ إلى مكان مقدَّس، وبُقعة طاهرة تختلف عن غيرها من الأماكن والبقاع. ولذلك كان من اللائق أن يُحَيَّا المسجد بركعتين طيبتين يصليهما المسلم قبل أن يجلس لتكونا ـ بإذن الله ـ فاتحة خير وبداية أُنس مع الله جل شأنه.

بل إن بعض أهل العلم يذهب إلى وجوب هاتين الركعتين ويستدل على ذلك بأن الرسول ﷺ كما في صحيح مسلم أقام رجلاً في أثناء خطبة الجمعة جلس ولم يركع ركعتين وقال له: «**قُم فصلِّ ركعتين**».

وتصلَّى تحية المسجد على الصحيح حتى في أوقات النهي، وكم هو عظيم وجميل أن يبدأ المسلم جلوسه في المسجد بطاعة وقُربى

---

(١) متفق عليه.

إلى الله سبحانه وتعالى ليعلن بهما عن السمع والطاعة والخشوع والخضوع لربِّ هذا البيت جلَّ جلاله. إضافة إلى أن في هاتين الركعتين قطعاً للحديث بين المصلين وانتظاراً للصلاة في خشوع ووقار وسكينة.

سادس عشر: القرارات الخطيرة

كان المسجد في عهد المصطفى ﷺ مكاناً لإعلان الحرب على أعداء الله، ولرفع راية الجهاد ولاستنهاض الهمم، وإيقاظ المشاعر، وتحريك القلوب، وبثِّ الحماس في النفوس.

كان ﷺ يُعلن البيانات العسكرية من على منبره مباشرة، ولذلك كانت انتصاراتنا الهائلة في بدر، وأحد، والفتح، واليرموك، وحطِّين، وعين جالوت، وغيرها من معارك الإسلام الفاصلة وانتصاراته العظيمة تصدر منه.

كان ﷺ يعلن حالة الحرب من المسجد، ويتكلم عن ملابسات المعركة وعن ظروفها، وعن الشهداء وأحوالهم. فقد أعلن عن معركة أُحد يوم الجمعة، وبدأت أحداثها يوم السبت، وتكلم ﷺ عن الشهداء في مؤتة من على منبره وكأنه يعيش أحداثها لحظة بلحظة.

وكان يُرسل السرايا والغزوات من المسجد، فيأتي بالقائد ليسلمه الراية من على المنبر فتكون الغزوة مباركة، والسير مباركاً، والنتيجة مباركة. وكان ﷺ يعلن نتائج المعارك من المسجد، وهذا ثابت في سيرته ﷺ.

وذكر ذلك أهل العلم كصاحب زاد المعاد، وابن هشام في سيرته وغيرهما من أرباب السير ونقلة التاريخ.

وقال المهلَّب: «المسجد موضوع لأمر جماعة المسلمين، فما كان من الأعمال يجمع منفعة الدين وأهله جاز فيه».

سابع عشر: الميراث النبوي

لم يورث المصطفى ﷺ درهماً ولا ديناراً، ولم يترك قصوراً ولا حدائق ولا بساتين ولا منشآت حضارية، وإنما ترك لأبناء الأمة وحياً سماوياً، وسنة مباركة، فميَّزنا عن الأمم وشرَّفنا بها على بقية الشعوب.

ترك لنا كتاباً عظيماً وسنة مطهَّرة، وتعاليم ربانية، وشريعة خالدة لا تختلط بالتراب ولا تُدَسُّ في الطين، وإنما هي تنزيل من رب العالمين.

هذا الميراث العظيم الذي تركه ﷺ يقسَّم في المساجد، وحلق العلم، والصلوات الخمس، وخطب الجمع والدروس والندوات والمحاضرات.

والمساجد أنسب الأماكن لهذه المَهَمَّة الجليلة خصوصاً عند اجتماع المسلمين للصلاة جماعة في كل يوم خمس مرات، وعدد أكبر يوم الجمعة تلقى عليهم خطبة الجمعة بما فيها من ذكر وتعاليم دينية وإرشادات ربانية، وقد كان ﷺ يعقد مجالس العلم في مسجده ويتزاحم المسلمون عليها ويتنافسون في القرب من المعلم الجليل ﷺ، حرصاً على تمام الاستفادة.

روى الطبراني بإسناد حسن، عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه مرَّ بسوق في المدينة، فوقف عليها وقال: يا أهل السوق ما أعجزكم!!

قالوا: وما ذاك يا أبا هريرة؟ قال: ذاك ميراث النبي ﷺ يقسَّم وأنتم ههنا، ألا تذهبون فتأخذون نصيبكم منه. قالوا: وأين هو؟! قال: في المسجد.

فخرجوا سراعاً، ووقف أبو هريرة لم يبرح مكانه حتى رجعوا فقال لهم: ما لكم؟ فقالوا: يا أبا هريرة قد أتينا المسجد فدخلنا فيه فلم نر شيئاً يقسم. قال: وما رأيتم؟ قالوا: رأينا قوماً يصلون، وقوماً

يقرأون القرآن، وقوماً يتذاكرون الحلال والحرام. فقال لهم أبو هريرة: ويحكم! فذاك ميراث محمد ﷺ، إنه لم يورث درهماً ولا ديناراً وإنما ورَّث العلم، فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافر.

ولذلك كانت مساجد السلف الصالح مباركة، وعلامة بركتها هذه الأجيال العلمية الممتلئة بالمثل الحية في ضمير التاريخ، السائرة في كوكب الأرض لا تُطمس ولا تُنسى، ولذلك وُجد منهم أرباب المذاهب، وعلماء الحديث، وأساطين الفقه، وعلماء التفسير، وأساتذة الأمة، وأدباء التاريخ، وشعراء الفضيلة، وغيرهم من المفتين والوعاظ والخطباء والحكام والقضاة، كلهم تخرجوا من المسجد.

وليس هذا فحسب بل إن المصلي الذي يعتاد المساجد العامرة بالدروس والمحاضرات وحلق الذكر ومجالس العلم، لا تكاد تمر عليه فترة زمنية بسيطة إلا وقد تعلم الكثير من أمور دينه ودنياه، هذا إذا كان مجرد مستمِع للدروس مواظب على المحاضرات، أما إن كان طالبَ علمٍ يحرص على السماع وتسجيل الفوائد، وحفظ الآثار، فإنه سيصبح يوماً ما مثل شيخه في العلم وسعة الاطلاع.

ثامن عشر: المسجد المركز

كان النبي ﷺ يستقبل في المسجد الوفود التي ترِد عليه لأغراض مختلفة كطلب علم، أو إعلان إسلام، أو عقد معاهدة، أو طلب معونة، أو نحو ذلك من أغراض.

وكان المسجد أشبه بقاعة الاستقبال الرسمية الدائمة، وكان جاهزاً ومهيأً لجميع الوافدين من مختلف البلاد والأقطار.

فقد استقبل النبي ﷺ وفد نجران، كما استقبل وفداً من بني [illegible]م، وقدم عليه وفد من قبائل كِندة، وغيرهم من الوفود، وأبناء [illegible]ئل الذين استقبلهم ﷺ وسمع كلامهم، وعلمهم أصول الدين

الإسلامي، واستضافهم، فكانت المدينة المنورة عامرة بأصناف الناس الذين دخلوا في دين الله أفواجاً وبخاصة بعد فتح مكة، وإسلام ثقيف، وفراغه ﷺ من معركة تبوك.

وفد عليه الجميع وجلسوا إليه واستمعوا له، وهو يعلِّم ويبني ويُوَجِّه، وينظر ويؤسِّس دولة الإسلام ويرفع البناء عالياً شامخاً باذخاً.

وحبذا لو أعيد إحياء هذه السنة النبوية المباركة، فتُعقد اللقاءات وتنظم المؤتمرات في المسجد، سواء كانت فكرية، أو علمية، أو تربوية، لتأسيس المناهج، وإعادة بناء الثقافة، وإعداد المقررات، ودراسة المشاريع والمخطَّطات.

حبذا لو انطلقت من المسجد لتكون مباركة خيِّرة سديدة راشدة، ولتؤتي أُكُلها كل حين بإذن ربها.

وحبذا لو عقدت مؤتمرات المسلمين في المساجد لأنها لما عقدت في القاعات ذهبت بركتها وانطفأ نورها ولم تؤد رسالتها. مؤتمرات كثيرة لكن بلا بركة، فتخرج قراراتها ميتة، وصدق من قال في شأنها: «اتفقوا على ألا يتفقوا، واختلفوا قبل أن يأتلفوا، وتفرَّقوا قبل أن يلتقوا».

أما لقاءات المسجد، فهي تلكم اللقاءات التي عقدها رسولنا الكريم ﷺ ومن بعده أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، ومن بعدهم من سلفنا الصالح عبر التاريخ، والتي كانت قرارات سليمة، وكانت نتائجها عظيمة، ومكاسبها جسيمة، شهد بها القريب والبعيد.

وهنا ألفت النظر إلى أن بعض الناس جهل دَوْرَ المسجد ورأى أن يغلق أبواب المسجد بعد أداء الصلاة مباشرة، وهذا خطأ فادح منه لأنه جهل رسالة المسجد، ودوره في الإسلام، وأثره في تربية أبناء الجيل المؤمن، ولم يعرف لماذا بُنيت المساجد، ولم يحط علماً بسيرة

محمد ﷺ الذي جعل من المساجد مكاناً للتزود بالطاقة اللازمة للسعي في الحياة الجادة المثالية.

تاسع عشر: مسجد الرسول ﷺ

ذلك المسجد هو مسجده ﷺ الذي اختاره ليكون جامعة للدنيا بأسرها، ومنارةً يُهتدى بها في الأرض، ومركزاً للتعليم والتوجيه والإرشاد، ومكاناً للتفقه في علوم الدين والدنيا، ويكفيه فخراً أنه كان مهبطاً لوحي السماء على خير الرسل والأنبياء.

ذلك المسجد الذي قال فيه الحق سبحانه: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾.

ذلك المسجد الذي كان جامعاً لأمور الدين، وجامعة لشؤون الدنيا.

وليس أدل على ذلك من أنه ظلَّ معقلاً من معاقل التربية والتعليم لعدة قرون؛ تمكن خلالها من تخريج الأكفاء لإقامة دولة الإسلام الممتدة من الشرق إلى الغرب، ومن الشمال إلى الجنوب، وإمدادها بالعاملين الصادقين المخلصين في كل مجال من مجالات الحياة.

فقد كانت المساجد تخرِّج الخلفاء والأمراء، والقواد والزعماء، والمحدثين والفقهاء، والمفسرين، ورجال القضاء، وأساتذة اللغة، والنبلاء والأبطال والشهداء، والمفكرين والعلماء، والمفتين والأدباء، والدعاة والشعراء وغيرهم ممن سمع لهم التاريخ وشهد لهم الزمن بأنهم أصحاب التأثير العظيم في مسار عجلة الزمن وفي ثقافة الأمم وحضارة الشعوب، والتاريخ خير شاهد بأن أُذن الدهر ما سمعت بجامعة حوَّلت أمة كانت لاهية لاغية عابثة، إلى أمة راشدة قائدة، رائدة ماجدة، تنطق بكتاب ربها سبحانه، وتحكم بالعدل، وتأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر.

كل هذه الإنجازات العظام انطلقت من مسجده ﷺ.

العشرون: الشباب والمسجد

إنَّ مَهَمَّة أبناء الإسلام وشباب الإيمان أن يكونوا دعاة إلى الله سبحانه، ينطلقون من المسجد لتكون انطلاقتنا الكبرى مباركة، وصحوتنا المعاصرة راشدة.

من المحراب ننطلق أُسوداً حين ننبثق

ورسالة الشباب المسلم تبدأ من المسجد، فهو مكانهم المعتاد، ومركزهم المبارك، لأن الخطيب المصقع إذا أراد أن ينفع أمة محمد ﷺ فإن عليه أن يصعد المنبر، وأن يوجه الكلمات تلو الكلمات والعبارات بعد العبارات، ليحيي الله سبحانه بها قلوب الناس. ولكن.. ما للشباب يَصْدِفون عن الخطابة ويصدون عنها؟!

أهو الورع؟ إذا كان ذلك فإنه ورع بارد أكله حب الخمول، والبعد عن مظاهر الدنيا. وهو ورع لم نسمع بمثله في آبائنا الأولين، فمحمد ﷺ أزهد الناس، وأورعهم، وأصدقهم، وأبرهم، ومع ذلك فقد تولى خطابة الأمة، فأسمع الأجيال كلمة الحق، وألهب حماسها، وعاش مسيرتها، ومن بعده خلفاؤه الراشدون، والأئمة الصالحون.

فمن أين علموا أن الخطابة مصدر للشهرة، ومرتكز لحب الظهور؟ ومن أفتاهم بذلك حتى يتركوها لأناس لا يجيدونها، لأنهم ليسوا من فرسانها، ولا يقومون بها حقَّ قيامها، فأصبحت المنابر فقيرة لا تؤدي رسالة، ولا ترفع أمة ولا تصلح خطأ، ولا تهذِّب جيلاً، ولا تقدِّم منهجاً، ولا تردُّ متهوِّراً.

ومن المسؤول عن إشغال المنابر بغير أهلها، وتركها لأناس هم عالة على الكتاب والسنة المطهرة؟ فلا يجيدون أداءها ولا يحسنون اختيارها، ولا يقومون بآدابها، ولا يعيشون ظروفها الزمانية والمكانية.

إن هذا كله أدَّى إلى أن تُهجر المساجد، ويقل فيها الراكع والساجد، حتى أصبحت خاوية على عروشها، وما أن تؤدّى فيها الفريضة حتى تغلق بعدها لتصبح أشبه بالقبور، ولم تعد تلك المساجد التي عَمَرت بها عواصم الدنيا كمكة المكرمة، والمدينة المنورة، ودمشق، وقرطبة، وغرناطة، والزيتونة، والقاهرة.

فهل لطلبة العلم أن يعيدوا إحياء هذا السنة في مساجدهم؟ وأن يجلسوا للناس حلقات العلم، ودروس الفقه، والتفسير، ومجاميع التلاوة؟ وهكذا حتى تعود أصالتها، وعمقها، ونورها، وعزها.

● مقترحات:

تعد المساجد مكاناً مناسباً لتعارف المؤمنين وتآلفهم، فلا يتعارف أهل الحي أو سكّان الحارات أو أبناء القرى إلا في المساجد، فيعلمون بمرض المريض ويعودونه، ويعرفون غياب الغائب فيسألون عنه، ويلتمسون حاجة المحتاج فيمدون له يد المساعدة.

فيا حبذا لو عُقدت مجالس للأحياء والحارات في مساجدها ويكون من أبرز مهامها توثيق عُرى الأخوة، وروابط المحبة بين رواد المسجد من المؤمنين، وتفقُّد المتخلِّفين عن حضور صلاة الجماعة، ورعاية المحتاجين، ومد يد العون للمساكين، والشفاعة لمن أراد الشفاعة، وتنظيم اللقاءات الدورية والزيارات الأخوية في المنازل، والإشراف على المناسبات العامة، وإعداد فَقرَاتها وبرامجها كالأعياد والأفراح ونحوها.

ويا حبذا لو تنقَّل شباب الدعوة في مساجد الأحياء مذكِّرين واعظين.

ويا حبذا لو تم إيجاد مكتبة مناسبة في كل مسجد؛ تشتمل على الكتب المقروءة والأشرطة الإسلامية، حتى تكون مرجعاً مناسباً وسريعاً للأئمة، وطلبة العلم، ومكاناً مناسباً لتربيتهم وتثقيفهم واطلاعهم.

ويا حبذا لو تم الآتي في المساجد:

١ ـ **إهداء الشريط الإسلامي** النافع، والكتيب الإسلامي المفيد لرواد المسجد، ولأبناء المسلمين.

٢ ـ **دعوة العلماء** والدعاة والمشائخ لإلقاء الدروس والمحاضرات، وعقد الندوات والإجابة عن التساؤلات.

٣ ـ **إيجاد صندوق مالي** بدعم من أهل البذل والعطاء تكون مهمته رعاية المحتاجين، ومد يد العون للمجاهدين، والعناية بمتطلبات المسجد وحاجاته الضرورية.

٤ ـ **فتح أبواب المساجد ليلًا ونهاراً للمصلين**، والدارسين، والمرتادين، والسائلين، والمحتاجين وأبناء السبيل، والمعْدَمين.

٥ ـ **توفير المتطلَّبات اللازمة للمسجد**، كوسائل الإضَاءة، والتكييف، والأجهزة السمعية، ونحوها من الخِدْمات الحضارية، كالهاتف والصيدلية اللازمة للإسعاف الأولي، وأدوات التنظيف.

٦ ـ **تخصيص مكان مناسب ليكون مصلًى للنساء**، وإن كانت صلاتهن في البيوت أفضل، ولكن ربما كان في ذلك نفع إذا رغبن في حضور الدروس والمحاضرات.

وهناك أربع ملاحظات تتكرَّر في كثير من المساجد، فيا حبذا لو **تُنُبِّهَ لها**:

الأولى: تكلُّف بعض الأئمة والخطباء والمؤذِّنين، وهذا أمر مخالف للسنة، فتجد المؤذن يتكلف في مخارج الحروف، ونبرات الصوت بشكل يثقل على النفوس وتشمئز منه الأرواح. قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنَاْ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴾.

ويقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «نُهينا عن التكلف».

وجاء عن عمر بن عبدالعزيز كما روى عنه البخاري أنه سمع مؤذِّناً يمطط في صوته، فقال له: «أذِّن أذاناً سمحاً وإلا فاعتزلنا».

وبعض الخطباء يتكلف في إلقاء الخطبة، فيتقطع صوته من على المنبر، وكأنه يريد حَنْجَرة غير حَنْجَرته، وأداء غير أدائه، وشخصاً غير شخصه، فمرَّة يزبد ومرة يرعد، ومرة يهدد، وأخرى يتوعد، ويرفع صوته في مواطن خفض الصوت، ويخفضه في مواطن رفعه، إلى غير ذلك من ألوان التكلف المنهي عنه في مجموع النصوص الشرعية.

الثانية: كثرة الملصقات والإعلانات في المداخل والمخارج والممرات، وتعليق اللوحات، وهذا الأمر لا يخلو من حالتين:

١ ـ أن تكون هذه الملصقات إعلانات خاصة بالمحاضرات النافعة والدروس العلمية وحلقات تحفيظ القرآن وما شابه ذلك من أعمال الخير، ففي هذه الحالة يكون الأمر سائغاً ومقبولًا بل قد يكون من وسائل الدلالة على الخير والدعوة إليه.

٢ ـ أن تحتوي هذه المادة على دعايات تجارية أو شبه تجارية، وهذا من شأنه إشغال المصلين عن الخشوع في الصلاة، إضافة إلى أنه مخالف لما كان عليه سلف هذه الأمة الصالح. والواجب أن يكون لهذه الملصقات والإعلانات التجارية ونحوها مكان آخر غير جدران المسجد وساحاته.

أما أن تتخذ المساجد لغير ما وجدت له فهذا أمر لا مصلحة فيه وينبغي التنبه له.

الثالثة: البعض يخطىء بحُسن نية وسلامة مقصد، فيعلِّق بعض الصور الفوتوغرافية ونحوها للمجاهدين والمنكوبين في أنحاء العالم الإسلامي بحجة أن يراها المصلون، وأن يشاهدها أبناء الإسلام؛

فيسارعون إلى دعمهم ومد يد العون لهم وتفريج عُسرهم، وتقريب يُسرهم.

وهذا خطأ، فالصور مهما كانت لا تدخل المساجد وينبغي أن تبعد عن بيوت الله.

الرابعة: الزينة المتكَلَّفة في الزخرفة والفرش، وهذا مَدْعاة لإلهاء المصلين، وإشغالهم بكثرة تخطيطاته، وتنميقه، وألوانه، ونقوشه.

فيا حبذا لو روعي عدم المبالغة في تزيين المساجد وزخرفتها جدراناً أو سقوفاً أو محاريب.

ويا حبذا لو كانت فرش المسجد خالية من الرسوم، والألوان الصارخة، والكتابات ونحوها.

المرأة والمسجد:

لا شك أن للمرأة دوراً في بناء المسجد وعمارته، فهي شقيقة الرجل وهي نصف المجتمع، ولذلك فإن الإسلام لم يهملها وإنما اعتنى بها وحيّاها، وكان ﷺ يعظ النساء في المسجد، ويعلمهنَّ، وكنَّ يحضرن دروسه وخطبته ﷺ، بل إنه جعل لهن يوماً من أيام الأسبوع.

وكان النساء يأتين في الصفوف الأخيرة من المسجد، ليحضرن الصلاة وهن متحجِّبات، وغير متطيِّبات، ولا فاتنات، ولا مفتونات، ثم ينصرفن قبيل انصراف الناس من المسجد.

ومن هنا، فعلى المسلمين أن يوجِدوا مكاناً مناسباً ليكون مصلّى للنساء؛ ليحضرن الصلاة، وليسمعن الخطب، والمحاضرات، والدروس العلمية، وأن يكون هذا المصلَّى مستقلاً وخاصاً بالنساء، وله باب خاص يبعدهن عن مزاحمة الرجال في الدخول وفي الخروج.

ففي المساجد تتلقى الأم المسلمة تربيتها الإسلامية الحقَّة،

وتذهب عنها الأمية، ويزول عنها الجهل والانحراف العَقَدي، ويستقيم سلوكها، إلا أن هناك بعض الملاحظات التي ينبغي مراعاتها ومنها:

١ - **على المرأة المسلمة ألا تتطيَّب وتتعطر** إذا قصدت المسجد، فهذا أمر منهي عنه لما فيه من الفتنة[١].

٢ - وعليها أن **لا تزاحم الرجال**، فإن ذلك سبب للفتنة وطريق للمعصية، وعليها أن **لا تأتي إلى المسجد إلا مع مَحْرَم**، إن بعض النساء تأتي ومعها سائق، والخلوة بالأجنبي محرَّمة، فتكونُ قد حرصت على نافلة فارتكبت محرَّماً والعياذ بالله.

٣ - **وعلى المرأة المسلمة إذا حضرت إلى المسجد ألا تنشغل بالحديث** مع أخواتها والسلام عليهن، ففي ذلك صرف للقلوب عن الذكر وقطع للخشوع، وتشويش على الناس.

٤ - **وعليها أن لا تحضر أطفالها الصغار إلى المسجد** فيتحول إلى روضة للأطفال! ويسبب ذلك إزعاجاً للمصلين، وإيذاءهم والتشويش عليهم، وربما تلطيخ المسجد بالنجاسات.

فيا إخوة الإسلام، ويا شباب الإيمان، هذا هو **المسجد مهد الانطلاقة الكبرى. فهل لنا** أن نعيد هذه الانطلاقة؟ **وهل لنا** أن نعيد للمسجد دوره العظيم في الحياة؟ **وهل لنا** أن نعيد له مكانته السامية في النفوس؟!

وصلى الله وسلَّم على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين...

(١) لقوله ﷺ: «**إذا شهدت إحداكن المسجد، فلا تمس طيباً**»، رواه مسلم.

ملتقى المؤمنين

الحمد لله الذي كان بعباده خبيراً بصيراً، وتبارك الذي جعل في السماء بروجاً، وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً، وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكَّر أو أراد شكوراً.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، هدىٰ به الله الإنسانية، وأنار به أفكار البشرية، وزعزع به كيان الوثنية، وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعد..

لنا نحن المسلمين مع المسجد أسرار وأخبار، ولنا معه ذكريات وأمنيات.

سلوا المسجد: من الذين ضوَّعوا جنباته بالتسبيحات؟

وأضاؤوا جوفه بالعبادات؟

وسجدوا على جبينه خمس مرات؟

سيقول: المسلمون.

سلوه من الذي فجَّر من جنابه الكلمة الحية، والموعظة الحسنة، والخطبة المتأجِّجة؟

ومن الذي صاغ من على منبره منهج الأجيال؟

وأذكىٰ من على محرابه الإيمان في قلوب الرجال؟

وغرس في روضته دوحة الإقبال؟

سيقول: المسلمون.

سلوه من الذي أباد من على منارته الإلحاد؟

ونشر من على قبته العدل بين العباد؟

ونادى العقل للحياة والطموح والجهاد؟

سيقول: المسلمون.

عاش رسول الله ﷺ في المسجد خطيباً يبعث من الصحراء أمة، ومن الأمة جيلاً، ومن الجيل قادة، ومن القادة شهداء لله في الأرض.

يقول القاضي الزبيدي شاعر اليمن:

مـا بـنـى جـمـلـة مـن الـلـفـظ إلاَّ
وابـتـنـى الـلـفـظ أمـة مـن عـفـاء

عاش ﷺ يصنع في المسجد من العبارات دُرراً، ومن الكلمات ثمراً.

يقول شوقي:

وإذا خـطـبـت فـلـلـمـنـابـر هـزة
تـعـروا الـنـدِيَّ ولـلـقـلـوب بـكـاء

وعاش ﷺ في المسجد معلماً يفتح البصائر على العبد ويحرر العقول من الأوثان، ويسكن القلوب بمعين الحكمة والهداية.

وعاش ﷺ في المسجد قائداً يرسل كتائب الإيمان وينظم جيوش الحق تنسف ركام الباطل، ويربي الفاتحين ينقذون الدنيا من أتباع الشيطان.

وتعجبني أبياتٌ للبردوني ولو أنه لا يعجبني[1]، وأبرأ إلى الله منه ومن منهجه، وأسأل الله أن يجازيه بعدله، ولكنه تفوق أيَّما تفوق في قصيدته وهو يروي إشراق الرسول ﷺ في المسجد وانطلاقه من المسجد وسيرته ﷺ في المسجد.

يقول في أبياته:

بُشرى من الغيب ألقت في فم الغار
وحياً وأفضت إلى الدنيا بأسرار
بُشرى النبوة طافت كالشَّذى سحراً
وأعلنت في الدُّنا ميلاد أنوار
وشقَّت الصمتَ والأنسام تحملها
تحت السكينة من دارٍ إلى دار

إنه يتحدَّث عن رسول الهدى.

ثم يقول:

نحن اليمانين يا طه تطير بنا
إلى روابي العلا أرواح أنصار
إذا تذكرت عماراً وسيرته
فافخر بنا إننا أحفاد عمار
أنا ابن أنصارك الغر الألى سحقوا
جيش الطغاة بجيش منك جرار

يقول سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾.

(١) لأنه من رموز الحداثة في هذا الزمان.

قال أهل السنة: تحصل عمارة المسجد بأحد أمرين: إما ببنائها بقصد وجه الله عز وجل.

فقد صحّ عنه ﷺ أنه قال: «**من بنى لله مسجداً ولو كمفحص قطاة بنى له الله قصراً أو بيتاً في الجنة**»[1].

والثاني: عمارتها بالتسبيح، والتحميد، والتهليل، والصلاة.

عُمَّار المساجد هم: عباد الله عز وجل، لأننا لا نعيش في المساجد أسبوعاً واحداً بل العمر كله، والدهر أكمله، والزمن مطلقه، لأننا أمة تعلقت بالمسجد وانبعثت من المسجد.

وقال سبحانه: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾.

من هم؟

إنهم أولياء الله وأهل لا إله إلا الله، وأهل الرسالة الخالدة الذين يفتحون العقول قبل الحصون، والذين يبنون في القلوب منائر من الحق.

وهم أتباع الرسول ﷺ إلى قيام الساعة.

أما الذي لا يعرف المسجد ويتعرف على البار، ويقاطع بيت الله، ويعرف المقهى، فليس من الله في شيء.

يقول العربي الأول:

فإما أن تكون أخي بصدق
فأعرف منك غثي من سميني

(١) متفق عليه.

وإلا فاطرحني واتّخذني
عدواً أتقيك وتتقيني

والمساجد قسمان:

١ ـ مسجد بُني إخلاصاً وصدقاً لوجه الله عز وجل، فأهله مأجورون.

٢ ـ ومسجد بُني رياء وسمعة أو للصدّ عن منهج الله.

قال سبحانه عن مساجد الضرار التي تصدّى لأولياء الله: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾.

ثم يقول جلّ اسمه: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾.

فهذه المساجد يحق أن يُقال فيها كما قال محمد إقبال:

أرى التفكير أدركه خمول
ولم تبق العزائم في اشتعال
وأصبح وعظكم من غير نور
ولا سحر يطل من المقال
وجلجلة الأذان بكل حيٍّ
ولكن أين صوت من بلال
منائركم علت في كل ساحٍ
ومسجدكم من العبّاد خالِ

إنَّ حضارته ﷺ التي أقامها لا تقوم إلا على المسجد، ولا تصلح إلا في المسجد، ولا يكون لها نور إلا بالمسجد.

من معالم المسجد في حياته ﷺ أن منه كانت الانطلاقة الكبرى، والرسالة الخالدة، فإنه أول ما وصل ﷺ إلى المدينة وضع حجر الأساس إيذاناً بافتتاح المسجد، فجعله ﷺ جامعة كبرى للعقائد، وللأخلاق، وللسلوك، وللآداب، وللشعر، وللخطابة، وللطموح.

فمبادئنا تُعلن كل يوم خمس مرات من على مآذن المسجد فليس عندنا ألغاز ولا أحاجٍ، وإنما عندنا مبادىء واضحة ربَّانية.

والمقصود هنا أن مهمة المسجد لا تنحصر في خمس صلوات ثم يُغلق المسجد.

لا.. بل مهمة المسجد أعظم من ذلك.

إنه تفجير لطاقة الأمة واستغلال لها في كافة المجالات والأنشطة.

ولذلك يقول جولد تسيهر أحد المستشرقين: ما زال المسلمون في قوة ما دام معهم القرآن والمسجد.

والرسول ﷺ يخبرنا بفعله عن مهمة المسجد في الإسلام.

فقد بعث ﷺ معلماً.

يقول ﷺ في الصحيحين: «**مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث**». الحديث.

ويقول الله سبحانه: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾.

وهو يدخل المسجد كما في صحيح البخاري فيجد حلقتين: حلقة يدعون الله ويسألون الله ويتضرَّعون إلى الله.

وحلقة أخرى يطلبون العلم ويسألون أسئلة للعلماء.

فقال ﷺ: «**هؤلاء العبَّاد يدعون الله إن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم، وهؤلاء يتعلمون العلم وإنما بعثت معلماً**». ثم جَلَس معهم ﷺ.

إذاً فدعوته ﷺ هي العلم ورسالته تُبنى على العلم، لكن بالإيمان كما قال سبحانه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَـٰنَ﴾. لأن العلم بلا إيمان هو علمنة لا دينية.

فالرسول ﷺ جعل من أول مهمات المسجد هو تعليم الأمة وتثقيفها بدينها ليكون جامعة لأبناء المسلمين في كل زمان ومكان.

وقد مرَّ معنا كثيراً عدة أحاديث تبيّن أن الرسول ﷺ قد اتخذ من المسجد مكاناً للإجابة والرد على استفسارات المسلمين المختلفة، وفي ذلك أحاديث مختلفة منها حديث ضمام بن ثعلبة لما جاء يسأل عن الإسلام، فهو لم يتجه إلاَّ إلى المسجد لأنه يعلم أن الرسول ﷺ لن يكون إلا في المسجد يُعلم أتباعه دينهم.

فدخل عليه المسجد وهو مشرك وسأله عما يريد.

وهكذا غيره.

وجعل الرسول ﷺ المسجد المنتدى الرحب لاستقبال الوفود ورسل الملوك وممثلي القبائل، لأنه المكان المناسب لتبادل الرأي وللشورى وللحكمة وللأخذ وللعطاء.

بل إن أكثر الوفود لم تفد عليه ﷺ إلا وهو في مسجده ﷺ.

وفد عبدالقيس جاؤوه وهو جالس بعد صلاة العصر فعلَّمهم دينهم وأمرهم ونهاهم كما عند البخاري ومسلم.

وجعل ﷺ من المسجد روضة من الأجر والثواب.

يقول ﷺ في الصحيح: «**من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له نزلًا في الجنة كلما غدا أو راح**»(1).

---

(1) متفق عليه.

وقال ﷺ في الصحيح : «**ما جلس عبد ينتظر الصلاة إلا كان في صلاة تقول له الملائكة: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، ما لم يُحْدِث**»[1].

ويقول ﷺ كما في صحيح مسلم من حديث جابر: «**أرأيتم لو أن بباب أحدكم نهراً يغتسل منه كل يوم خمس مرات أيبقى من درنه شيء؟**».

قالوا: لا يا رسول ﷺ.

قال: «**كذلك الصلوات الخمس يمحو الله بها الخطايا والذنوب**».

ويقول ﷺ في الصحيح: «**ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا والذنوب؟**».

قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: «**إسباغ الوضوء على المكاره، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، وكثرة الخُطا إلى المساجد، فذالكم الرباط، فذالكم الرباط**».

قال الحسن البصري: أيها المؤمن لن تعدم من المسجد إحدىٰ خمس فوائد:

أولها: مغفرة من الله تكفر ما سلف من الخطيئة.

وثانيها: اكتساب رجل تحبه في الله.

وثالثها: أن تعرف جيرانك فتتفقد مريضهم وفقيرهم.

ورابعها: أن يكف سمعك وبصرك عن الحرام.

وخامسها: أن تسمع آية تهديك. ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾.

---

(١) متفق عليه.

كان المسجد في عهده ﷺ منبراً للخطابة وإحياء الكلمة المؤثرة.

وكان أفصح من تكلَّم بالضاد محمد ﷺ.

وكانت البلاغة من معجزاته ﷺ، بالرغم من أنه رجل عاش بين جبال مكة لا قرأ ولا كتب ولا تتلمذ ولا دخل كتاتيب ولا تعلم على شيخ ولا في جامعة ولا في مدرسة.

ثم يخرج للتاريخ وللعالم وللدهر بعد أربعين فيتكلم بأفصح عبارة. أليس هذا هو العجب العجاب؟

وفي حديث عمرو بن العاص قال ﷺ: «**أعطيت فواتح الكلم وخواتمه**»(١).

ومن مهمَّة المسجد في عهده ﷺ أنه نادٍ أدبي يؤمُّه روَّاد الشعر وأبطال القافية.

كان ﷺ يُقَرِّب المنبر لحسان ويقول: «**اهجهم وروح القدس يؤيدك**»(٢).

وكان ﷺ يقول له: «**كيف أنت وكفار قريش؟**».

قال: إن معي يا رسول الله لساناً لو وضعته على حجر لفلقه، ولو وضعته على شعر لحلقه.

ثم ينطلق بالقافية.

وعند البخاري أن عمر رضي الله عنه مرَّ بحسان وهو ينشد في المسجد فلحظ إليه.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) متفق عليه.

فغضب حسان وقال: والله لقد كنت أنشد فيه وفيه من هو خير منك ـ يعني رسول الله ﷺ.

قال أبو هريرة: نعم.

ومن مهمّة المسجد أن يكون مكاناً لتربية القادة العسكريين وللأبطال المنازلين، ولشباب الإسلام الفاتحين.

وكان ﷺ يعقد الرايات على المنبر، وكان يُعلن الحرب من على المنبر، ولبس الخوذة يوم الجمعة على المنبر.

وأخبر أن أبا سفيان قد هدَّد المدينة وأعلن الحرب عليه من على المنبر.

• حقوق المسجد:

والرسول ﷺ جعل للمسجد حقوقاً على المسلم.

أولًا: تنظيفه وتطييبه.

لأن الأمة المنظمة والأمة النظيفة والأمة المهتدية هي الأمة الإسلامية.

عند أحمد وأبي داود والترمذي بسند حسن: «**أن الرسول ﷺ أمر بالمساجد أن تُبنى في الدور وأن تُنَظَّف وتُطَيَّبَ**». والدور هي الحارات.

وكان في مسجده ﷺ رجل اسمه: (نعيم المُجَمِّرْ)، لأنه يُجَمِّر المسجد كل جمعة بالأطياب والروائح الزكية فتفوح فتنتشي النفوس، وترتاح لبيت الله عز وجل.

رأى ﷺ بُصاقاً في جدار مسجده مرة فغضب غضباً شديداً وحكَّ البصاق، وقال: «**البُصاق في المسجد خطيئة وكفَّارتها دفنها**». رواه البخاري.

ودعا ﷺ بخَلوق وطَيَّب بيده الشريفة مسجده.

ثانياً: أمر ﷺ أن تجتنب الحائض والجُنُب ومن في حكمهما المسجد. يقول علي بن أبي طالب عنه ﷺ أنه قال: «**إني لا أُحِلُّ المسجد لحائض ولا جُنب**»[1].

بل حتى مصلى العيد لا تدخله الحائض ولا الجنب، إلا عابري سبيل، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾. أما الحائض فلا تقترب لأن هذا مكان القداسة والسمو والخلود والطهارة.

ثالثاً: منع ﷺ من رفع الصوت وإزعاج المصلين.

ومنع ﷺ من التشويش على القُرَّاء داخل المساجد، أو المصلين، أو المسبحين أو المتهجِّدين.

كان عمر رضي الله عنه وأرضاه جالساً في المسجد فأتىٰ رجلان من أهل الطائف فترافعا الصوت في المسجد.

فقال: عليَّ بهما.

فأُتيَ بهما.

قالَ: من أين أنتما؟

قالا: من أهل الطائف.

قال: والذي نفسي بيده لو كنتما من أهل المدينة، لأوجعتكما ضرباً. لأنهما لا يعلمان حكم ذلك.

رابعاً: تحريم البيع والشراء في المسجد لأنه إنما وضع للتسبيح والالتقاء بالله.

ولأنه يكفينا بقية الساعات الأربع والعشرين نقضيها في البيع

---

(١) رواه أبو داود وضعّفه الألباني في الإرواء (١٢٤).

والشراء، والمكاتب، والقصور، والدنيا، والحديث، والتراب، ثم تبقى لنا هذه الدقائق خالصة لنلتقي فيها بالله رب العالمين.

يقول ﷺ فيما رواه النسائي والترمذي: «**من سمعتموه يبيع ويشتري في المسجد فقولوا: لا أربح الله تجارتك**».

وهذه سنة وحملها أهل العلم على التحريم.

فإنَّ من باع واشترى في المسجد فقد ارتكب أمراً محرَّماً لأنه خدَش قداسة الشريعة وانتهك حُرمتها وصيانتها.

خامساً: تحريم نُشدان الضالة فيه، فعند مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «**من سمِعتموه ينشد ضالة في المسجد فقولوا: لا ردَّها الله عليك، فإن المساجد لم تُبْنَ لهذا**». ويلحق بهذا من يستوصف الناس أوصافاً أو يتكلم في أمور خارجية.

وألحق بعض العلماء الفضلاء بذلك من يدعو الناس للولائم داخل المسجد!

سادساً: ونهى ﷺ عن إقامة الحدود في المسجد لما روى أحمد وأبو داود بسند فيه نظر: «**أن الرسول ﷺ نهىٰ أن تُقام الحدود في المسجد أو يُستقاد فيه**». فلا يُجْلد الزاني في المسجد، ولا يُرجم المحصن الزاني في المسجد، ولا يجلد شارب الخمر في المسجد، إلى غير ذلك. بل خارج المسجد.

لأنَّ هذا تأديب وتعزير وتطهير للعصاة، والتطهير إنما يكون خارج المسجد كما قال بعض الفضلاء من الأجلاَّء.

سابعاً: عدم المباهاة بالزخرفة في بناء المسجد.

لأن عمارتها بأن تحيا بالعلم والصلاة والخشوع والخضوع.

وقد أخبر ﷺ أن من علامات الساعة، أن يتباهى الناس بعمارة

المساجد ثم لا يعمرونها إلا قليلاً، وهذا أمر قد ظهر للناس كما قال الشاعر:

وجـــلـــجـــلـــة الأذان بـــكـــل حـــي
ولـــكـــن أيـــن صـــوت مـــن بـــلال
مـــنـــائـــركـــم عـــلـــت فـــي كـــل ســـاحٍ
ومـــســـجـــدكـــم مـــن الـــعـــبـــاد خـــالِ

ثامناً: سنَّ ﷺ للداخل إلى المسجد تحية المسجد نافلةً يتقدَّم بها بين يدي ربه سبحانه وتعالى، وهي ركعتان لقوله ﷺ في حديث أبي قتادة في الصحيحين: «**إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين**».

وقد أوجبها بعض أهل العلم والصحيح أنها سُنَّة.

وأقام ﷺ رجلاً يوم الجمعة وهو يخطب لأنه جلس ولم يصلِّ فقال: «**أصليت؟**».

قال: لا.

قال: «**قم فصلِّ ركعتين وأوجز**». رواه مسلم.

- **لطائف عن المسجد:**

من اللطائف أن الرسول ﷺ كان يربط الأسير في المسجد، وهذا عند المحدثين يدل على جواز ربط الأسير ولو كان كافراً في المسجد.

جواز إدخال الكافر للتعليم بأن يسمع كلام الله في المسجد.

واستدلّوا على ذلك بحديث أبي هريرة في الصحيحين أن ثمامة بن أثال وهو سيد بني حنيفة قبض عليه صحابة رسول الله ﷺ فقادوه إلى المصطفى فربطه في المسجد.

وكان ﷺ يمر عليه مدة ثلاثة أيام ويقول له: أسلم يا ثمامة فيقول: يا محمد! إن تقتل تقتل ذا دم، وإن تُنعم تُنعم على شاكر.

أي أنك إن قتلتني فإن من ورائي قوماً سينتقمون لي، وأما إن عفوت عني فإني سوف أشكرك ولن أنساها لك أبد الدهر.

ففك ﷺ قيده بعد ثلاثة أيام.

فذهب ثمامة واغتسل وعاد فأسلم لأنه كان قد سمع آيات القرآن تُتلى أمام سمعه ورأى الصحابة وتنافسهم على الطاعات في المسجد.

فتأثر بذلك كله فأسلم.

إذاً.. لا مانع من إدخال المشرك المسجد إذا كان يُرجىٰ إسلامه بعد سماعه الآيات أو تأثره بالمنظر كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾.

ومن اللطائف: أن أهل العلم استدلُّوا بالحديث الصحيح[1] الذي كان فيه أن الرسول ﷺ مَرَّض سعد بن معاذ في المسجد، وجعل له مكاناً خاصاً فيه ليزوره من قريب، استدلُّوا بهذا على جواز إدخال المريض المسجد وعيادته فيه، وسعد بن معاذ كان قد جُرِح في إحدىٰ الغزوات وهو من أبطال الخزرج من الأنصار وأحد قوادهم الكبار، واهتز لموته عرش الرحمن كما في الحديث الصحيح[2].

ولذا قال حسان رضي الله عنه:

وما اهتز عرش الله من موت هالك

سمعنا به إلا لسعدِ أبي عمرو

ومن اللطائف: أنه ﷺ سمح للحبشة أن يلعبوا بحرابهم وينشدوا

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

داخل المسجد لأنه يريد أن يتألّفهم حسب ما روي. فكانوا ينشدون ويقولون:

محـــمـــد عـــبـــد صـــالـــح محـــمـــد عـــبـــد صـــالـــح

أما عمر فإنه حَصَبَهم بالحَصى!!

فنهاه الرسول ﷺ وقال: «**دعهم يا عمر حتى يعلم اليهود أن في ديننا فُسحة**». رواه البخاري.

ولكن هذا لا يتخذ سنة بأن يُنشد ويُلعب بالحراب في المسجد في كل آن وحين.

لا.. بل هذا يجعل في موضعه الذي ثبت فيه، وهو أيام الفرح أو في حال تأليف قلب طائفة ونحو هذا مما يقره أهل العلم.

أما المحذورات والمنهيات التي ينبغي أن لا تحدث في المسجد فقد مرَّ شيء منها.

لكن أعظمها وأكبرها هو أن لا يُتخذ المسجد مكاناً لدفن الأموات من الصالحين أو غيرهم، فإن هذا من الأعمال الوثنية التي حذَّر منها الرسول ﷺ.

وأيضاً لا يجوز عكس هذا، وهو أن يتخذ القبر أو القبور مسجداً أو مساجد.

وهذا من المحدثات التي انتشرت في عالم المسلمين يوم تركوا التوحيد الخالص، النقي الذي جاء به ﷺ، وآثروا تعظيم هؤلاء الأموات الذين لا يملكون نفعاً ولا ضرّاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً.

فتركوا توحيد ربهم وخدشوه بهذه الشركيات والمظاهر الوثنية التي يلزم المسلمين وشباب الالتزام على وجه الخصوص تطهير بلادهم منها بواسطة نشر التوحيد الخالص في أوساط الناس وتثقيفهم وتدريسهم

العقيدة السلفية الواضحة التي تحارب هذه المظاهر، كالعقيدة الواسطية لابن تيمية، وكتاب (التوحيد) للشيخ محمد بن عبدالوهاب، وكتاب (تحذير الساجد من بدعة اتخاذ القبور مساجد) للشيخ ناصر الدين الألباني حفظه الله.

أخيراً أقول:

أيــهــا الــمــســجــد يــا مــأوى الــحــنــيــن
فــيــك يــا مــســجــد فــجــر الــمــؤمــنــيــن
فــيــك أطــيــاف الــهــدى قــد ســبــحــت
وســرى فــي قــلــبــك الــحــب الــدفــيــن
وبــــلال الــــشــــوق نــــادى ســــحــــراً
ادخــــلــــوهــــا بــــســــلام آمــــنــــيــــن

والله أعلم، وصلّى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلّم.

كن سعيداً

الحمد لله الذي كان بعباده سميعاً بصيراً، وتبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً.

والصلاة والسلام على من بَعثه ربه هادياً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.

عباد الله، نحن أهل الإسلام في أعيادنا لنا معانٍ وأسرار، ولنا معالم واضحات ومقاصد بينات.

أولها: أن من معاني العيد عندنا: العودة إلى الله عز وجل، فالذي لا يعود إلى الله بقلبه وبأعماله وبجوارحه وبسلوكه ومشاعره فكأنه لا عيد له.

فلماذا لا يستشعر الإنسان المطرود عن الله عز وجل، أو الشارد عنه، أو المتفلِّت من أوامره سبحانه وتعالى، أو المنقطع من حبله تبارك وتعالى.. كيف لا يستشعر حلاوة العيد؟

ونحن أهل الإسلام نُكثر من التكبير أيام العيد لأن لا كبير إلا الله.. وربما استشعر بعض الناس في المناسبات وفي الاجتماعات وفي الحفلات أن لهم قيمة ووزناً.. ونحن نُشعرهم بدويّ التكبير أن لا كبير إلا الله.. « **فالله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله**

بكرة وأصيلًا».. والله أكبر كلما غرّد حمام وناح.. وكلما شدا طير وصاح.. وكلما تضوّع مسك وفاح.

والله أكبر كبيراً كلما وُسِّد الأموات التراب.. وكلما استغفر مذنب وتاب.. وكلما طلع نجم وغاب.

ونقول نحن أهل الإسلام في أيام العيد: لا إله إلا الله، لنُشعر الناس والكائنات أن لا إله بحق إلا الله.. فلا إله إلا الله ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.. ولا إله إلا الله ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾... ولا إله إلا الله ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾.

عباد الله.. ما هي السعادة يا ترى؟ أهي في إظهار الأفراح وإظهار اللعب واللهو واللغو؟ أم هي لون آخر لم يكتشفه الناس إلى اليوم؟

والسعادة مطلب بحث عنه عقلاء الأمم وصنفوا فيه التصانيف.. وكتبوا فيه الكتب.

فمنهم من قال: السعادة في جمع المال وهي أن تكون رأسمالياً وأن تملك القناطير المقنطرة من الذهب والفضة.

ولكن الله دحض هذه المقولة ورد هذه الفِرية.. وذكر سبحانه وتعالى أن قارون كان رأسمالياً طاغية كبيراً، وكانت هلكته وشقاؤه وتعاسته بسبب ماله ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾﴾.

وبعض الناس يظن أن السعادة بحصول المنصب.. وهو أن يترقى في السلم الدنيوي وأن يحصل على هيئة وعلى شهرة وظهور

اجتماعي رهيب يحصل به على المراتب فيكون ذا منصب.. فإذا حصل على المنصب ظن أن هذا هو المقصد وأن هذه هي السعادة.

ولكن الله كذب هذه المقولة أيضاً.. وردّها سبحانه وتعالى وذكر أن فرعون كان أعظم من تولّى منصباً دنيوياً في الحياة الدنيا حيث قال: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ﴾، فكانت تعاسته وهلاكه ولعنته بسبب هذا المنصب.. ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾.

ويظن بعض الناس أن السعادة في أن يحصل على الأولاد وأن يتمتّع بوافر كبير وبعدد ضخم من البنين.

ولكن الله ذكر أن هذه أيضاً ليست بالسعادة وذكر أن بعض الأشقياء من كفار مكة رُزق عشرةً من البنين لكنه ازداد طغياناً وكبراً وبطراً فقال تعالى فيه: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾﴾.

إذا.. فما هي السعادة؟ وما هي الحياة الطيبة؟ وما هي الأمنة والسكينة والاستقرار؟ وما هو المقصود من هذه الأيام التي نقضيها في الحياة الدنيا ولنصل إلى الله بها؟

لقد كتب كُتاب كثر في هذا الموضوع.. منهم كاتب إنجليزي في كتابه (كيف تعيش سعيداً)، والعجيب أن هذا الكاتب انتحر في آخر عمره!!

لأنه أراد أن يدل الناس على السعادة فما وجدها.. لأن الله يحرم السعادة كل من لا يهتدي إليه ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾.

وأتى الكاتب الأمريكي (كارنيجي) في كتاب (دع القلق وابدأ الحياة)، فأسس أسساً وسَنّ قواعد للسعادة بزعمه.. فهو يقول: ينبغي أن يسير من يريد السعادة على هذه الأسس. والعجيب أنه أيضاً قتل نفسه بسكين في حمام!! وما اهتدى لأنه كصاحبه الأول.

السعادة يا أحباب أخبر بها من أنزلها سبحانه وتعالى وهي تحصل بأسباب.. يقول جل ذكره: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾.

فالحياة الطيبة.. هي السعادة.

ووالله لا سعادة ولا راحة ولا اطمئنان ولا لذة ولا عزة ولا رفعة إلا بالإيمان والعمل الصالح ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾.. ولذلك كانت السعادة عند المسلم هي في انشراح الصدر وإزالة الهموم والغموم والأحزان.. وهي أن يطلق الله قيودك من الهمّ.. ومن اللعنات.. ومن السخط.. ومن الغضب.. وأن يجعل صدرك فسيحاً.

ولذلك فإن أول ما امتنَّ الله عز وجل على رسوله ﷺ أن شرح صدره، فقال له في أول النِّعم: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾﴾.

فهو يقول له: أما شرحنا لك صدرك بلا إله إلا الله.. أما وسّعنا لك قلبك بلا إله إلا الله.. أما جعلنا ضميرك فياضاً بلا إله إلا الله؟!!

فأيّ نعيم تطلب بعد شرح الصدر؟

ولذلك يقول موسى أستاذ التوحيد وهو يصارع الطاغية الغشوم الظلوم فرعون عليه لعنة الله: ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى﴾، فهو أول مطلب أطلبك إياه يا رب أن تشرح هذا الصدر ليرى سبيلك ونورك وهدايتك.

فشرح الله صدره.. ثم قال له بعد آيات ﴿فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ﴾، أي أذهبنا همّك وغمك وحزنك.

ولذلك يمتن الله على الأنبياء بأنه يُذهب عنهم الهموم والغموم والأحزان.. فقال في يونس بن متّى بعد أن رسب في امتحان الابتلاء ولكن نجّحه الله بالتوبة قال: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. فنجاه الله من الغم.

إذن! ما هي أسباب السعادة أيها المسلمون؟.. وما هي المطالب التي تحصل لنا بها السعادة؟

إنها تقارب عشرين سبباً وأنا أذكر أهمها لكم لعلنا أن نحققها سوياً لنحوز على تلكم السعادة المنشودة.

أولها: الإيمان والعمل الصالح، فإن الله أخذ على نفسه عهداً وميثاقاً أن من آمن وعمل صالحاً أن يحييه حياة طيبة في الدنيا والآخرة، ولذلك مهما وقع للمؤمن من أزمات وحوادث وفتن ومشاكل فإن الله يُنجيه.. يقول عليه الصلاة والسلام: «**عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذلك إلا للمؤمن، إن أصابته سرّاء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له، وليس ذلك إلا للمؤمن**»(١).

الثاني: الإحسان إلى عباد الله عز وجل، فأنت كلما أحسنت بمالك أو بجاهك أو بخلقك أو بشفاعتك إلى عباد الله شرح الله صدرك وأزال همومك وغمومك وأحزانك جزاءً وفاقاً.. ولذلك جعل رسول الله ﷺ من الصدقات الكلمة الطيبة وقال: «**وتبسُّمك في وجه أخيك صدقة**»(٢).

---

(١) رواه مسلم.

(٢) صحيح الترمذي (١٥٩٤).

فمن أعظم الأسباب المؤدية إلى شرح الصدر والسعادة إذن أن تحسن إلى عباد الله، فالناس عيال الله جميعاً وأحب الناس إلى الله أنفعهم إلى عياله تبارك وتعالى. فكلما أحسنت إلى الخليقة بأي إحسان كان، أمدّك الله بعون منه وسدّدك وهداك وشرح صدرك.

الثالث: ذِكر الله تبارك وتعالى واللجوء إليه وكثرة الدعاء.. قال سبحانه وتعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾.. تطمئن من بأسها ومن وسواسها ومن خورها ومن جشعها وهلعها وجزعها وجبنها.

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾، ويقول للمؤمنين وهم يلاقون صف الأعداء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾، ويقول جل ذكره: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾، ويقول: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾.

فذكر الله أعظم ما يزيل الله به الهموم والغموم، فأرشدكم إلى هذا السبب العظيم وهو اللهج بذكره سبحانه وتعالى. ولذلك استوصى بعض الصحابة إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام أن يدله على عمل فاضل فقال: «**لا يزال لسانك رطباً بذكر الله**»(١)، فالله الله في ذكره.

إذا مرضنا تداوينا بذكركم ونترك الذكر أحياناً فننتكس

ولذلك كان ابن تيمية يقول: والله إنها لتعجم عليَّ المسألة فأستغفر ألف مرة أو أكثر أو أقل فيفتحها الله لي أو يسهِّلها الله لي.

وذكر عن نفسه لما سُئل وقيل له: لا نرىٰ شفتيك تفتر عن

(١) صحيح الترمذي (٢٦٨٧).

ذكر الله.. فقال: أنا قلبي كالسمكة إذا خرجت من الماء ماتت! وقلبي إذا ترك الذكر مات.

ولذلك يقول ﷺ في الحديث الصحيح: «**مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره كمثل الحي والميت**»[1].

الرابع: أن تتخلص من الأفكار الرديئة الماضية فلا تتفكر في المآسي التي مرّت بك والغموم والأحزان التي انتهت وأدبرت، لأن هذا من الحمق والجنون، وهو من نقصان العقل وقلة التدبير، بل تستغفر الله عز وجل من الذنب ولا تضيّع زمانك بالاشتغال بذلك.

فإنك بهذا تُضيع زمانك الذي أنت فيه أيضاً، فيضيع عليك الزمانان!

قال الشاعر:

ما مضى فات والمؤمّل غيب ولك الساعة التي أنت فيها

الخامس: ألا تشتغل كذلك بالمستقبل اشتغالاً يلهيك عن الحاضر.. فإن بعض الناس يستعجل هموم أيامه المقبلة.. زواجه.. تخرجه.. بناؤه.. وظيفته.. معيشته.. وهو لا يدري أيعيش أم يهلك؟

فيومك يومك فحسب، يقول عليه الصلاة والسلام: «**إذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح**».

السادس: ألا تجعل قلبك مخزناً للحوادث والمشاكل العائلية والاجتماعية، لأنك كلما اشتغلت بها كلما انهارت أعصابك وأُصبت بمرض نفساني وأصبت بهمٍّ وغمٍّ لا يكشفه إلا الله.

---

(١) متفق عليه.

فعليك أن تعلم أن حياتك أغلى من الذهب والفضة، فلا تنفق ساعاتك إلا فيما يقربك إلى الله.

السابع: ألا تستسلم للفراغ، فإن من عاش للفراغ أصيب بهمٍّ وغمٍّ وحوادث ووساوس وخواطر وواردات تفنيه وتتلف جسمه.. ولذلك فاحرص على العمل والنشاط وملء الفراغ بالمفيد من الذكر والعبادة وقراءة الكتب النافعة ونحو ذلك مما يصرفك عن الفراغ القاتل.

الثامن: أن تدعو كل صباح ومساء أن يذهب الله غمّك وهمك وحزنك وجزعك وأن يكون معك.

التاسع: أن تعدد نعم الله عليك سبحانه وتعالى.. فكم لله عندك من نعمة؟ وكم لله من يد عندك؟ ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾... فقد أمدّك بفؤادك وببصرك وبسمعك وبأعضائك.. فعدّد هذه وتفكر في الناس.. فأنت صحيح وغيرك ينام على الأسرّة البيضاء.. أنت معافى وغيرك مبتلىٰ.. أنت تعيش الهواء الطلق والماء البارد وغيرك في السجون والزنازين.. وأنت تتمتع بشيء من المال وغيرك لا يجد كسرة خبز.. وأنت تتمتع بعقلك وغيرك أذهب الله عقله.. وأنت في الإسلام وغيرك كتب الله عليه الشقاء في الدنيا وفي الآخرة.. وأنت تحب الصالحين وتتمنى أن تكون منهم وغيرك يحب الأشقياء ويتمنى أن يكون منهم..

فعدّد هذه النعم الكثيرة لتشعر بالسعادة. أسأل الله لي ولكم سعادة ظاهرة وباطنة.. وحياة طيبة عامة وخاصة، إنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلَّم.

يوم الاثنين وما يوم الاثنين

الحمد لله الذي كان بعباده خبيراً بصيراً، وتبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بعثه ربه هادياً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كبيراً.

لا تسألنْ بُنَيّ آدم حاجة
وسل الذي أبوابه لا تغلق

فالله يغضب إن تركت سؤاله
وبُني آدم حين يُسأل يغضب

نعم! خرجنا لصلاة الاستسقاء.. ودعونا الله أن يغيثنا. ولكن لم ينزل الغيث، لأننا نسينا يوم خرجنا إلى المصلى أننا خرجنا عصاة.. ولم نتب توبة نصوحاً إلى الله الواحد الأحد.

ونسينا أنّا خرجنا ووراءنا مصارفُ ربوية وآلات لهو.. وأماكن معصية.

فكلما أراد الغيث أن ينزل قالوا له: لا، لا تنزل.

وخلَّفنا وراء ظهورنا كذلك.. قطيعة الرحم.. وعقوق الوالدين.. والتخلف عن الصلوات.. وسماع الأغنيات ومشاهدة الأفلام الماجنات.. والمجلات الخليعات.

فأين الخوف من رب الأرض والسموات؟

نوح عليه السلام يخاطب قومه فيقول: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾﴾.

فهو يطالبهم بالاستغفار والتوبة لينزل المطر، لأنها من شروط نزوله.

وأما نحن فقد:

لبسنا واشياً من كل حلي
فما سترت ملابسنا الخطايا
وجمّلنا القصور مزخرَفات
وتلك قبورنا صارت بلايا
متى يهديك قلبك وهو غافل
إذا حسناته صارت خطايا

فلما خرجنا صلينا بقلوب لاغية لاهية إلا من رحم ربك.

نعم وجد في المصلى أولياء لله، وربما هؤلاء الأولياء والذين يعدون على الأصابع والذين يُحافظون على الصلوات الخمس ويقومون الليل ويتصدقون ولا يعرفون الربا والزنا والغناء.. ربما كان دعاؤهم سبباً لنزول القطر.

لكن الكثرة ونحن منهم قد حجبت ذنوبنا قطر السماء عنّا.

خرج سليمان عليه السلام يستسقي بقومه، فعرضت له نملة في الطريق وإذا بها قد رفعت قوائمها تدعو الواحد الأحد.

سبحان الله! حتى النملة تجيد صلاة الاستسقاء وتعرف الدعاء وتجيد فن الدعاء؟

فقال سليمان لقومه: ارجعوا فقد أغاثكم الله أو كفاكم الله بدعاء هذه النملة، فعادوا، وقبل أن يصلوا إلى المصلّى، نزل الغيث بإذن الواحد الأحد.

وفي حديث عند أبي يعلى في سنده نظر يُروى عنه ﷺ أنه قال: **«يقول رب العزة: وعزتي وجلالي لولا شيوخ ركّع، وأطفال رضّع، وبهائم رتّع، لخسفت بكم الأرض خسفاً»**(١).

ففينا ولله الحمد شيوخ شابت رؤوسهم في المحاريب ومع المصاحف والذكر.. وفينا أطفال رُضَّع لا ذنب لهم ولا خطيئة ولا مخالفة ولا سيئة.. وفينا بهائم رتّع رحمها الله لا بطاعاتنا لكن برحمته لها سبحانه وتعالى.

عطاء الله يغدو ويروح.. وبابه مفتوح.. وخيره ممنوح، ولكننا أغلقنا الأبواب بالسيئات.. فكيف يتنزل الغيث؟

خرج موسى عليه السلام ببني إسرائيل يستسقي بهم وكانوا عصاة فجرة.. تمردوا على الله.

فقال الله له: يا موسى عُد ببني إسرائيل لا أنزل عليهم حجارة من السماء.

فعاد بهم وأخذ يطالبهم بالاستغفار مثلما طالب نوح عليه السلام قومه بالاستغفار.

يا خالق الخلق ما لي من ألوذ به
سواك عند حدوث الحادث العمم

(١) رواه البيهقي (٣/٣٤٥).

إن لـم تـكـن فـي مـعـادي آخـذاً بـيـدي

عـفـواً وإلا فـقـل: يـا زلّـة الـقـدم

إن لم يكرمنا ربّنا بمغفرته هلكنا.. وإن لم يستر خطايانا برحمته ضعنا.. وعذبنا وفشلنا في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

ثم نحن قد خرجنا للاستسقاء وشكر الله لم يتمكن من قلوبنا.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ فما شكرنا الله كما ينبغي.. ونحن أمة آمنة مطمئنة في مُدنها وقُراها وشعبها، يأتيها غذاء الله وفواكه الأرض وخضروات الأرض ومنتجات الأرض ثم بعد ذلك لا نشكر كل هذا، بل نعطل الصلوات وننشغل بالملهيات.

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾.

وقال تعالى عن نوح وخطابه لقومه: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾﴾، فإذا استغفرتموه وتبتم إليه ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾﴾. ما أحسن الكلام! وأجل النظام! وما أعظم الانسجام! يوم ينزل الغمام من الواحد العلاّم ليغيث به الله الأنام، ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾﴾ يا هلكى إن لم يرحمكم الله.. يا ضعفاء إن لم ينصركم الله.. يا أموات إن لم يحيكم الله.. فهو الخسار لكم.

﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾ وقد أمدّنا والحمد له.. لكن البركة ليست في كثرة الأموال ولا في كثرة الأولاد.. البركة في الصلاح.. وأنا أتعجب لرجل يملك ملياراً أو مليارين أو ثلاثة أو أكثر كلها ربا!

أتعجب لإنسان عنده عشرون من الأبناء وهم خاسرون فاسدون بعيدون عن الله.

أتعجب لإنسان عنده في كل مدينة عشرة قصور لكن ما عرف الله.

﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ البساتين الغناء.. والرياض الفيحاء.. الحدائق.. المزارع كلها تحصل مع التوبة والاستغفار.

﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾، ما لكم لا تستحون من الله.. لأن الاستسقاء معناه أن تخرج وأنت مستح من الله وأن تخرج تائباً مستغفراً. وأما نحن فنخرج في جماعات كأننا في زيارات عادية.. والضحك يرتفع في المصلى!

خرج ﷺ إلى صلاة الاستسقاء حاسراً متبذلاً خائفاً وجلاً تائباً مستغفراً.. فما زال يدعو ويتضرع إلى الحي القيوم إلى أن أنزل الله الغيث.

فكيف يأتي القطر من السماء مع قلة الشكر وكثرة المعاصي وعدم التناصح؟

في الصحيحين عند البخاري ومسلم أنه أصاب المدينة يوم شديد الحر.. الشمس محرقة بلهبها وأشعتها.. السماء صافية لا غيم فيها ولا سحاب ولا قزع.. الناس في قحط لا يعلمه إلا الله.. ماتت الأزهار وذبلت الأشجار وجفّت الأنهار.. وتعلقت القلوب بالواحد الغفار.

المواشي أشرفت على الهلاك.. والمدينة ترسل الرياح عليها كالرماد يعلوها.

وقف عليه الصلاة والسلام يتحدث في موضوع من موضوعات الإيمان إلى أصحابه ولم يتكلم في الاستسقاء.

وفجأة: وهو في منتصف الخطبة يدخل عليه أعرابي فيقول: (يا رسول الله ادع الله أن يغيثنا.. يا رسول الله ادع الله أن يغيثنا.. يا رسول الله ادع الله أن يغيثنا).

فقطع ﷺ خطبته ورفع يديه والناس ينظرون إليه.. والسماء صافية.. لا سحاب ولا غمام، ولكنه دعا القريب ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾، فأخذ يقول: «**اللهم أغثنا.. اللهم أغثنا**».

فقال أنس: والله ما في السماء من سحاب ولا قزع، فأتت سحابة كالتّرس فأظلت المدينة وأخذت تنتشر يميناً ويساراً.. شرقاً وغرباً.. شمالاً وجنوباً.. حتى غطّت السماء ثم أرعدت وأبرقت وأمطرت.. حتى تحدر الماء.

فقال ﷺ وهو يبتسم: «**أشهد أني رسول الله**».

واستمر هذا الغيث والمطر أسبوعاً كاملاً لا يرون فيه الشمس.

فتأتي الخطبة في الأسبوع الثاني ويقف ﷺ مكانه يخطب فيأتي الأعرابي مرة ثانية فيقول: يا رسول الله.. هلك المال وجاع العيال وتقطعت السبل، فادع الله أن يرفع الغيث عنّا، فتبسّم ﷺ وقال: «**اللهم حوالينا ولا علينا.. اللهم على الظراب وبطون الأودية ومنابت الشجر**».

قال أنس: والله ما أشار بيده إلى جهة إلا اتجه الغيث إليها[1] ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾﴾، فيخرجون من المسجد والمدينة كالثوب الصافي من أشعة الشمس.

وفي الحديث أمور:

أولها: إخلاص الداعي وهو رسول الله ﷺ.

ثانيها: من أمّن معه هم صفوة الناس الذين عاشوا بالقرآن.. وأخلصوا لله.. وصدقوا مع الله.

---

(١) متفق عليه.

ثالثها: رحمة أرحم الراحمين.. يوم نظر إلى الأعرابي الذي لا يغيثه ولا يسعفه إلا الحي القيوم.. وليس له ركن إلا الله.

فيا أيها المسلمون.. الزموا التوبة والاستغفار لتروا بعدها الغيث والأمطار.

والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلَّم.

تحية للمصطافين

الحمد لله الذي كان بعباده خبيراً بصيراً، وتبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله بعثه الله هادياً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.

أما بعد:

أيها الناس، لقد أقبل الناس هذه الأيام زرافات ووحداناً يصطافون قد فرّوا من حرارة الجو.. وفروا من وهج الشمس يريدون الظل الوارف والماء البارد.

وهذا فيه عبرة للمعتبرين وعظة للمتَّعظين، أن الإنسان لا يتحمل أكثر من ذلك حراً ولا شمساً ولا ضِيقاً.

فيا من فرّ من حرارة شمس الدنيا أما تذكّرت جهنم؟

ويا مَن فرّ من وهج الشمس أما تذكرت جهنم؟ ويا من ضاقت به مدينته أما تذكرت ضيق جهنم؟

تفر من الهجير وتتقيه ... فهلاّ من جهنم قد فررتَ
ولن تطيق أهونها عذاباً ... ولو كنت الحديد بها لذبتَ
ولم يظلمك في عمل ولكن ... عَسير أن تقوم بما أمرتَ

ولو قد جئت يوم الحشر فرداً وناقشك الحساب إذاً هلكت

فيا من أتى إلى الظل هنا.. إن في الجنة أعظم من هذا الظل.

ويا مَن أتى إلى ماء بارد هنا.. إن في الجنة ماء أبرد من هذا الماء.

في صحيح البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه وأرضاه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في دعوة، فأخذ ذراعاً، وكانت تعجبه ذراع الشَاةِ فنهس منها نهسة ﷺ ثم قال: «**أنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر**».

أتدرون لماذا؟ ثم سكت ﷺ ثم قال: «**يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد**».

أي منذ خلَق الله السموات والأرض إلى أن يرث الله السموات والأرض، يجمع الله الأولين والآخرين: ملوكاً ومملوكين، رؤساء ومرؤوسين، رجالاً ونساء. ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴿٩٣﴾ لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا ﴿٩٥﴾﴾.

قال ﷺ: «**يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر، فيجتمع الناس فتدنو منهم الشمس.**

فيجتمع الناس فيخوضون من الضيق والهم والغم وحرارة الجو وبؤس المنقلب، لا يدرون أين ينقلبون، أإلى جنة أم إلى نار؟

فيتشاورون ويسير بينهم الرأي والكلام فيقول بعضهم لبعض - والله لم يتولَّ بعدُ فصل القضاء بينهم - فيقولون: ألا ترون ما نحن فيه، ألا ترون ما بلغنا من الهم والغم والكرب، اذهبوا بنا إلى من يشفع لنا لعل الله أن يفصل بيننا هذا اليوم» فهم لا يطلبون الآن الجنة ولكنهم يطلبون فصل القضاء.

ولأن الكرب وصل منهم كل موصل «**قالوا: اذهبوا بنا إلى آدم عليه السلام، فيذهبون جميعاً، كالجبال كالغمام كالسحب، فيقفون عند آدم**.

قالوا: يا آدم أنت أبونا خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجَد لك ملائكته، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما بلغنا؟ فاشفع لنا إلى الله.

فيقول آدم: **لا.. إني أكلت أكلة من الشجرة نهاني الله أن آكل منها فأكلت.. نفسي نفسي!**»

ذنب واحد أخرجه من الجنة، ونحن نأتي بآلاف الذنوب نريد أن ندخل الجنة!

تصل الذنوب إلى الذنوب وترتجي سُكن الجنان ونيل عيش خالد
ونسيت أن الله أخرج آدماً من جنة المأوى بذنب واحد

«**قال: لا أستطيع اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى نوح**.

فيأتون نوحاً فيقولون: يا نوح أنت أول رسل الله إلى أهل الأرض وسمّاك الله عبداً شكوراً. ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما بلغنا؟ اشفع لنا إلى الله.

قال نوح عليه السلام: كانت لي دعوة واحدة دعوتها على قومي وليس لي دعوة الآن فقد انتهى دعائي وقد تعجّلت فدعوت على قومي».

وكما صحَّ عنه ﷺ أنه قال: «**لكل نبي دعوة مستجابة، فأما أنا فادّخرت دعوتي لأمتي يوم القيامة**».. ﷺ ورفع الله منزلته.. وعظّم مثوبته جزاء ما ادّخر من الدعوة لنا.

«**فقال نوح: نفسي.. نفسي.. نفسي، اذهبوا إلى إبراهيم عليه السلام**.

فيأتون إلى إبراهيم ويقولون: يا إبراهيم أنت خليل الله أرسلك الله وأثنى الله عليك، اشفع لنا إلى الله.

قال: إني كذبت في الحياة ثلاث كذبات. نفسي.. نفسي.. نفسي».

قال أهل العلم: هي معاريضُ وليست بكذبات، ففي مرة قال لقومه: إني سقيم.. ومرّة قال لهم: بل فعله كبيرهم هذا.. ومرة قال عن زوجته سارة: هي أختي.

وقد صدق في الباطن.

«**ثم قال: نفسي.. نفسي.. اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى موسى.**

فيأتون موسى عليه السلام فيقولون: يا موسى أنت كليم الله لم يكلم الله أحداً إلا أنت.. اشفع لنا إلى الله ألا ترى ما نحن فيه؟

فيقول: إني قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها. نفسي.. نفسي.. اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى عيسى.

فيأتون عيسى فيدعون ويلحُّون عليه.

فيقول: نفسي.. نفسي.. نفسي اذهبوا إلى محمد ﷺ.

فيأتون رسول الله ﷺ».. فبشرى لنا بأبي القاسم.. بشرى لنا بالقائد النحرير.

بشرى لنا معشر الإسلام أنّ لنا ... من العزائم ركناً غير منهدم
لما دعا الله داعينا لطاعته ... بأكرم الرسل كنّا أكرم الأمم

«**فيقولون: يا محمد يا رسول الله.. أنت خاتم رسل الله.. أنت صاحب اللواء المعقود والحوض المورود، اشفع لنا إلى الله.**

فيقول: أنا لها».

فيجلس الناس ويتخطّى ﷺ الصفوف بل الملايين حفاة عراة غُرْلاً بُهْماً كما خلقهم الله أول مرة، فإذا استظل بظل العرش ﷺ سجد تحت ظل العرش.

«**قال: فأثني على ربي بثناء لم يُفتح على أحدٍ قبلي، ويحمد الله ويهلل الله ويمدح الله فيقول الله له: ارفع رأسك، وسل تُعطَ واشفع تُشَفَّع.**

فيقول: أمتي يا رب.. أمتي يا رب.. أمتي يا رب.

فيقول الله: أدخل من لا حساب عليهم ولا عذاب من الباب الأول من أبواب الجنة وهم شركاء للناس في بقية الأبواب، فيدخلون».

يقول ﷺ: «**والذي نفسي بيده لما بين المصراعين من أبواب الجنة كما بين بُصرى إلى صنعاء، والذي نفسي بيده ليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام**»[١].

أيها المسلمون... إننا سوف نقف ذلك الموقف وسوف نجد حرارة شمس ذاك الموقف.

فيا من لطف بجسمه، ويا من أشفق على روحه، ألا تشفق على روحك من ذاك الموقف؟ ألا تُشفق على عيالك وأهلك من نار جهنم؟ تخرج بهم من مدينة حارة حرارتها لا تعادل واحداً على الملايين من حرارة جهنم، ولا تُخرج أسرتك من النار إلى الجنة!

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴿٦﴾﴾.

يا طالبي ظلال الدنيا، ظلال الله في الجنة أعظم، ويا خارجين

---

(١) هذا الحديث الطويل هو حديث الشفاعة.. وهو حديث متفق عليه. والشيخ يرويه بالمعنى وبقريب من لفظه.. فليُعلم ذلك.

لطلب النزهة ألا تتنزهون في جنة مهرها الصالحات وثمنها الإيمان؟ جنة لا يبلى فيها الشباب ولا تذهب فيها الثياب، لا يغتم أهلها ولا يحزنون ولا يبولون ولا يتغوطون، قلوبهم على قلب رجل واحد.

فاعمل لدار غداً رضوان خازنها — الجار أحمد والرحمن بانيها
قصورها ذهب والمسك طينتها — والزعفران حشيش نابت فيها

ها هنا مسائل أود لكل مصطاف أن يتأملها.. وهي:

● **أولًا**: أما آن للعقول أن تتأمل وهي تصطاف وتتنزه في آيات الله؟ وأن ترى صنيع الله وأن تنظر إلى خلق الله؟ وأن تتفكر في قدرة الله؟ ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾.

فيا مصطاف.. يا مسلم: أما رأيت الطبيعة بجمالها؟ أما سألت نفسك من خلقها؟ وصوَّرها وأبدعها؟

تأمل في نبات الأرض وانظر — إلى آثار ما صَنَعَ المليك
عيون من لُجين شاخصات — بأحداق هي الذهب السبيك
على كُثب الزبرجد شاهدات — بأن الله ليس له شريك

كلٌّ يسبح بحمد الله! الشجرة تلقنك درساً في التوحيد، والزهرة تتكلم معك في العقيدة، وسفح الجبل والرابية والهضبة والجدول من الماء.

فقفوا متأملين لعلكم أن تزدادوا إيماناً بالله الواحد.

وفي كل شيءٍ له آية — تدل على أنه واحد
فيا عجباً كيف يُعصى الإله — أم كيف يجحده الجاحد

كثير من الناس يمرون على آيات الله وهم عنها معرضون.. يجلسون تحت الشجر ويصعدون الجبال وينزلون على السفوح، ثم لا يتأملون!

همهم الأكبر ترويح هذه النفس وتقليب القلب في مقالب الدنيا.. ونسوا أن هذه الآيات تشير بسبابتها إلى عظمة الواحد الباري.

قالوا للإمام أحمد: ما دليل القدرة؟

قال: بيضة الدجاجة، أما سطحها ففضة بيضاء، وأما بطنها فذهب الإبريز، تفقس فيخرج منها حيوان سميع بصير، ألا تدل على السميع البصير؟

● **ثانياً**: أشكر من أتى إلى هذه البلاد (أي أبها وما حولها)، وآثرها على بلاد الكفر والرجس والنجس والإلحاد.

فهذه بلاد محمد ﷺ.. هذه بلاد الإيمان.. هذه بلاد القداسة.. هذه بلاد الحجاب.. هذه بلاد العفاف.

فشكر الله لمن تعوض بها وفضّلها على بلاد الكفر وآتى ليحفظ إيمانه وزوجته وقريباته وبناته وأطفاله.. يحفظهم من الإلحاد والكفر والفاحشة.

أتى إلى هنا فأصاب كل الإصابة.

وأما قوم غير هؤلاء.. فقد خسروا لعَمر الله يوم ذهبوا هناك، فباعوا أعطياتهم من الله وسلبوا إرادتهم وذهبوا يبيعون دينهم هناك.. ونسوا أن الجمال مع الفاحشة ضار وعار ودمار، وأن الجمال والحسن في بلاد الإسلام.

من بلادي يُطلب الحسن ولا يُطلب الحسن من الغرب الغبي
وبها مهبط وحي الله بل أرسل الله بها خير نبي

لكن لا يفقه هذه العبرة إلا المعتبِرون، ولا يتعظ إلا المتعِظون، أمّا مَنْ طُفئت بصائرهم فإنهم لا يدرون.

فقل للعيون الرُّمد للشمس أعين　　تراها بحق في مغيب ومطلع
وسامح عيوناً أطفأ الله نورها　　بأهوائها لا تستفيق ولا تعي

● **ثالثاً**: أنتم حللتم دعاة آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر، شرفنا وشرفكم أن نكون دعاة ولا يُعفى من الدعوة أحد ما دام مستطيعاً. قال ﷺ: «**بلغوا عني ولو آية**»[1]، ويقول الله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾، ويقول: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾.

فيا أيها المصطاف، أينما حللت وأينما سكنت وأينما نزلتَ.. فأنت عليك عهد من الله أن تكون داعية تُبلغ دين الله وتبلغ دعوة الله.

مُر بالمعروف وانهَ عن المنكر لعلك أن تكون في موكب محمد ﷺ.

● **رابعاً**: أحمد الله إليكم لأن هذه الأعوام الأخيرة شهدت عودة مباركة إلى الله تعالى.. فتبدَّل حال مصايفنا، فأصبحت مشرقة بهذا الجيل الملتزم المبارك الذي حلّ علينا هذه الأيام.. وهذه بشرى بفجر قادم.

يا أمة المجد قومي مزِّقي الحُجبا　　وأشعلي في ليالي دهرك الشهبا
لا تذكرين صلاح الدين صفصفة　　من غير بذل صلاح الدين قد ذهبا
من زمزم قد سقينا الناس قاطبة　　ودينـنا اليوم من أعدائنا شربا

---

(١) رواه البخاري.

لكنْ أبشر هذا الكون أجمعه   أنّا صحونا وسرنا للعلا عجبا

فلك الحمد يا من ردَّ شبابنا إليك، فهم شباب قد عادوا إلى القرآن ولجأوا إلى المساجد، وتشرَّفوا بحمل السنة، وأصبحوا رجال الدعوة، وأصبحوا آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر.

والله أعلم، وصلَّى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلَّم.

معاني وبدع الأعياد

الحمد لله القائل: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٥٧)﴾.

والصلاة والسلام على الرسول النبي الأمي الأمين القائل: «**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد**»، متفق عليه.

أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

أيها الناس، قبل أيام استقبلنا شهر رمضان المبارك وبعد أيام سوف نودعه ونستقبل العيد، ويستقبلنا العيد ونعيش لحظاته.

ونحن معاشر أهل الإسلام لنا عيدان اثنان فحسب.

يوم أن نفطر من صيامنا.

ويوم أن نضحّي نسكنا لله سبحانه وتعالى.

ولا نحتاج إلى غيرهما من الأعياد لأن أيامنا كلها أعياد، ولياليناكلها أفراح، وساعاتنا كلها سرور وحبور.. فليس عندنا عيد ميلاد.. لأن عيد الميلاد أضحوكة يضحك بها الإنسان على نفسه، وسخرية يسخر بها الرشيد على عقله.

كيف يحتفل بميلاده وهو لم يولد بعد في عالم الحياة؟

إن المولود حقيقة هو من ولد لله وعاش لله.. ومات لله.

أما هؤلاء الدجّالون الخرافيون الذين عندهم عيد ميلاد فلم يولدوا بعدُ.. لأن من ولد إنما ولُد لله سبحانه وتعالى، ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَا﴾. إنهم لم يخرجوا من الظلمات ولم يولدوا بعدُ، فكيف يحتفلون بعيد الميلاد؟

وليس عندنا معشر أهل الإسلام عيدٌ للمرأة.. ولا يومٌ للمرأة، لأن عيد المرأة عندنا في كل يوم.. فنحن الذين جعلوا للمرأة أعياداً كل يوم لأننا كرّمناها.. وأهانها غيرنا.. وقدَّمناها وأخَّرها غيرنا.. وحفظناها وضيَّعها غيرنا.. وسترناها كما تستر الشمس بين الماء.. والعين بين الحاجبين.. والدر في الصدف.. وأخرجها غيرنا.. وزعموا أنهم هم الذين كرموها.. وكذبوا.

فنحن أهل عيد المرأة.. ويوم المرأة.. يوم جعلنا ابنها يتقرَّب إلى الله بحبها كلما سمع قوله ﷺ: «**الجنة تحت أقدام الأمهات**»[1].

ونحن الذين جعلنا زوجها يكدُّ ويتعبُ ويكدحُ كلما سمع قوله ﷺ: « **الله الله في النساء، خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي**»[2]، أو كما قال ﷺ.

---

(١) قال الألباني في الضعيفة (٥٩٣): موضوع، ويغني عنه قوله ﷺ لأحد الصحابة: «**فالزمها ـ أي الأم ـ فإن الجنة تحت رجليها**». رواه النسائي (٥٤/٢) وحسّنه الألباني.

(٢) رواه الترمذي، وصحّحه الألباني في المشكاة (٣٢٥٢).

تقول كاتبة ساخرة ماكرة: المرأة المظلومة.

من هي المظلومة يا ظالمة! أهي عندكم يوم أن ظلمتموها وعطّلتم أهميتها في بيتها.. وهتكتم حجابها وسترها.

أم عندنا يوم أن كرمناها ورفعناها وشرّفناها؟!

وليس عندنا معشر أهل الإسلام عيدٌ للشجرة.. لأننا نهتم بالإنسان أكثر مما نهتم بالشجرة! فنحن أهل دين للإنسان ولتربية الإنسان.. لا لتربية الكلاب والشجر!

نربي الشجرة.. ونزرع الشجرة.. ونسقي الشجرة.. ولكننا نقتل الإنسان.. ونجلد الإنسان.. ونسجن الإنسان.. هذا هو منطقكم!!

ففي أي تعاليم هذا؟.. وفي أي كتاب؟ ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾.

وليس عندنا معشر أهل الإسلام عيد للرسول ﷺ.. لأن أهل عيد المولد عندنا خرافيون دجالون سفهاء جهلة، لا علم عندهم ولا عقل ولا دين.. لأنهم أحيوا مولده ﷺ وذبحوا تعاليمه بسكين الدجل والخرافة.

أعيدُ ميلاده ﷺ أن نجتمع ونرقص.. ونحن قد عطلنا تعاليمه في الحياة.. ومنهجه في الواقع.. وسنته في دنيا الناس؟

أعيدُ ميلاده ﷺ أن يتراقص الناس كما تتراقص الحمير، وينشدون، ثم تتساقط عمائمهم كما تتساقط مبادئهم من رؤوسهم؟

ما هذه الخرافات؟

ما هذه الطقوس؟

أحسبت ديني سبحة وعمامة
وقصائداً أطري بها المختارا

كـــلا فـــديـــنـــي دعـــوة أبـــديـــة
قـد أنـبـتـت فـي الـعـالـمـيـن مـنـارا
ركـزتْ بـصـحـراء الـحـنـيـف وأرضـعـت
بـدمـاء مـن بـايـعـوا الـمـخـتـارا

أيها الناس، في يوم العيد نخرج إلى الصحراء.. والسر في ذلك أن نترك العمارات ونترك الفِلل.. ونخرج إلى الصحراء لأن الصحراء تعرفنا ونعرفها.. وتُحبنا ونحبها.. يوم سجدنا على ترابها آلاف السجدات لله.

يوم بنينا عليها آلاف المساجد للحي القيوم.

يوم دفنا في ترابها آلاف الشهداء. فحقٌّ علينا أن نخرج إلى الصحراء مرة ثانية.

ونخرج يوم العيد يا أيها الناس مهلّلين مكبِّرين نقول: (الله أكبر كبيراً.. والحمد لله كثيراً.. وسبحان الله بكرة وأصيلاً).

نكبر يوم العيد لتكون العظمة لله.. والقداسة لله.. والاحترام كل الاحترام لله.. لئلا يشعر بعض الناس أننا نعظمه هذا اليوم أو نحتفل به هذا اليوم.

فنقول له: لا كبير إلا الله.. ولا عظيم إلا الله.. ولا كريم إلا الله، فكأننا نقول: الله أكبر من كل كبير.. وأعظم من كل عظيم.. وأكرم من كل كريم.

ونخرج يوم العيد فنلبس ثيابنا الجديدة الجميلة لأننا أهل الجمال.. زرعنا الجمال وسقيناه وأنبتناه وقطفناه.. فلا جمال إلا في ديننا.. والله ربنا يحب الجمال.. ويحب الطيب.

فلا نعترف بالدروشة ولا نتحاكم إلى التزمت.

فنحن نحب الجمال في المبادىء والأفكار.. وفي العقائد والمنقولات والأخبار.. ونظهر بالجمال في الشِّعار والدثار.

فنحن أهل الجمال الحق لا غيرنا.

ونخرج يوم العيد فنصلي ركعتين.. ويخطب إمامنا يوم العيد ليعلن مبادئنا في الصحراء.. فلا أسرار فيها ولا ألغاز ولا غموض.. فهي واضحة وضوح السماء ليس فيها سحاب.. صريحة صراحة الصحراء.. صافية صفاء الفضاء.

فمن أراد أن يسمع مبادئنا.. فليسمعها يوم العيد.

ومن أراد أن يستقرىء أخبارنا.. فليستقرئها يوم العيد.

ونخرج يوم العيد جماعات لنعلن المحبة والتآلف والتناصر والتعاون ونذوّب الخلاف والفرقة.. فمهما اختلفنا في الفرعيات.. فإننا نتفق في الأصول وفي المبادىء وفي الأسس والقواعد.

فكأننا نقول لأعداء الإسلام ولمن يريد الكيد للإسلام: ها نحن عدنا مرة ثانية متآلفين متآخين متحابين:

إذا اقتتلت يوماً ففاضت دماؤها
تذكرت القربى ففاضت دموعها

ونخرج يوم العيد من طريق ونعود من طريق أخرى.. لنقول للفقراء: ها نحن نلاحقكم في كل طريق ونتابعكم في كل مكان.. لنرفع من جوعكم لأن ديننا لا يقر مبدأ التمييز بين البشر.. وأن يسكن الإنسان في المكان العالي حيث يطاف عليه بآنية من فضة ولحم طير مما يشتهون وفاكهة مما يتخيرون!!

وينام صنف على التراب لا يجدون كسرة الخبز.

ففي أي شريعة هذه.. في شريعة حمورابي.. أم في قوانين نابليون.. أم في خُزعبلات هتلر؟

إن محمداً ﷺ وأبا بكر وعمر يخرجون يوم العيد ومعهم الفقراء.. ويعودون ومعهم الفقراء.

ويشبعون ويشبع معهم الفقراء.

ويجوعون ويجوع معهم الفقراء.

ونحن يوم العيد لنا أن نروّح عن أنفسنا بشيء من الدُّعابات.. وبشيء من الأشعار.. وبشيء من طيّب الأخبار.. وبشيء من نكات السَّمَر مع الإخوان والسُّمَّار.. بشرط أن تكون في حدود الوقار، فلا نظلم فيها عرضاً.. ولا ننتهك فيها كرامة.. ولا نفضح فيها مستوراً.

هذا عيدنا!

أما عيد غيرنا فإنهم يرقصون على الهزائم، ويفرحون بالفشل، ويصفقون في عالم ما نُصرنا فيه بعد أن تولّينا عن (لا إله إلا الله).

إن العيد أن تنتصر الأمة.. وأن يعود كيانها ووحدتها وقوتها ومركزها العالمي.

وأن يتأخر كل ذَنَب فاشل.. وأن يتقدم كل صِنديد شجاع.

فهذا هو مفهوم العيد عندنا.. ولا نقول كما يقول الشاعر المتشائم:

عيد بأية حال عُدْتَ يا عيد
بما مضى أم لأمر فيه تجديد
أما الأحبة فالبيداء دونهم
فليت دونك بِيداً دونها بِيد

ولكن نقول: مرحباً بالعيد.. وأهلاً وسهلاً بالعيد.

يعيد الصفاوة إلى قلوبنا والرحمة والود إلى نفوسنا.

عـيـد بـأيـة حـال عـدت يـا عـيـد
بـمـا مـضـى أم لأمـر فـيـك تـجـدبـد

نـحـن الأشـاوس مـا شـجـت أرومـتـنـا
وفـي حـظـيـرتـنـا لُـجـب صـنـاديـد

إذن.. العيد لمن صام رمضان واحترم شهر رمضان وعرف الله في رمضان وغير رمضان.

العيد لمن عادت على قلبه أنسام التوبة.. وراجع حسابه مع الله.

العيد لمن صفّى معاملته مع الله وأناب من الذل.

نخرج يوم العيد أيها الناس فنتهم أنفسنا قبل اتهام الناس.

نخرج لنبشَّ للناس.. ولنبتسم للمسلمين.

لأن بيننا وبين الأمة غيوماً قد حصلت من نقص الشر ومن خطايا البشر.

فيجب علينا هذا اليوم أن نتراحم فيما بيننا.. ونعذر إخواننا لعبادتهم وإخلاصهم فنعود متآخين متوادِّين.

إن عيدنا هو عيد الفطر.. وعيد الأضحى.. ويوم الجمعة.. وأما أعياد الذين لا يعقلون.. الذين أخذ الله سمعهم وأبصارهم وختم على قلوبهم.. فعيد الشجرة ينبتونها ويسقونها! وهم قد قتلوا من يُسقي الشجرة!

وعيد المرأة وهم الذين قتلوها.. بعد أن قضوا على عفَّتها وكرامتها.

وعيد ميلاد النبي ﷺ وهم الذين قتلوا سُنته.. وذبحوا تعاليمه.. وعطّلوا شرعه في الأرض.

وأعياد أخرى تفوق الحصر.

فيا عباد الله، ننتظر العيد بكل فرحة ونأمل من الله أن يعيد لنا كرامتنا ومجدنا وعظمتنا وسؤددنا.. حتى نكون دعاة خير ومشاعل حق وأساتذة علم، فلا نكون متأخرين ولا فاشلين ولا ضالين.

الرسوب في الامتحان

اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق وقولك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد ﷺ حق.

اللهم لك أسلمنا، وبك آمنا، وعليك توكلنا، وإليك أنبنا، وبك خاصمنا، وإليك حاكمنا، فاغفر لنا ما قدَّمنا وما أخرَّنا، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، بلَّغ الرسالة كاملة نقية بيضاء، أسمع البشرية الدعوة، أدَّى الرسالة إلى الإنسانية، ما كتم شيئاً ولا بخل بشيء، نشهد أنه بلَّغها وافية كما سمعها، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد يا أيها الناس، غداً في الصباح يذهب أبناؤنا وبناتنا ليؤدوا الامتحان.. وهو امتحان دنيوي.

وبرغم كثرة الأبناء والبنات وكثرة الطلاب والطالبات.. وكثرة المدارس الثانوية والجامعات.. لكن الملاحظ أن هناك إخفاقاً في النتائج، ورسوباً متواصلاً، وقلة معلومات، وحصيلة ضحلة إلا من رحمه الله.

فما هو السبب؟ والوسائل قد توفرت.. أجهزة الاستماع والمكبِّرات والطباعة، ودور الترجمة والنشر، وجودة الكتب، وكثرة الأساتذة، وسعة الفصول.. ومع ذلك نلاحظ كثرة الرسوب حتى وجدنا في بعض المؤسسات العلمية أن النجاح لا يساوي ٢٠٪!

فما هي الأسباب؟ ولماذا لا يفهم هؤلاء الطلاب والطالبات؟ ولماذا يذاكرون المادة أكثر من مرة ومرتين وثلاث مرات لكن لا فهم ولا تحصيل ولا ذكاء ولا حفظ؟

يقول الذهبي أن الإمام أحمد حفظ مع فقره وجوعه وشظف عيشه ألف ألف حديث عن المصطفى ﷺ، أي مليون حديث! وهو يجوب الدنيا على قدميه.

شيخ الإسلام ابن تيمية يتحدَّث بنعمة الله عليه ويقول: أنا بحمد الله ما قرأت مجلداً مرة واحدة ألا انتقش في ذهني.

الشافعي يأتي ليقرأ الكتاب فيغطي الصفحة اليسرى لكي لا تسبق عيناه إليها فيحفظها قبل اليمنى!

الشعبي الإمام يقول: والله ما سمعت كلاماً منذ خمسين سنة إلا حفظته.

أحدهم يسمع السورة مرة واحدة من الإمام فيحفظها.

فلماذا هذا النسيان؟ ولماذا هذا الرسوب؟

إنها الذنوب.. إنها من الخطايا.

يا رب عفوك لا تأخذ بزلتنا ... وارحم أيا رب ذنباً قد جنيناه
كم نطلب الله في ضرٍّ يحلُّ بنا ... فإن تولت بلايانا نسيناه
ندعوه في البحر أن ينجي سفينتنا ... فإن رجعنا إلى الشاطىء عصيناه
ونركب الجو في أمن وفي دعة ... فما سقطنا لأن الحافظ الله

فالمساجد تشكو إلى بارئها من قلة المصلين إلا من رحم الله..
أكثر الطلبة لا يعرفون الله إلا في وقت الامتحانات ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾.

وقد حمل الله على قوم خالفوه وعصوه، وأخبر أنهم لا يفهمون وأنهم لن يحفظوا وأنهم لن ينجحوا وأنهم لن يستفيدوا من معلوماتهم أبداً، قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾.

قال بعض أهل العلم: (نسوا العلم والله).

كيف يحفظ من ملأ قلبه بالمعاصي؟

كيف يحفظ من ينام على الأغاني الداعرة العاهرة والمائعة؟

كيف يحفظ ويفهم من لا يعرف الله إلا في أوقات الامتحان؟

كيف يحفظ من يطلق نظره في الحرام ويمشي إلى الحرام ويأكل الحرام؟

ولذلك جاءت هذه النتائج.. لا فهم.. لا إدراك.. لا فطنة.. لا استنباط.

المواد قليلة وضحلة.. والأساتذة الكثير منهم تبرَّع بحذف جلّ المقرر!! وتبرع بعضهم بتحديد الأسئلة!!

ومع ذلك أتت الإجابات هزيلة لأنها تكتب بأيدي لا تعرف المصحف.

ابن عباس رضي الله عنه وأرضاه عميت عيناه ولكن قلبه ما عمي، والعمىٰ ليس في العينين.. إنما العمى في القلب فأخذ يقول:

إن يأخذ الله من عينيّ نورهما ... ففي فؤادي وقلبي منهما نورُ
قلبي ذكي وعقلي غير ذي عوج ... وفي فمي صارمٌ كالسيف مشهورُ

تليت عليه قصيدة يمن سبعين بيتاً فحفظها من أول مرة.

لماذا؟

لأن ابن عباس إذا جاء الليل قام من صلاة العشاء إلى صلاة الفجر يقرأ ويبكي ويدعو الله.

أما الذي يعيش على الخزعبلات وعلى الأغاني الماجنة والمجلات الخليعات فكيف ينجح وينال الدرجات؟

وأنا الذي جلب المنية طرفه   فمن المطالب والقتيل القاتلُ

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ لَعَنَّـٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَـٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾، فأعظم البلاء من الذنوب والخطايا.

قال الشافعي لشيخه وكيع بن الجراح: أوصني فإني لا أستطيع الحفظ.

فقال وكيع: يا شافعي إن الله آتاك نوراً من العلم فلا تطمسه بالمعصية.

فقال الشافعي:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي   فأرشدني إلى ترك المعاصي
وقال اعلم بأن العلم نور   ونور الله لا يُهدى لعاصي

نظر أحد الناس إلى منظر لا يحل له فقال له أحد الصالحين: تنظر إلى الحرام؟ لتجدنَّ غبّها ولو بعد حين.

قال: فنسيت القرآن بعد أربعين سنة.

يقول ابن تيمية: إنها لتعجم عليَّ المسألة فأستغفر الله ألف مرة أو أكثر أو أقل فيفتحها الله عليَّ!

فيا من صمَّم على الذهاب غداً إلى مدرسته.. أو إلى جامعته.. خذ زادك من تقوى الله.. وتُب إلى الله توبة نصوحاً.. استغفره إنه كان غفاراً.. وراجع حسابك معه.. وأكثر من الابتهال.. لعل الله أن يفتح عليك.

قال الشاعر:

اعتزل ذكر الأغاني والغزل وقُل الفصل وجانب من هزل
ليس من يقطع طرقاً بطلاً إنما من يتقي الله البطل

والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلّم.

خطر على الأمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾.

والصلاة والسلام على الرسول القائل: «**إن على الله عهداً أنَّ من شرب مسكراً في الدنيا أن يسقيه من رَدْغة الخَبال يوم القيامة**»، قيل: يا رسول الله وما ردغة الخبال؟ قال: «**عُصارة أهل النار أو قيح أهل النار**».

وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كبيراً.

عباد الله.. إن من أعظم الجرائم ومن أكبر المشاكل التي تفشَّت في مجتمعاتنا والتي عرَّضت ديننا وقيمنا وأمننا وأموالنا للضياع وللسفك والانسلاخ والتهرب: هي تعاطي المخدِّرات، فإنها مصيبة نكراء وجريمة

شنعاء فتكت بشبابنا وأذهبت أموالنا وزعزعت أمننا وسكينتنا، فنشكو حالنا إلى الله تبارك وتعالى.

والله عز وجل تحدَّث عن المفسدين في الأرض وتعرَّض لجرائمهم وبيَّن أحكامهم فقال: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣٤﴾﴾.

ولقد كانت الخمر أو كل مسكر عند العرب في الجاهلية تُسمَّى أم الخبائث، لا يشربها عقلاؤهم ولا يتعاطاها رؤساؤهم، بل حرَّمها كثير منهم على نفسه، منهم حاتم الطائي وزيد بن عمرو بن نفيل وهرم بن سنان، وكانت تُسمّى عندهم (السفيهة) و (المؤذية) و (القبيحة) و (المكروه)، فلما أتى الإسلام حرَّمها الله تبارك وتعالى في كتابه وحرّمها رسوله ﷺ وقال: «**ما أسكر كثيره فقليله حرام**»[(1)].

وقال ﷺ: «**إن على الله عهداً أن من شرب مسكراً في الدنيا أن يسقيه الله من ردغة الخبال**»، فقالوا: يا رسول الله وما ردغة الخبال؟ قال: «**عصارة أهل النار وقيح أهل النار**» يجمعه الله فيسقاه من تعاطاها في الدنيا.

وفي الأثر: «**مَن جلس على مائدة يُدار عليها خمر فقد برئت منه ذمة الله وذمة رسوله ﷺ**».

(١) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه.

أضرار الخمر والمخدرات

وأضرارها وبيلة، ويكفي ما نسمع وما نرى وما يُنقل إلينا من تلك الأضرار الوخيمة والعواقب الأليمة التي تفشت في مجتمعاتنا من مجازر ومذابح يتعرَّض لها رجال الأمن من تلك العصابات الفاجرة المجرمة التي سعت إلى الإفساد في الأرض، وزعزعت أمن الدولة وأمن الأمة وأمن السكان، وأرهبت أهل البيوت في بيوتهم، وعرضت الأنساب للاختلاط، والدماء للسفك، والأموال للهدر، والشباب للضياع.

إن من أضرارها:

أولها: أنها محاربة لله تبارك وتعالى ومعصية له، ومن فعلها أو تناولها أو روَّج لها أو ذكرها بإحسان أو سكت على مروجٍ لها فقد بارز الله بالمعصية واستوجب لعنة الله وغضب الله وسخط الله ومكر الله، فإنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الفاسقون، ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون، فهي عداوة صريحة لله تبارك وتعالى في أرضه. ومما عُصي به سبحانه وتعالى في الأرض أم الخبائث (الخمر)، فإن الإنسان إذا سكر هذى وإذا هذى افترى وإذا افترى قتل وزنا وسرق واغتصب وفعل كل خبيثة وكل فاحشة.

والثاني: أن فيها إذهاباً للعقل الذي هو أعظم موهوب وهبه الله

للإنسان، فإذا الإنسان أذهب هذه المِنّة وهذه النعمة فقد تردَّى في الحضيض وباء بالغضب واللعنة.

يقول الله سبحانه وتعالى عن العقل: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾، وقال عن أهل النار أنهم قالوا: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾، وقال الله: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ (أي أهل العقول)، فالذي أذهب عقله فهو في مستوى البهيمة لا يدرك شيئاً ولا يعرف شيئاً قلّت قيمته وخف وزنه، فلا رجولة فيه ولا حياء ولا مروءة ولا دين ولا خير، قد أذهب الله بهاءه ونزع الله رداءه من على جنبيه وهتك ستره وفضحه على رؤوس الناس.

الثالث: أنها تهديد للدماء وللأعراض وللأموال، أما الدماء فإننا نسمع كل يوم أو بين اليوم واليوم تلك الجرائم التي تحدثها تلك العصابات وتلك الشلل من قتل رهيب ومن سفك للدماء ومن اقتحام للبيوت الآمنة الساكنة التي استظلت بلا إله إلا الله. ونسمع قضايا الإعدام دائماً وأبداً.

وأما الأعراض فإن أكبر جريمة بعد شرب الخمر هي جريمة الزنا، ولا تأتي في الغالب إلا بعد أن يذهب العقل بالخمر، حتى أن بعضهم لما سكر وشرب الخمر تعدَّى بالجريمة والفحشاء التي لا تُذكر على أمه التي ولدته، فنُفذ فيه حكم الله وهذا أقل ما يُفعل به، لأنه ارتكب جريمة تقشعر لها جلود اليهود والنصارى والبوذيين، ولا تفعلها الكلاب ولا الحمير، وإنما لما سفه وذهب عقله فعل تلك الجريمة الشنعاء.

وفيها إزهاق للأموال، فإنها تؤدي إلى الميسِر وإلى القمار وإلى إتلاف الآلاف والملايين في غضب الله وفي سخط الله وفي لعنة الله.

الرابع: أنها ضياع لشباب الأمة وإهدار لقوة الأمة ومستقبل الأمة، فما ضاع أكثر شبابنا إلا من هذه الخبيثة المخبثة. وأُدخلوا السجون

وامتلأت بهم بعد أن دعاهم الله إلى المساجد ودعاهم إلى حِلَق الذكر والعلم وإلى أن يرفعوا من أنفسهم ومن كيانهم ومن مستقبلهم ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾.

فدخلوا بالعشرات بل المئات، والإحصائيات التي سمعنا بها رهيبة حيث امتلأت بهم السجون وشكّلوا مؤسسات كبرى وفصول طويلة عريضة كلها من فلذات أكبادنا ومن شباب أمتنا، قد أذهبوا عقولهم بعد أن أذهبوا دينهم.

الخامس: الأضرار الصحية التي تعرضت لها الأمة، فإن من أعظم ما فتك بالناس المخدِّرات، وشهد بها أهلها ومنتجوها ومروِّجوها ومصنّعوها وموردوها، فانتشر مع هذه المخدِّرات مرض الإيدز وأمراض الالتهاب الرئوي وسوء الهضم والسهاد والقلق والسهر والارتباك والمرض النفسي والانهيار العصبي والغمُّ والهمُّ والحزن واللعنة في الدنيا والآخرة، إلى غير ذلك مما ذكر أهل الطب، بل أربوها على مائة مرض من أعظمها الإيدز والسرطان الذي يصاب به كثير من الناس، حتى قال بعض الأطباء الأمريكان: إن في كل أربعة من عشرة من الأمريكان يوجد مهدَّدون بمرض الإيدز بسبب المخدِّرات.

ويقول دايل كارنيجي صاحب كتاب (دع القلق وابدأ الحياة): إن الأمريكان قد حفروا لأنفسهم قبوراً يرثونها، لأنهم ما عرفوا الله نصف ساعة في اليوم. ثم قال: والسبب الرئيسي في ذلك أنهم تعاطوا المخدِّرات فأذهبوا عقولهم.

ويقول كارليل الأمريكي في كتابه (الإنسان ذاك المجهول): إن من أكبر ما أدَّى بأوروبا إلى الانهيار وإلى التحطم الروحي هي تلك المخدِّرات التي انتشرت في مجتمعاتها.

السادس: أنها ضربة للأمة في قوتها واقتصادها. . في قوتها

العسكرية وفي تصنيعها واقتصادها، ولذلك ذكر أهل التاريخ أن في القرن السادس عشر الميلادي تواجه الصينيون واليابانيون، فانهزم الصينيون، وحُقق في سبب الهزيمة فإذا الأفيون قد انتشر انتشاراً رهيباً في الجيش الصيني، مما اضطره إلى أن يترك المعركة وينسحب ويُسلِّم فيُسحق وتؤخذ أرضه، وهذا أمر معروف عند العرب، فإنهم في الجاهلية كانوا يسمون الأفيون عطر منشم إذا شمه الجيش وأنعشته رائحته في المعركة انهزم وولّى الأدبار، ولذلك يقول زهير وهو يمدح هرم بن سنان وصاحبه:

تداركتما عبساً وذبيان بعدما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم

فهذه أضرارها بل هي قليل من كثير.

إن تعاطي المخدِّرات والترويج لها معناه أن نعيش في إرهاب بين عصابات إرهابية لا نهنأ بنوم ولا براحة ولا بطعام ولا شراب ولا سكينة.

إن معناها أن نقدم شبابنا عشرات ومئات للنار إلى الدمار وإلى العار.

إن معنى ذلك أن يخرج الناس من المساجد فيجدون شُللاً من الإجرام وشُللاً من الانحراف إلا من رحم الله.

إن معنى ذلك أن تذهب قوة الأمة ومال الأمة واقتصاد الأمة، وتُعرّض هذه الأمة خاصة في مثل هذه البلاد التي وزعت الهداية على الناس، ووزعت النور على البشرية، أن تُعرَّض لضربة قاصمة، ولذلك فإن في استطلاعات قد نُشرت ذُكِر بأن من أعظم من وزع هذه المخدّرات وسهّل عبورها إلى دول الإسلام وإلى الشرق الأوسط هي دولة إسرائيل عدوة الإنسانية، الصهيونية العالمية، لتضرب الأمة في صميمها وفي كيانها وفي شرفها ومروءتها.

أسباب انتشار الخمر والمخدرات

ولكن ما هي الأسباب التي أدّت بشبابنا ومجتمعاتنا إلى هذا التهتك والتهور والانحلال وإلى تعاطي المخدرات والترويج لها:

السبب الأول: ضعف مراقبة الحي القيوم، ومن لا يراقب الله يضيعه الله، ومن لا يحفظه سبحانه وتعالى يجعله عبرة للمعتبرين، ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾، ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾، ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾.

فلما ضعفت مراقبة الله في قلوب كثير من الناس بما فيهم الشباب سهل عليهم تعاطي المخدِّرات، فمقتهم الله ووقعوا في لعنة الله وفي غضب الله. ولذلك أعظم ما يوصى به في هذا الجانب قوله ﷺ: «**احفظ الله يحفظك**»(١)، فمن لا يحفظ الله لا يحفظه الله ولو توضأ كل يوم خمس مرات وصلى كل يوم خمس مرات، ولذلك في صحيح مسلم قال: «**من صلى الفجر في جماعة فهو في ذمة الله، فالله الله لا يطلبنكم الله من ذمته بشيء، فإنه من طلبه من ذمته بشيء أدركه، ومن أدركه أهلكه**».

(١) رواه الترمذي.

فلما تركوا صلاة الفجر في جماعة ابتلاهم الله بالكبائر وأخذهم من حيث لا يشعرون، فأوقعهم في الرذيلة وأوقعهم في القبح جزاء نكالًا.

والسبب الثاني: سوء التربية، فإن الأب والأم والبيت هو المسؤول الأول في إصلاح الشاب وفي هدايته وتوجيهه، والشاب الذي ينشأ على الأغنية الماجنة لا يُستكثر ولا يُستبعد أن يتناول كأس الخمر وأن يتناول الأفيون وأن يتعاطى الحشيش وأن يروِّج المخدرات. كيف وقد تربى على الأغنية الماجنة وعلى الجريمة وعلى الفُحش وما تربى على سورة طه والواقعة وقاف، وما سمع حديثاً من صحيح البخاري ولا مسلم، فتربى على الجريمة حتى تناولها. فالأب المسؤول الأول، والأم كذلك مشتركة في المسؤولية، فالواجب: أن يتقوا الله في أبنائهم.

السبب الثالث: الفراغ، فلما فرغت قلوبهم من طاعة الله ومن ذكر الله ومن محبة الله دخل عليهم الشيطان فوسوس في قلوبهم وزرع حب الجريمة وتعاطي المخدرات، فتناولها وسهل ذلك عليهم فسقطوا من عين الله تبارك وتعالى.

يقول ابن تيمية: إن القلب إذا لم يمتلىء من محبة الله امتلأ من محبة الشيطان، فقاده الشيطان كما تقاد الدابة حتى يورده موارد البَوار.

السبب الرابع: قُرناء السوء والشلل البائرة الفاجرة الفاسدة التي مكرت بشبابنا وصوَّرت لهم الدين وحلقات العلم وندوات الخير أنها تخلف وأنها تزمُّت وأنها تأخُّر، ولكن رأينا إنتاجهم على الصعيد الآخر، رأينا ماذا فعلوا بالأمة وماذا فعلوا بالشعب وماذا فعلوا بكيان الناس وبالوطن؟ لقد أوردوهم موارد الهلاك، ولذلك يظنون أن التطور والتقدم أن يُترك المسجد ولا يُقرأ في المصحف ولا يُسمع الحديث ولا يُجلس في حِلَق الخير.

مرَّ أحدهم بأحد طلبة العلم وهو يقرأ في صحيح البخاري فقال

له ضاحكاً مستهزئاً: الناس صعدوا إلى سطح القمر وأنت تقرأ في هذا الكتاب؟! فرد عليه هذا وقال: أنت ما قرأت في الكتاب فانتفعت، وما صعدت إلى سطح القمر!!

إنهم ما قدموا شيئاً بل قلَّدوا أوروبا في الميوعة وفي الأنوثة وفي التدني وفي السخف وفي السفه، ولكنهم ما صنعوا لنا طائرة ولا ثلاجة ولا قدَّموا لنا خِدْمات كما فعلت أوروبا، بل ضاعوا في الدين والدنيا كفقير اليهود لا دين ولا دنيا ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾.

السبب الخامس: التقليد الأعمى، فإن كثيراً من الشباب لسوء فهمهم للإسلام ولقلة علمهم وفقههم في دين الله ينظرون إلى أوروبا نظر المُعجب ونظر الذي بهرته هذه الحضارة لأنه مغلوب في نفسه مغلوب في روحه مغلوب في كيانه، حتى يفتخر بعضهم في المجالس أنه سافر إلى أمريكا وإلى لندن وإلى باريس وأنه عاش هناك وأنه درس هناك، وهذا والله ليس بشرف وإنما يحل لنا السفر إلى أوروبا للضرورة كما يحل لنا لحم الميتة.

قال أهل العلم: لا يُسافر إلى بلاد الكفر إلا لعلاج لا يوجد في بلاد المسلمين، أو دراسة دنيوية لا تُتحصل هنا، أو دعوة لينشر دعوة الله، فهل ذهب الكثير من هؤلاء للدعوة؟ هل ذكروا لا إله إلا الله في شوارع لندن وباريس؟ هل رفعوا علم محمد ﷺ؟ هل نشروا القيم والأخلاق؟

لقد ذهبوا هناك فأصبحوا أذل وأخسَّ وأحقر من أبناء تلك الأمم. وما ذهبوا للعلاج، فإن في بلادنا ما يشفي ويكفي، وما ذهبوا لطلب العلم فإنهم ما قدموا لنا شيئاً وما أنتجوا لنا شيئاً.

السبب السادس: السفر إلى بلاد الخارج وخاصة من المراهقين

الذين ما أدركوا عظمة الإسلام ولا نعمة هذا الدين، فيذهب أحدهم فينسلخ من دينه ومن عقله ومن حياته ويعود كالحيوان.

السبب السابع: تعاطي بعض العقاقير عن طريق الخطأ أو عن طريق التلبيس بأنها صحية وأنها نافعة وأنها تقوي شهوة الجنس، وكذبوا لعمر الله، بل أثبت أهل الطب من المسلمين أنها سبب لفساد النسل وتهديد النسل وفساد شهوة الجنس.

فهذه هي الأسباب أو بعض الأسباب التي أحدثت هذا الاضطراب.

فنسأل الذي بيده مفاتيح القلوب أن يردنا إليه رداً جميلاً، وأن ينقذنا من هذه الأزمات، وأن يتوب على شبابنا، وأن يهيىء لهم القبول، وأن يحبِّب إليهم طريق المسجد ولا يعرِّضهم إلى طريق الخمَّارة وإلى طريق المفسدين والمرجفين في الأرض.

العلاج

إن العلاج من هذه الأمور السابقة يكمن في أمور:

أولها وأعظمها وأشرفها، هو: العودة إلى الحي القيوم ومراقبته سبحانه وتعالى وتقواه، فإنها النجاح في الدنيا والآخرة، ولو اتقى هؤلاء الله عز وجل لعصمهم.

قال سعيد بن المسيب وقد ذُكر له رجل شرب الخمر فقيل: ما سبب شربه الخمر وقد كان معنا؟.

قال: ترك طاعة الله فسقط من عين الله فرفع الله ستره عنه، وإذا أراد الله أن يفضح العبد خلاه ونفسه ولم يستدركه بطاعة ولم يلهمه رشده فتردَّى على وجهه في النار.

فأعظم العلاج أن نعود بشبابنا وأمتنا إلى الله سبحانه وتعالى، فقد جربت الأمم الكافرة وتعاطت هذه الأمور، فلما سقطت على وجهها في الهاوية وحلت بها الكارثة ووقع الشلل في أرجائها والاضطراب في كيانها وأصبح الانتحار عندهم بالعشرات تذكروا في الأخير أنهم أخطأوا الطريق وحاولوا الآن العودة إلى الله.

يقول (كيرسي ميرسون): الآن عرفت الله لما رأيت أوروبا تزحف إلى النار. عرف الله لما رأى تلك الشعوب تزحف إلى الهاوية.

والأمر الثاني من العلاج: تربية شبابنا وتربية أطفالنا على منهج لا إله إلا الله بإدخال الإسلام حقيقة إلى بيوتنا.

فالإسلام يجب أن يكون هو المهيمن في بيتك.. وأن يكون العظيم في بيتك وفي مسجدك وفي طريقك هو الله، وألا تتحاكم إلى أحد إلا إلى الله، وأن تُحَكِّم شريعة الله في أطفالك وفي زوجتك وفي أهلك وفي جيرانك، وإن لم تفعل فإنك من الخاسرين.

والعلاج الثالث: العلم النافع.. العلم الشرعي الذي تحتاج له القلوب والأرواح، فنملأ به أذهان الناس، ونقود الناس إليه وننشره ولا نستبدل الطيب بالخبيث من العلوم الأخرى الوافدة. يقول ابن تيمية: كل علم وفد إلى المسلمين فإن كان خيراً فعندنا من الخير ما يغنينا عنه، وإن كان شراً فلسنا في حاجة إلى الشر.

وبعض الناس يظن أن تلك العلوم المستوردة هي علم، وهي جهل في الحقيقة لأنها صدت عن الكتاب وعن السنة، فمن العلاج أن نأتي بالشباب ونجلسهم في ندوات العلم ونحبِّب إليهم سماع الكتاب والسنة ودروس الفقه ودروس التفسير ودروس الأصول لترتفع أصولهم إلى الله إلى الحي القيوم ويملأها من النور والإيمان.

العلاج الرابع: أن نقضي على فراغهم ـ أي الشباب ـ ولا نترك لهم دقيقة واحدة إلا في عمل خير ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾. فمن كانت وجهته علمية فليذهب إلى مؤسسات العلم التي انتشرت والحمد لله، فسهل طلب العلم، فليبذل جهده في المذاكرة وفي التحصيل العلمي وفي رفع مستواه في المعرفة وفي التفكر في دين الله.

وإن كان له تميز وتأهل وتخصص آخر، فليُذهب به إلى تميزه من تجارة نافعة ومن كسب محمود ومن عسكرية طيبة شريفة يحمي بها دينه وأمته.

فلا علاج إلا إن يُقضى على فراغ هذه الأمة وفراغ شبابها بأن يؤهلوا في مؤهلاتهم وتخصصاتهم.

والعلاج الخامس: أن نحفظ أبناءنا من قرناء السوء، فإن بعض الآباء من الذين قل دينهم يذهب ابنه الساعات الطوال ثم لا يسأله أين ذهب ولا مع من ركب ولا مع من جلس وأين نام وأين قام، فتأخذه شياطين الإنس فيسلخون دينه وعقله ويحبِّبون له الجرائم فيصبح فرداً من أفراد الإرهابيين ومن أفراد الفساد في الأرض، ثم يُطبق حكم الله فيه فإذا هو فضيحة على أسرته وأمته في الدنيا والآخرة.

والعلاج السادس: أن لا نسمح لكل مروِّج ولا مهرِّب ولا مفسد بالحرية، بل ننهاه عن منكره كما قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾.

فسعادتنا في عودتنا إلى الله وسعادتنا في حمل رسالة لا إلٰه إلا الله، وسعادتنا في عبوديتنا لله.

ومما زادني شرفاً وفخراً وكدتُ بأخمصي أطأ الثريا
دخولي تحت قولك يا عبادي وأن صيّرت أحمد لي نبيا

فيا شباب أمة محمد ﷺ، ويا شباب الإسلام، عودة إلى الله.. عودة إلى المسجد.. عودة إلى المصحف.. عودة إلى حلقات العلم.. عودة إلى تذكر الموت ولقاء الله عز وجل.

شباب الدين للإسلام عودوا فأنتم مجده وبكم يسودُ
وأنتم سر نهضته قديماً وأنتم فجره الباهي الجديدُ

أسأل الله لنا ولكم عودة صادقة إليه.

والله أعلم، وصلّى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلّم.

العقول المغيّبة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد...

المخدِّرات اسم انتشر في هذا العصر الحديث فأفسد شباب الأمة وطيَّر عقول فتيانها.

وما وُجدت المخدِّرات إلا واقترنت بها المعاصي والمخالفات الأخرى، فهي ﴿ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾.

لقد سمّى الله هذه المخدِّرات باسم الخمر، وهي تدخل في مظلة الخمر، فهما بنات عم لأنها من سلالتها ومن فصيلتها.

إن العصا من هذه العُصَيَّة لا تلدُ الحية إلا حية

قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾.

لماذا انتشرت المخدِّرات؟

لماذا كثر المروِّجون؟

لماذا ضاع كثير من الشباب؟

إن للأمر أسباباً لا بد من الاطلاع عليها لوضع الحلول لهذه الجريمة الكبرى.

السبب الأول: ضعف الإيمان، وانقطاع الحبل بين الإنسان والواحد الديان، وقلة المراقبة للرحمن إذا خلا الإنسان بين الحيطان، وعدم الوصول إلى درجة الإحسان.

فدرجة الإحسان التي صحَّت عنه ﷺ هي: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»[1].

يقول الشيخ حافظ حكمي رحمه الله في الإحسان:

وهو رسوخ القلب في الإيمان حتى يكون الغيب كالعيان

وهذه الدرجة نالها أصحاب الرسول ﷺ، ولذلك انتهوا عن الخمر وانتهوا عن الزنا وانتهوا عن الربا وانتهوا عن الغناء وانتهوا عن الفواحش.

أما نحن فوجدت فينا يوم ضعف الإيمان.

وأين إيماننا من إيمان أبي بكر الصديق الذي دخل مزرعة رجل من الأنصار فوجد طائراً يطير من شجرة إلى شجرة فبكى وقال: يا ليتني كنت طائراً، طوبى لك أيها الطائر ترد الشجر وتشرب الماء ثم تموت لا حساب ولا عذاب، يا ليتني كنت طائراً.

هذا وهو أبو بكر الصديق.

أين درجة إيماننا من إيمان عمر رضي الله عنه وأرضاه؟ يوم

---

(١) متفق عليه.

يقول: والله الذي لا إله إلا هو، لو عثرت بغلة في ضفاف دجلة في العراق لخشيت أن يسألني الله عنها لِمَ لم تُسَوِّ لها الطريق يا عمر؟

وكان علي رضي الله عنه يقول: والله الذي لا إله إلا هو، لو كشف الله لي الغطاء فرأيت الجنة والنار ما زاد على ما عندي من إيمان ذرة.

وكان الأعرابي يأتي إلى الرسول ﷺ فيقول: يا رسول الله أين ألقاك غداً يوم القيامة؟

لأنه عَلم علْم اليقين أن القيامة سوف تقوم ويسميه (غداً)، لأنه يعلم قربه.. كما قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾.

يقول الله عن أهل المخدِّرات وأهل الخمر والمسكرات، وأهل السيئات وأهل المعاصي والمخالفات، الذين أغضبوا رب الأرض والسموات يقول: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾.

ويقول عن علمائهم: ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾.

ويقول عن عالمهم: ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

يقول الأعرابي كما سبق: يا رسول الله، أين ألقاك غداً يوم الزحام؟

قال: «**تلقاني في أحد ثلاث مواطن: إما عند الصراط، وإما عند الحوض، وإما عند الميزان**».

يا فتيان الإسلام.. يا حملة الرسالة الخالدة، هل جلس واحد منا فتذكر هذا اليوم وهوله؟

يقول عمر بن عبدالعزيز الخليفة رضي الله عنه وأرضاه: والله الذي لا إله إلا هو، إنها لتمر بي الليلة فأفكر في قيام الساعة منذُ أن يبدأ الله في الحساب إلى أن يدخل الجنة قوم والنار قوم ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ فإذا بأذان الفجر قد أذّن، أو كما قال.

وجاء رجل صالح من العلماء إلى نور الدين السلطان الكبير الكردي فقال له في يوم المهرجان:

مثّل لنفسك أيها المغرور	يوم القيامة والسماء تمور
إن قيل نور الدين جاء مسلماً	فاحذر بأن تأتي وما لك نور
حَرّمت كاسات المُدام تعففاً	وعليك كاسات الحرام تدور

من يصدق أن بعض الناس يعاقرون الخمر حين يقوم المتهجِّدون لربهم في ظلام الليل، وحين ينزل الحق القيوم إلى سماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل ينادي بصوت: «**هل من سائل فأعطيه، هل من مستغفر فأغفر له، هل من داعٍ فأستجيب له**»[1].

فيأتي هؤلاء وأكثرهم ممن بلغ من العمر عِتياً فيعاقرون الخمر والدخان ولعب الورق والبلوت وكل ما يشغلهم عن ذكر الله في ذاك الوقت الشريف.

إذاً السبب هو قلّة الإيمان باليوم الآخر، وانتشار المعاصي يعقب ذلك.

عبدالله بن أُنيس أحد الصحابة يرسله الرسول ﷺ ليقتل خالد بن سفيان الهذلي.

---

(١) متفق عليه.

فيقول: يا رسول الله فإذا قتلته فما لي؟

قال: «**لك الجنة**».

فذهب وقتل المجرم وأتى برأسه.

فلما رآه ﷺ قال: «**أفلح الوجه**».

قال: ووجهك يا رسول الله.

قال ﷺ: «**يا عبدالله بن أنيس، خذ هذه العصا تتوكأ بها في الجنة فإن المتوكئين في الجنة بالعصي قليل**»(١).

فأخذها وأصبح بها وأمسى، فلما مات أمر أن تُدفن معه لأنه استيقن بذلك لعمق إيمانه باليوم الآخر.

إذاً.. فالسبب الرئيسي لوجود هذه المخدِّرات في أوساط الشباب هو ضعف الإيمان.

وسبب ضعف الإيمان هو قلة التربية من الآباء والأمهات في البيت.

يقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۝٦﴾.

ويقول ﷺ: «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**»(٢).

فأكثر الآباء وللأسف لم يُدخل الإيمان قلب ابنه، ولم يُحبب إليه الطاعات والفضائل، وأم لم تنصح ابنها وتدله على الخير، بل هم في غفلة عن واقع أبنائهم.

---

(١) رواه أحمد (٤٩٦/١)، وانظر: سيرة ابن هشام (٦٩/٢).

(٢) رواه البخاري.

لا يدرون من يصاحب؟ وإلى أين يذهب؟ فانتشرت المخدِّرات على غفلة منهم وأصابت هذا الابن المدلَّل.

والمسؤول الثاني بعد الأب والأم هو الأستاذ الذي يدرِّس أبناء المسلمين، فلم يهتم بفلذات أكبادهم بل نَشّأهم على حب الملاهي والمعاصي دون أن يغرس فيهم عبر الدروس معاني الخير ومعاني الإسلام، ويحذرهم من مغبّة الوقوع في هذه المعصية الآثمة.

والسبب الثاني لانتشار هذه المخدرات هو: قلة الطاعات، وقد تدخل تبعاً في مسألة ضعف الإيمان، ولكن لها انفصال من جانب آخر، فلم يعد عندنا زاد من تلكم الطاعات ولا أعمال صالحة إلا من رحم الله. فتصوّر بنفسك حجم وقت القرآن في حياتنا وهل أعطيناه ما يستحقه من الاهتمام.

والله يقول عن هذا القرآن: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴿٨٢﴾﴾.

أنا أعرف قطاعاً هائلاً من شباب الإسلام حتى من الملتزمين من لا يقرأ في اليوم إلا صفحات من القرآن ببرود ووسوسة وذهول وشرود.

ولكنه يقرأ من المجلات والنشرات والجرائد والصحف ما الله به عليم.

وهكذا غير القرآن من النوافل والعبادات الأخرى كالصلاة والصيام.

يقول الذهبي في سيرة الإمام أحمد: كان ورده في اليوم من غير الفرائض ثلاثمائة ركعة.

ولذلك قال الله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ (٢٤)﴾.

وكان عبدالغني المقدسي يصلي ثلاثمائة ركعة وهو صاحب كتاب (الكمال في أسماء الرجال).

لماذا؟

لأنه ﷺ يقول: «**إنك لن تسجد لله سجدة إلا رفعك بها درجة**»[١].

ويقول ﷺ للصحابي الذي يريد الجنة: «**أعنّي على نفسك بكثرة السجود**»[٢].

وأيضاً قد قلَّ الاستغفار والذكر من حياتنا وأُغرقنا بسيل جارف من الأغاني ومن المُلهيات التي صرفتنا عن الذكر والاستغفار فماذا ننتظر بعد هذا؟

السبب الثالث لانتشار المخدِّرات هو: الفراغ الذي يعيشه كثير من الشباب حيث وجد المال والصحة ووجد الفراغ معها.

إن الشباب والفراغ مفسدة للمرء أي مفسدة

وما أتى الفراغ إلا يوم أتى نقص الإيمان، ولذلك يقول سبحانه وتعالى في الحياة وفي الوقت: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (١١٦)﴾.

تعالى الله أن يخلقنا عبثاً.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

وتعالى أن يكون ليلنا ونهارنا سدى.

وتعالى الله أن يجعلنا هملاً.

صح عنه ﷺ أنه قال: **«نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ»**(١).

نـروح ونـغـدو لـحـاجـاتـنـا وحـاجـة مـن عـاش لا تـنـقـضـي
تـمـوت مـع الـمـرء حـاجـاتـه وتـبـقـى لـه حـاجـة مـا بـقـي

وصحَّ عنه ﷺ أنه قال: **«لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع** ـ وذكر :**ـ عن عمره فيما أفناه»**(٢).

دقـات قـلـب الـمـرء قـائـلـة لـه إن الـحـيـاة دقـائـق وثـوانِ
فارفع لنفسك قبل موتك ذكرها فـالـذكـر لـلإنـسـان عـمـر ثـانِ

وواجب على دعاة الإسلام أن ينزلوا إلى ساحة الشباب ويستثمروا فراغهم في ما ينفع الأمة وفيما يحفظ على الشباب دينه ووقته، فيعلموهم ويدلوهم على طريق المسجد والمكتبة والعلم والعبادة، لينشأوا عباداً صالحين يخدمون هذه الأمة.

● أحاديث في الخمر وما شابهها:

قال ﷺ: **«من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة»**(٣)، متفق عليه. أي إن لم يتب منها، ويلحق بها المخدِّرات.

وصحَّ عنه ﷺ أنه قال: **«لعن الله الخمر، وشاربها، وساقيها، ومعتصرها، وعاصرها، وبائعها، ومبتاعها، وحاملها، والمحمولة إليه، وآكل ثمنها»**. رواه أبو داود والحاكم بسند صحيح.

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه الترمذي (٢٤١٧).

(٣) رواه مسلم.

ويدخل في ذلك المخدِّرات وكذا القات الذي يوجد في بعض البلاد لقوله ﷺ في الحديث الآخر: «**كل مفتِّر خمر**»[1]، والقات مفتِّر.

وصحَّ عنه ﷺ أنه قال: «**ما أسكر كثيره فقليله حرام**»[2].

وعند الطبراني بسند فيه نظر: «**من شرب الخمر خرج نور الإيمان من جوفه**».

وعند الطبراني أيضاً بسند حسن: «**من شرب مسكراً لم يقبل الله له صلاة أربعين يوماً**».

وقال ﷺ عند أحمد: «**من شرب الخمر أتى عطشاناً يوم القيامة**».

هذه بعض الأحاديث في الخمر ووعيد شاربها، ويدخل في ذلك المخدِّرات بأنواعها لأنها كلها تصبُّ في مصَبٍّ واحد.

● الحل:

والحل يا شباب الإسلام يكون بالتوبة إلى الله سبحانه وتعالى الذي يقبل التوبة من عباده ويعفو عن السيئات.

قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾.

وقال: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾.

---

(١) رواه أبو داود، وضعَّفه الألباني في المشكاة (٣٦٥٠) بلفظ: «نهى رسول الله ﷺ عن كل مسكر ومفتر».

(٢) رواه الترمذي وأبو داود وابن ماجه.

ويقول تعالى في الحديث القدسي: «**يا عبادي إنكم تذنبون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً، فاستغفروني أغفر لكم**»(١).

والحل الثاني: مصاحبة القرآن واتخاذه دليلًا وهادياً في هذه الحياة، يقول ﷺ: «**خيركم من تعلم القرآن وعلّمه**»(٢).

ويقول: «**اقرأوا القرآن، فإنه يأتي شفيعاً لأهله يوم القيامة**»(٣). وقد سبق شيء من هذا.

والحل الثالث: يكون بمصاحبة الصالحين والابتعاد عن جلساء السوء الذين يزيّنون لك المعصية وشرب المسكر والتهام المخدِّرات، ويوقعونك في أنواع من الفواحش لا تستطيع الخروج منها طول عمرك إلا أن يشاء الله سبحانه.

ولكنهم ينقلبون عليك في الوقت الذي تحتاجهم فيه.

يقول تعالى: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ۝٦٧﴾.

ويقول ﷺ: «**المرء مع من أحب**»(٤).

ويقول: «**المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالِل**»(٥).

وفي الحديث المشهور: «**مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يُحذيك** ـ أي يعطيك ـ **وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة. ونافخ الكير إما أن يُحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة**»، متفق عليه.

الحل الرابع: هو القضاء على الفراغ عند الشباب باستغلال تلك

---

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه البخاري.
(٣) رواه مسلم.
(٤) متفق عليه.
(٥) رواه أحمد والترمذي أبو داود.

الأوقات المهدرة عبر الندوات، والدروس، واللقاءات الطيبة، وعمل الصالحات.

ويُقضى على الفراغ كذلك بكثرة الذكر، والدعاء، والابتهال إلى الله بأن يملأ وقت الشاب بكل خير ويصرفه عن كل شر.

وأما من وقع من الشباب في المخدِّرات فلا يكون الحل معه بالسجن فقط أو الضرب، فإن بعضهم يُسجن ويُضرب ولكنه ما إن يخرج من السجن إلا ويعود إليه مرة ثانية.

بل الحل في نظري لمثل هذا الصنف الواقع فيها يكون بملء جوانحه وقلبه بالإيمان، وتذكيره بالله، عبر لقاءات في السجن ومحاضرات وجلسات روحانية تنتشل تلك النفس التي ولغت في المعاصي فتطهرها وتصقلها وتعيدها من جديد بيضاء نقية تنفع نفسها وتنفع الأمة.

فلذلك عندما أراد الله تحريم الخمر لم يحرمها دفعة واحدة ومرة قاطعة، بل تدرج بتلك النفوس التي أدمنت على الخمر وألفتها إلى أن جعلهم ينتظرون الخلاص منها ويعرفون مضارها ومفاسدها على إيمانهم وحياتهم فيقولوا كلهم: (انتهينا انتهينا).

فيا شباب الإسلام.. هل من قائل: انتهينا انتهينا؟ فإن الله يناديكم ويقول: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾.

أسأل الله لي ولكم البعد عن مواطن الفساد والانصراف إلى أعمال الخير وعمران الوقت بالطاعات.

والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلَّم.

المحتويات

الموضوع	الصفحة

مؤسسة
عبد الحفيظ
البساط
لتجليد وتصنيع
الكتاب
بيروت لبنان

مؤسسة
عبد الحفيظ
البساط
لتجليد وتصنيع
الكتاب
بيروت لبنان

مؤسسة
عبد الحفيظ
البساط
لتجليد وتصنيع
الكتاب
بيروت لبنان